

تَعْلِيمُ السَّامِعِينَ
١٠٠

فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأُمُّ الْحَسَنِينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

بِقَامِ
عبد الله بن أبي طالب

دار القلم
دمشق

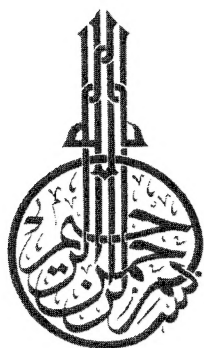
أَعْلَمُ الْمَسَاحِينَ
١٠٠

فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ
بِأَمْرِ النَّبِيِّ

بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأُمُّ الْحَسَنِينَ

بِقَلَمِ
عبدِ الشَّيْخِ

دار القلم
دمشق



فاطمة الزهراء
بنت رسول الله وأمر الحسين

أسَّسَهَا:
محمد عيسى قَوْلَة
سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

دار القلم
دمشق

الطبعة الأولى
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

حُقوق الطَّبْع مَحْمُوظَة

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

www.alkalam-sy.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

الإهداء

- إلى زوجتي أم حذيفة، وبناتي: آلاء وأسماء ولبابة وأروى ورزان ولجين.
 - إلى كل فتاة وزوجة وأم..
 - إلى كل داعية للإسلام ومعلّمة للأجيال وعاملة في ميادين الحياة التربوية والاجتماعية والإنسانية..
 - إلى كل أنثى ابتليت بنقص من الأموال والأنفس والثمرات..
 - إلى كل صابرة مصابرة قانعة راضية مستبشرة..
- إلى هؤلاء الفضليات الكريمات أهدي سيرة الزهراء
البتول لتكون لهن نبراساً وقدوة ومعلّمة وهادية في طريق
الحياة الطويل.

عبد الستار

هذه السيدة

.. قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

.. قال رسول الله ﷺ:

- «خيرُ نساءِ العالمين: مريمُ بنتُ عمران، وخديجة بنت

خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ، وآسية امرأة فرعون».

- «إنما فاطمة بضعةٌ منِّي، يُرِيبُنِي ما أَرَابَها، ويؤْذِنِي ما

أَذَاهَا».

- «فاطمة بضعةٌ منِّي، يَقْبِضُنِي ما يَقْبِضُها، وَيَنْسُطُنِي ما

يَنْسُطُها، وإنَّ الأنسابَ يومَ القيامةِ تنقطعُ غيرَ نَسَبِي

وسَبَبِي وصَهْرِي».

•• قال أبو بكر الصديق لفاطمة في مرضها:

(والله ما تركت الدارَ والمالَ والأهلَ والعشيرةَ إلا ابتغاءَ مرضاة الله ورسوله، ومرضاتكم أهل البيت).

•• قال الفاروق عمر:

(يا فاطمة، والله ما رأيتُ أحداً أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منك، والله ما كان أحدٌ من الناس بعدَ أبيك عليها السلام أحبَّ إليَّ منك).

•• قال علي بن أبي طالب لأحد تلامذته:

(ألا أُحدِّثُكَ عني وعن فاطمة بنتِ رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت أحبَّ أهله إليه، وكانت عندي، فَجَرَّتْ بِالرَّحَى حَتَّى أَثَرَتْ بِيَدِهَا، وَاسْتَقَّتْ بِالْقِرْبَةِ حَتَّى أَثَرَتْ فِي نَحْرِهَا، وَقَمَّتِ الْبَيْتَ حَتَّى اغْبَرَّتْ ثِيَابُهَا، وَأَوْقَدَتِ الْقِدْرَ حَتَّى ذَكِنَتْ ثِيَابُهَا، وَأَصَابَهَا مِنْ ذَلِكَ ضَرٌّْ! فَسَمِعْنَا أَنْ رَقِيقاً أَتَى بِهِمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله، فَقُلْتُ: لَوْ أَتَيْتِ أَبَاكَ فَسَأَلْتِيهِ خَادِماً يَكْفِيكَ، فَأَتَتْهُ، فَوَجَدَتْ عِنْدَهُ حُدَّائاً، فَاسْتَحْيَتْ فَرَجَعَتْ).

•• قالت أم المؤمنين عائشة:

- (ما رأيتُ أحداً من الناس كان أشبهَ بالنبِيِّ ﷺ كلاماً ولا حديثاً ولا جِلْسَةً من فاطمة).
- (ما رأيتُ أحداً أشبهَ سَمْتاً ودَلَّاً وهَدْياً برسولِ الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة بنتِ رسولِ الله ﷺ).
- (ما رأيتُ أحداً قَطُّ أصدقَ من فاطمةَ إلا أن يكون الذي وَلَدَها ﷺ).

•• قال الشاعر محمد إقبال:

نسبُ المسيحِ بنى لمريمَ سيرةً بقيتُ على طولِ المدى ذكراها
والمجدُ يُشرقُ من ثلاثِ مطالعٍ في مهدِ فاطمة فما أعلاها!
هي بنتُ مَنْ هي زوجُ مَنْ هي أُمُّ مَنْ مَنْ ذا يُداني في الفَخارِ أباهَا؟!
هي ومضةٌ من نورِ عينِ المصطفى هادي الشعوبِ إذا ترومُ هداها



المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، القائل في محكم التنزيل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾
[الأحزاب: ٣٣]...

والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على رسولنا محمد الذي أوصى بالثقلين من بعده؛ فأمر باتّباع كتاب الله تعالى، وأوجب إجلال أهل بيته الأطهار وإكرامهم وإعزازهم وحُبّهم ومناصرتهم، فقال: «يا أيها الناس، إني قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به فلن تضلُّوا بعدي؛ الثقلين، أحدهما أكبرُ من الآخر: كتابُ الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعِترتي أهلُ بيتي، وإنهما لن يتفرَّقا حتى يردا عليَّ الحوض».

وأثنى على أصحابه جميعاً ﷺ، وأمر بحبّهم والافتداء بهم، وامتدّحهم فعَمَّ وخصَّ، وخصَّ من الخواصَّ بضَعَتِه النبوية

وحبيبته الزهراء البتول فقال: «فاطمةُ سيدةُ نساءِ أهلِ الجنة، إلا ما كان من مريمَ بنتِ عمران».

وبعد: فإن رسولَ الله محمداً صلى الله عليه وآله هو الحقيقة الكبرى للإنسانية، وسيرته هي الصورة العملية لرسالته الخالدة؛ تستمد الأجيال في أعصرها المختلفة منها نوراً يضيء لها آفاق الحياة. وسيرة زوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وبناته عليهن السلام؛ جزءٌ جليل من سيرته وقطعةٌ عظيمة من حياته، وحياة فاطمة الزهراء وسيرتها وشمائلها قبسٌ من أنوار النبوة وهدي الرسالة، تتجلّى في آفاقها ملامح الهدي النبوي والتطبيق العملي، والأمثلة الشاهدة على صنعة المربي الأعظم صلى الله عليه وآله في بيته، وتلاحم المنهج المقروء المتلو مع الترجمة الواقعية والسلوكية لمبادئ الإسلام وحقائقه وطرائقه وأهدافه وغاياته وثمراته.

ومن هنا تكمن أهمية الكتابة في سيرة امرأة من بيت النبوة، كانت أحب بناته صلى الله عليه وآله إليه، وعاشت معه جميع مراحل الدعوة، وكان فيها امتدادُ ذريته الطاهرة من بعده.

أحبها النبي صلى الله عليه وآله حباً زائداً عن بقية بناته، كما أحب ذريتها وعلى وجه الخصوص ريحانتيه من الدنيا: الحسن والحسين. وكان يُجلّها ويُكرمها إكراماً عظيماً، وإذا أتت إليه قام من

مجلسه فقبَّلَهَا وأجلَسَهَا مكانه، وكانت هي تفعل به مثل ذلك. ومن أروع مظاهر حبِّه لها أنه صرَّح على الملاء بأنها بضعة منه وقطعة من حياته، وأنه ﷺ يغضب لغضبها ويَرْضَى لرضاها، يُريُّه ما أَرابها ويَحْزُنُه ما يَحْزُنُها، وتجلَّى ذلك على نحو فذٍّ لَمَّا عَلِمَ أن صهره الجليل علي بن أبي طالب يرغب بالزواج عليها من بنت أبي جهل؛ فارتاع ﷺ لذلك وأباه أشدَّ الإباء، وقام في الناس خطيباً فصَّرَحَ ولم يُلَمِّح فقال: «والله لا تجتمع بنتُ رسول الله ﷺ وبنتُ عدوِّ الله أبداً».

وقال: «إنَّ بني هشام بن المُغيرة استأذَنُونِي فِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ؛ فَلَا آذَنُ، ثُمَّ لَا آذَنُ، ثُمَّ لَا آذَنُ! إِلَّا أَنْ يَرِيدَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَطْلُقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمَ، فَإِنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مَنِّي يُرِيْبُنِي مَا أَرَابَهَا، وَيُؤْذِنِي مَا آذَاهَا».

وزاد ﷺ من إجلاله لابنته بأن عَدَّها إحدى أربع نسوة هنَّ خيرُ النساء، وبشَّرها بالجنة، بل هي واحدة من سيدات أهل الجنة، كما أن شِبْلَئِهَا الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة.

ومع تلك المنزلة الرفيعة وذلك الشناء العريض، كان ﷺ يترقى بابنته - وجميع أهل بيته - إلى مراقي الفلاح والتقوى والنبل وأفضل الشَّيَمِ والشمائل، فتراه يقول لها: «يا فاطمةُ

بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لك ضرراً ولا نفعاً.

لذا ربّاهما على الطهر والعفاف، والزهد والقناعة، والرضا باليسير، والبذل والعطاء، والرغبة فيما عند الله، ويتجلّى ذلك في عيشها الخشن، وعندما جاءه صلى الله عليه وآله السّبي أتت إليه كي يُعطيهما خادماً تُعينها، أبى ذلك وقال: «والله لا أُعطيكما وأدعُ أهل الصّفّة تظوّى بطونهم لا أجدُ ما أنفق عليهم!» ودلّها هي وزوجها على ما هو خير من ذلك، فعلمهما الأذكار دُبر الصلوات وعند النوم!.

هكذا يكون العظماء والمسؤولون وأولادهم في نظافة أيديهم من أموال الأمة، ويتقدّمون الناس في أجمل الصفات وأكرم السمائل، مثل ما يشاركونهم في ظلاله عيشهم وخفة معاشهم، لأنهم قدوة الأمة ومحط أنظارها.

في هذا البيت وعلى هذا الهدي نشأت فاطمة الزهراء وعاشت مع أبيها صلى الله عليه وآله جميع مراحل الدعوة في قسوتها وابتلاءاتها بمكة، ثم الهجرة، وبعدها في المدينة حيث بناء الدولة والغزوات لترسيخ أركان الرسالة في جنبات الجزيرة العربية.

وشاركت في مجريات حياته صلى الله عليه وآله وأيامه وساعاته، وكانت

إلى جانبه دوماً تخدمه وترعاه وتُنصت إليه وتتعلّم منه وتقتدي به؛ فكانت أروع أنموذج للبت المسلمة ثم الزوجة فالأم التي ترعى أبنائها وتقوم بحق زوجها وأبيها ودينها في آن واحد، وكانت قِبساً من نور النبوة، وصورة ناطقة عن هدي الرسول الأعظم في صفاته الخَلقية والخُلقية، وتُشبه أباها ﷺ في هيئته ومنظره، وهُديهِ وسَمَتِهِ، وسكِينَتِهِ ووقاره، وحديثه وكلامه، ومشيته وجِلْسَتِهِ، وشمائله الكريمة.

لأجل ذلك كله تُعتبر السيدة الزهراء قدوةً مثلى للمسلمات في كل عصر ومصر، وفي كل بيت وبيئة ومجتمع، ولكل مرحلة عُمرِيَّةٍ للأُنثى وهي صغيرة ثم فتاة ثم امرأة، بتناً كانت أو زوجة أو أختاً أو أمّاً، غنية كانت أو فقيرة، في أسرة مسؤول كبير أو رجلٍ من عامة الأمة... كما أنها قدوة جليّة وأسوة رفيعة لمن ابتليَتْ بضيق المعاش، أو قسوة الحياة، أو جَوْرِ الأعداء، أو فَقْدِ الأحباب، أو الهجرة والتشرد من الوطن إلى الأرض الواسعة من بلاد الله تعالى!.

وإن سيرة فاطمة البتول فيها من الأحداث والحوادث، والوقائع والمواقف، والدروس والعبر؛ ما يُغذي الفكر ويُسعد القلب ويسلّي النفس ويشحذ الهمم ويُنير السبيل مهما اعتَوَرَتْهُ الآلام والابتلاءات ونَغَصَتْهُ الأحزان والمشقات!.

سيرة مشرقة بجلال الأعمال، غنية بأروع البطولات، ثرية بأنفع الحكم والعظات، مجمّلة بأنبل الأخلاق، متوّجة بأطيب الثمرات.

لكن مع جلالة السيدة فاطمة ومكانتها، ومع جمال سيرتها وأهميتها؛ فإن مما يفجأ المرء ويحزنه كثرة ما اعتراها من تشويه وتزوير، وما حُشد وحُشر في صفاتها ومناقبها وأعمالها من أكاذيب وأباطيل وصَلَتْ بها إلى أن زُعم لها بعض صفات العليم الخبير!.

تجدُ ذلك حيث تطالع مصنّفات (الأحاديث الضعيفة والواهية والموضوعة) وكتب (الرجال والمجروحين)، ومرويات التواريخ والسّير والأدب ونحوها، فيُهلّك الركام الكبير من الأخبار الموضوعة والآثار المكذوبة على أهل البيت عامة وفاطمة ولديها خاصة.

أما ما كتبه الشيعة قديماً وحديثاً فالخطب فيه كبير، والكلام فيه طويل، والبحث فيه لا ينتهي إلى جدوى، لكن لا بدّ من التنبه له والتحذير منه.

وحسب القارئ أن يطّلع على كُتب القوم (الأصول المعتمدة) عندهم منذ (عصر التأسيس)، وهلمّ جرّاً إلى عصرنا؛ ليرى أن فاطمة عليها السلام - وبكلمة مختصرة -

كأنها ليست من البشر، بل هي فوقهم ومغايرة لهم في طبيعتها وصفاتها وأعمالها ومنزلتها:

فهي (خَوَراءُ إِنْسِيَّة) خلقها الله قبل الخلق، وهي مقدّمة على الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، ومفروضة الطاعة على جميع مَنْ خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة، وهي تعلم ما كان وما يكون، وقد خصّها أبوها ﷺ بعلوم مسطورة في (لوح فاطمة) فيه اسمُها واسم بعلها واسم ابنها والأوصياء الاثني عشر من ولدها، ونزل عليها الوحي جبريل ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ بمصحف يسمّى (مصحف فاطمة) هو ثلاثة أضعاف القرآن العظيم الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ، وليس فيه حرف مما في أيدي الناس من القرآن! وأنه ﷺ خلق فاطمة والأئمة الاثني عشر من نور عظمته، وصوّر خَلَقَهُم من طينة خاصة فهذه أعلى الطينات، والطينة الثانية خَلَقَ منها الشيعة والأنبياء، والطينة الثالثة هي أدنى الطينات خَلَقَ منها سائر الناس!.

ومثل هذا الكلام ليس موجوداً في كتب بعض المغمورين أو عامة الرافضة، بل في كتابهم الأول المعتمد عندهم وهو (الكافي) للكليني الذي يوازي - وأستغفر الله من المقارنة - (صحيح البخاري) عند أهل السُّنة!.

وهذه الصورة القائمة للافتراء تمثّل جانباً من السيرة الشائئة للسيدة الزهراء، وقريب منها في الدسّ والافتراء والتشويه في بقية محاور سيرتها وحياتها وشمائلها وصفاتها!.

والحق المرّ أن هذا ليس قاصراً على المتقدمين من الإمامية الاثني عشرية - الذين هم عظم الشيعة - بل مستمرّ في الأخلاف في مختلف مراحل تاريخهم وكتبهم وأدبياتهم، إضافة إلى أن زاوية الانحراف تزداد بمرور الزمن، حتى إذا وصلنا إلى أمثال (محمد باقر المجلّسي) و(عبد الله شبر)؛ يتوجب على القارئ لكتبهم أن يمسك نفسه ويفقد عقله وهو يطالع ما كتبوه.

وأذكر هنا مثالاً لأحد مؤلفيهم المعاصرين الذي صنّف كتاباً سماه: (فاطمة بنت محمد قدوة النساء)، وأقام (بحثه!) على مراجعهم المعتمدة، وأشير إلى رؤوس موضوعاته ومسائله:

- فاطمة (حوراء إنسيّة) فهي إلى جانب إنسيّتها تحمل صفات الملائكة، وخلقها الله قبل السموات والأرض.
- فاطمة محدّثة، وكان جبريل يأتيها ويعزيها بوفاة أبيها صلى الله عليه وآله، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريّتها.
- فاطمة لها ولاية وقدرة تكوينية على التحكم والتصرف بأشياء الكون والمخلوقات.
- فاطمة قدوة للناس آدم فمن دونه.

- اسمُ فاطمة مكتوب على باب الجنة والعرش، وهي أول من يدخل الجنة، وتقدم يوم القيامة على نجيب عن يمينها ويسارها سبعون ألف ملك.
- من نورها خلق الله السماوات والأرض، ولما وُلدت أضاءت بيوت مكة، وكانت أم المؤمنين عائشة تخط وتغزل وتنظم الإبرة على ضوء وجه فاطمة.
- توسّل الرسل والأنبياء بفاطمة وآل البيت.
- فاطمة كالأئمة والنبي ﷺ في: الطاعة، والعصمة، والخلافة، وتبليغ الرسالة.
- النبي ﷺ هو الشمس، وعلي القمر، وفاطمة الزُّهرة، والحسن والحسين الفُرقدان.
- نزلت في حقّها أكثر من (ثلاثين آية)، منها: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾؛ فالليلة هي فاطمة، والقَدْر هو الله، فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر.
- فاطمة تعلّم الغيب، وتعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.
- كانت فاطمة مع أبيها ﷺ وزوجها والحسن والحسين يسبحون حول العرش وتسبح الملائكة بتسبيحهم قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام.

- كانت تعبد الله وتصلّي قبل خلق الخلق وفي بطن أمها وعندما وُلدت وفي الدنيا وقبل وفاتها وعند وفاتها وماتت وهي ساجدة.
- وقد علّمها جبريل الصلاة.
- يوم القيامة تُخرج من النار مَنْ كُتِبَ بين عينيه: محبّ فاطمة... إلخ.

هذه صورة مختصرة لما يقدّمه الشيعة عن هذه السيدة الجليّة التي برأها الله تعالى من كل زور وافتراء وكذبٍ عليها، يأباه الحق والإسلام، كما يأباه النبي ﷺ، وترفضه هي عليها السلام في طهارتها وإيمانها ووفور عقلها وبراءتها من كل ما يجعلها فوق صفات البشر، مما افترى عليها مثل ما افترتِ النصراني على المسيح ابن مريم وأمه!.

وقد أُلْمِحتُ بهذه الكلمة الموجزة جدّاً عما يَشيع وينتشر في كتب هؤلاء؛ لأدلّ ولأنّبه على الرُّزء الكبير الذي ابتلي به آل البيت الأطهار، كما ابتليت به أمتنا وتراثنا وتاريخنا وأجيالنا؛ بما يُشاع بينهم من هذا النمط من التربية والتوجيه الذي يهزأ بالعقول وينحطّ بالتفكير إلى ذرّك من السّدّاجة يصل بالبشر إلى درجة التآليه أو ادعاء الملائكية لهم! وقد ثبت في التاريخ الصحيح وعند ذوي العقل السليم والتفكير

المستقيم أن فاطمة وُلدت على تراب مكة من رحم الطاهرة خديجة ونشأت وترعرعت وشبَّت وكَبُرَت مثل ما تكبر وتعيش بناتُ آدم، غيرَ أن الله تعالى أكرمها بأنها بنتُ رسول الله ﷺ ومن الآل الأطهار الذين لهم المكانة السامقة في قلوب المسلمين دونما غلو ولا انحراف.

من هذا (التراث الإمامي الاثني عشري) ومن كُتُب أهل السُنَّة التي شملت كتب الحديث المشهورة - الصحاح والسنن والمسانيد ونحوها - وكتب التراجم والتاريخ والرجال والسير القديمة والحديثة؛ نَقَّبْتُ في مطاويها وبطون صفحاتها، واستخلصْتُ هذا الكتاب الذي أقَدَّمه للمسلمين عامة وللمسلمات خاصة - صغيرات وشابات وزوجات وأمّهات - ليكونَ زاداً لهم للتعرف على سيرة امرأة لها في قلوب المسلمين على مرِّ تاريخهم المكانة السامية والمحبّة التامة والإجلال العظيم، مع الترضي عنها والسلام عليها عند تلاوة سيرتها أو ذِكر اسمها أو في تشهد الصلوات بُكرة وعشيّاً.

وعلى طريقتي في البحث والتصنيف مشيْتُ مع صاحبة السيرة عليها السلام منذ ولادتها فنشأتها وتربيتها وأسرتها وأعمالها ومواقفها ووداعها إلى دار الخلود، مع الوقفات الطويلة والمتأنية والتمحيص والنقد لما حُشد في سيرتها من

أباطيل، متحرّياً وجه الحق وملازمة الإنصاف واتباع هدي السُنّة وتبرّئة صاحبة الترجمة مما يأباه الإسلام ونبه عليها السلام.

ومن جميل الأقدار أن تكون ترجمة السيدة فاطمة بعد ترجمة زوجها أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأن الكتّابين يخرجان معاً في قَرْن، وأن هذا الكتاب عن (فاطمة) قد تَبَوَّأَ الرِّقْم (١٠٠) في (سلسلة أعلام المسلمين)، فَخَتَمَ المِئَّةَ الأولى من مسيرة هذه السلسلة النافعة؛ فكانت (فاطمة) خاتمة هذه المِئَّة و(فاطمة) لها!!.

ولعلّ من حُسْن التقدير والتوفيق كذلك أن تبدأ هذه السلسلة برجلٍ مبارك هو الإمام الأجلّ (عبد الله بن المبارك)، وتنتهي المِئَّة الأولى بامرأة طاهرة مباركة من بيت النبوة هي (الزهراء البتول)، فتكون هذه المِئَّة قد ابتدأت برجل وانتهت بامرأة، والنساء شقائق الرجال.

ولله تعالى في تدبيره وتقديره حِكْم وعِبَر وعِظَات.

وإنني لأرجو أن يكون هذا الكتاب قد جَلَّى شخصية السيدة فاطمة عليها السلام في مختلف جوانبها ومحاورها، ونَقَّى عنها كثيراً من الأباطيل والافتراءات التي تسللت إلى سيرتها، وقَدَّمَ زاداً صافياً نقيّاً وافياً عن حياتها ومكانتها؛ لتكون المرأة المسلمة على هُدًى وبصيرة وهي تتلو صحائف

سيرة الزهراء، ويكون اقتداؤها بها على الهدى الصحيح الذي جاء به القرآن وأصله النبي ﷺ وترجمته السيدة ذرة آل البيت عليهم السلام على أحسن وجه وأكملة.

وإنني لأسأل الله العظيم أن يكون هذا الجهد سبباً موصولاً برسول الله ﷺ وأهل بيته؛ حُبّاً وإجلالاً لهم، وخدمةً أتشرف بها في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

كما أسأله تعالى بأسمائه الحسنی أن يتقبله مني ويجعله في صحيفة حسناتي يوم ألقى وجهه الكريم، ويكون في العلم الذي يجري أجره إلى يوم الدين.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبكرمه تُستجاب الدعوات.

عبد الستار الشيخ

الباب الأول

أخبار الزهراء الشخصية وأسررتها

- اسمها ونسبها وكنيتها وألقابها.
- أبيها.
- مولد الزهراء المبارك وأصلها الشريف المنيف.
- صفاتها وحليتها.
- زوجها وأولادها.
- إخوة فاطمة وأخوانها.

• • •

اسمها ونسبها وكنيتها وألقابها

أولاً: اسمها ونسبها الشريف:

فاطمة بنت سيد الخلق رسول الله ﷺ أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشية الهاشمية.

وقد روى الكليني في «الكافي» في (سبب تسمية فاطمة عليها السلام) عن أبي جعفر الباقر قال: (لما وُلدت فاطمة عليها السلام أوحى الله إليّ ملكٌ فأَنطق به لسانَ محمد عليه السلام فسَمّاها فاطمة، ثم قال: «إني فطمْتُكِ بالعلم، وفطمْتُكِ من الطُّمَث!» ثم قال أبو جعفر عليه السلام: والله لقد فطمها الله بالعلم وعن الطمَث في الميثاق)^(١).

وروى ابن بابويه القمي - المعروف بالصدوق عند الشيعة

(١) أصول الكافي: ٢٧٥/١ (الحديث السادس من أحاديث «باب مولد الزهراء عليها السلام»، وعدة أحاديث هذا الباب عشرة أحاديث).

الإمامية - في «باب نواذر المعاني» من كتابه «معاني الأخبار» الحديث التالي:

(عن جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن جدّه علي زين العابدين، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خُلِقَ نور فاطمة عليها السلام قبل أن تُخْلَقَ الأرض والسماء...)، فذكر خبراً طويلاً وفيه تسميتها: (المنصورة في السماء، وهي في الأرض فاطمة، قال النبي صلى الله عليه وآله: حبيبي جبرئيل، وَلِمَ سُمِّيت في السماء: «المنصورة»، وفي الأرض: «فاطمة»؟ قال: سُمِّيت في الأرض «فاطمة» لأنها فَطِمَتْ شيعتها من النار، وَفُطِمَ أَعْدَاؤها^(١) عن حبّها! وهي في السماء: «المنصورة»؛ وذلك قول الله وَجَلَّ: «وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ • يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ • [الروم: ٤ - ٥]، يعني نصر فاطمة لمحبيها!»^(٢).

وهو خبر طويل جاء بروايات مقاربة في كتب «الأحاديث الموضوعة»^(٣).

(١) في الأصل: أعداءها!.

(٢) معاني الأخبار، ص ٣٩٦ - ٣٩٧. وسيأتي الخبر بتمامه: ص ٢٦٨ - ٢٦٩ في هذا الكتاب.

(٣) انظر مثلاً: تنزيه الشريعة: ٤١٢/١ - ٤١٣ رقم (١٤، ١٥).

ثانياً: كُنيتها:

كانت السيدة فاطمة تُكنى أُمَّ أَبِيهَا، ذكر ذلك غير واحد ممَّن ترجم لها، ولم أجد مخالفاً لهم في ذلك^(١).

وكان رسول الله ﷺ لشدة حبه لابنته فاطمة وهي أصغر بناته - ومن عادة الآباء اهتمامهم الزائد بأصغر أولادهم - أراد أن يغرس في نفسها ويرى فيها أكرم غراس النبوة، فتكون صورة ناطقة عن هدي أبيها. وأيضاً فقد كانت تقوم بدور الأم الرؤوم التي تخدم النبي ﷺ، وتحرسه عيناها، وتمسح جراحه كما ظهر ذلك منها عندما عدت قريش عليه بمكة، وفي غزوة أحد لما جرح كانت تضمّد جراحه، وفي آخر حياته توجعت عليه ونادته بكلمات والهة ورثته بقلبها وروحها ودموعها ولسانها؛ فكانت ابنة وأماً معاً!

ولعل الغيب قد كشف له ﷺ فعلم بأن هذه الثمرة الطيبة (فاطمة) ستكون آخر بناته وفاة، وسيرزقه الله منها الذرية الطاهرة التي يستمر بها عقبه المبارك الذي يفيض بنور الهدى وتعاليم الرسالة، فجرى على لسانه الشريف كنية فاطمة: (أم أبيها)^(٢).

(١) سير أعلام النبلاء: ١١٩/٢؛ الإصابة: ٣٦٥/٤؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٧٦/١١.

(٢) انظر: فاطمة الزهراء، للدكتور محمد عبده يماني، ص ٢٩.

ثالثاً: ألقابها:

١ - لقبها (الزهراء):

ذكره ابن حجر وغيره^(١).

والزهراء: مؤنث الأزهر، وقد جاء في صفة سيدنا رسول الله ﷺ أنه أزهر اللون؛ أي: أبيض مشرق الوجه مستنير صافٍ.

ومعنى الزهراء: بيضاء مشرقة الوجه مستنيرة، فهي مثل أبيها ﷺ.

٢ - لقبها (البتول):

أصل البتْل: القَطْع، وتبتّل إلى الله: انقطع وأخلص.

والبتول من النساء: المنقطعة عن الرجال لا أَرَبَ لها فيهم، وبها سُمّيت مريم أم المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام. والبتول: المنقطعة إلى الله ﻋَلى عن الدنيا.

وفي ضوء معاني مادة (بتل)، فالمعنى اللائق بحال السيدة فاطمة هو ما ذكره أحد العلماء: فقد سئل أحمد بن يحيى عن فاطمة رضوان الله عليها: لِمَ قيل لها: البتول؟ فقال: لانقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الأمة عفاً وفضلاً ودينياً وحسباً^(٢).

(١) الإصابة: ٣٦٥/٤؛ تهذيب التهذيب: ٤٦٨/١٢.

(٢) لسان العرب: ٤٢/١١ - ٤٣.

الفصل الثاني

أبواها

أولاً: أبوها محمد رسول الله ﷺ:

سيد الخلق، ومنتهى الكمال الإنساني، ونبراس البشرية، وإمام أئمتها، وهادي هدايتها، وصفوة صفوتها، وبؤرة أنوارها، ميزان الحق، ومعيار التقوى، ومعدن الصدق، وقمة النبل، ولباب الرحمة، وذروة الكرم والسماحة والشجاعة والمروءة، ومنبع الخيرات، وفيض المكرمات...

أكمل الخلق روحاً وعقلاً، وأعلاهم قدراً وذكراً، وأشرفهم مجداً وعزاً، وأهداهم طريقاً وهدياً، وأكرمهم أصلاً ومحتداً، وأعزهم بيتاً ومنبعاً.

أدبه ربه فأحسن تأديبه، ورباه فأكمل تربيته، وألبسه خلج رافته ورحمته فكان الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، والمرسل رحمة للعالمين، وشرح له صدره، ورفع له ذكره، وتخيره واصطفاه من مصاصة العرب طهراً وعزاً وشرفاً وتبلاً ومنزلة، فهو ﷺ خيار من خيار.

وقد ثبت عنه ﷺ: أنه قال: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم، فأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مُشَفَّع»^(١).

ثانياً: أمها خديجة بنت خويلد:

هي خديجة بنت خُوَيْلِد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، القرشية الأسدية.

تجتمع مع رسول الله ﷺ في النسب الشريف: في (قُصَيِّ) من جهة أبيها، وفي (لؤي) من جهة أمها.

فهذه السيدة قرشية أباً وأماً، وهي من الذؤابة في قريش نسباً وبيتاً ومَحْتِداً وشرفاً ومكانة.

قال ابن هشام في أثناء حديثه عن زواجهما من رسول الله ﷺ: (وكانت خديجة يومئذٍ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهنَّ شرفاً، وأكثرهنَّ مالاً)^(٢).

تزوّجها النبي ﷺ وعمره الشريف (٢٥) سنة، وأما هي فقد

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٦)؛ والترمذي (٣٩٣٢)؛ وابن حبان (٦٤٧٥) واللفظ له.

(٢) السيرة النبوية: ١/١٨٩.

بلغت من العمر (٤٠) سنة^(١). وجميع أولاده منها سوى إبراهيم فمن مارية القبطية.

وكانت خديجة عليها السلام من فضليات النساء وسيدات قریش، كاملة العقل، سديدة الرأي، كريمة الخصال، نبيلة الأفعال، طاهرة السيرة، سرّية ثرية تاجرة جليلة، اشتهرت في الجاهلية والإسلام بـ(الطاهرة)، وكانت تسمى (سيدة نساء قریش).

وهذه الخصال الرفيعة والصفات الفائقة جعلتها تسبق الخلق إلى الإسلام عندما بُعث محمد رسول الله ﷺ وأكرمه الله بالرسالة، وقد أجمع أهل العلم من أئمة الإسلام على أن خديجة كانت أول البشر قاطبة إيماناً بالله ورسوله^(٢).

قال ابن هشام: (أمنت به ﷺ خديجة بنت خويلد، وصدّقت بما جاءه من الله، ووازرته على أمره، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدّقت بما جاء منه. فحقّق الله بذلك عن نبيه ﷺ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردّ عليه وتكذيب له، فيحزّنه ذلك؛ إلا فرّج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبّته وتخفّف عليه، وتصدّقته وتهوّن عليه أمر الناس، رحمها الله تعالى)^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء: ١١١/٢؛ أسد الغابة: ٤٣٥/٥؛ الإصابة: ٢٧٣/٤.

(٢) محمد رسول الله ﷺ، للصادق عرجون: ٥٠٨/١.

(٣) السيرة النبوية: ٢٤٠/١.

وقال ابن الأثير في ترجمتها: (أول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة)^(١).

وكانت السيدة خديجة عليها السلام وزيرة صدق للنبي صلى الله عليه وآله على دعوته، تواسيه وتخفف عنه مواجع ما يلقي من الناس، فيسكن إليها، وتطمئن نفسه إلى مواساتها، ويستعيد نشاطه، بما تصبئه في قلبه من حنان الزوجة التي تقدر حياة هذا الزوج الأكرم حق قدرها، وتعرف له مكانته في حمله أعظم أمانة حملها كاهل بشر في الحياة.

وقد قضت السيدة خديجة عليها السلام في كنف رسول الله صلى الله عليه وآله أشقّ مراحل الدعوة، ودخلت معه حصار الشَّعب، تشاركه آلام المحنة ومرارتها راضية صابرة محتسبة. وبعد الخروج من الحصار بقليل لبث نداء ربها راضية مرضية، مبشرة من سيد الخلق زوجها الحبيب الرسول الكريم بالنعيم المقيم في فراديس الجنان^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أتى جبريلُ النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو

(١) أسد الغابة: ٤٣٤/٥.

(٢) انظر: محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، للصادق عرجون: ٣٠٦/٢ - ٣١٠.

(٣) في رواية الطبراني: (وهو بغار حراء).

شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي،
وَيَسِّرْهَا بَيْتِي فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ»^(١).

وعن أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها قالت: (ما غُرْتُ
على أحدٍ من نساء النبي صلى الله عليه وآله ما غُرْتُ على خديجة، وما رأيتها،
ولكن كان النبي صلى الله عليه وآله يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها
أعضاءاً ثم يبيعها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم
يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟! فيقول: «إنها كانت وكانت،
وكان لي منها ولد»^(٢).

وروى أبو كُرَيْب، عن أبي أسامة ووکیع بن الجراح
وغيرهما، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: سمعتُ
عبد الله بن جعفر يقول: سمعتُ علي بن أبي طالب بالكوفة
يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «خير نساؤها مريم بنتُ
عمران، وخير نساها خديجة بنتُ خويلد» قال أبو كُرَيْب:
وأشار وكيعٌ إلى السماء والأرض^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٨٢٠)؛ ومسلم (٢٤٣٢)؛ والنسائي في «الكبرى»
(٨٣٠٠)، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨١٨)؛ ومسلم (٢٤٣٥، ٢٤٣٦)؛ والترمذي
(٢١٣٦، ٤٢١٣)، وغيرهم.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨١٥)؛ ومسلم (٢٤٣٠)؛ والترمذي (٤٢١٥)،
وغيرهم.

وعن عمار بن ياسر، عن النبي ﷺ قال: «لقد فضّلت خديجةً على نساء أمتي كما فضّلت مريم على نساء العالمين»^(١).

ومن كرامتها عليه ﷺ أنها لم يتزوج امرأة قبلها، وجاءه منها عدة أولاد، ولم يتزوج عليها قط، ولا تسرى إلى أن قضت نحبها، فوجد لفقدها، فإنها كانت نعم القرين، وكانت تُنفق عليه من مالها، ويتّجر هو ﷺ لها^(٢).

مكثت عند رسول الله ﷺ زوجة أمينة وفيّة خمساً وعشرين سنة، خمس عشرة منها قبل النبوة، وعשרاً من سني الدعوة بمكة، وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين، وعمرها (٦٥) سنة.



(١) أخرجه البزار والطبراني، وقال الحافظ: حديث حسن الإسناد. الفتح:

٧٦٦/٨، شرح الحديث (٣٨١٥).

(٢) سير أعلام النبلاء: ١١٠/٢.

مولد الزهراء المبارك وأصلها الشريف المنيف

من هاتين الشجرتين المباركتين المُعْرِقَتَيْن في الشرف والتُّبَل والطهر والمكارم والكمال الإنساني؛ انبثق أصلُ فاطمة البتول، وبَسَقَتْ في سماء مكة وبطون قريش، فكانت منها شجرة مباركة ما لبثت مع السنين أن أخرجت شَطَأَهَا وآت ثَمَارَهَا؛ فكان منها الذرية الطاهرة التي استمرَّ بها عَقْبُ النبي ﷺ.

قال أبو جعفر الباقر: (دخل العباس على علي بن أبي طالب وفاطمة وهي تقول: أنا أسنُّ منك، فقال العباس: أمّا أنتِ يا فاطمة فُولِدَتْ وقريشُ تبني الكعبة، والنبي ﷺ ابنُ خمسٍ وثلاثين سنة، وأمّا أنتِ يا علي فُولِدْتَ قبل ذلك بسنوات)^(١).

فهذا يدل على أنها وُلِدَتْ قبل البعثة بخمس سنين، وعمرُ أبيها ﷺ (٣٥) سنة، وذكر ذلك غير واحد^(٢).

(١) طبقات ابن سعد: ٢٦/٨؛ مختصر ابن عساکر: ٢٦٩/٢.

(٢) طبقات ابن سعد: ١٩/٨؛ مجمع الزوائد: ٢١١/٩؛ الإصابة: ٣٦٥/٤.

وقيل: وُلدت في الإسلام وِسْنُ رسول الله صلى الله عليه وآله (٤١) سنة^(١). وما تقدّم هو الصحيح، وعليه جمهرة المؤرّخين وكتب السيرة.

وكانت خديجة إذا ولدت ولدًا دفعته إلى من يرضعه، فلما ولدت فاطمة لم يرضعها أحد غيرها^(٢).

وللشيعة في كل باب أباطيل، ومن ذلك ما جاء في (تاريخ مولد الزهراء):

روى الكليني بسنده: عن أبي جعفر الباقر، قال: (وُلدت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله بعد مبعث رسول الله بخمس سنين! وتوفيت ولها ثمانى عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً)^(٣).

وروى الفيض الكاشاني من رواية الكليني في كتابه «الكافي»: عن سعيد بن المسيّب: أنه سأل علي بن الحسين قال: (قلتُ لعلّي بن الحسين عليهما السلام: فمتى زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة من عليّ عليه السلام؟ فقال: بالمدينة،

(١) الاستيعاب: ٣٦٢/٤؛ المستدرک: ١٦١/٣، ١٦٣؛ الإشارة، لمغلطاي، ص ٩٩.

(٢) مختصر ابن عساکر: ٢٦٤/٢.

(٣) أصول الكافي: ٢٧٤/١ (الحديث العاشر من أحاديث «باب مولد أمير المؤمنين صلوات الله عليه»).

بعد الهجرة بسنة، وكان لها يومئذ تسع سنين. قال علي بن الحسين: ولم يولد لرسول الله ﷺ من خديجة على فطرة الإسلام إلا فاطمة عليها السلام...^(١).

وفي هذين الخبرين أباطيل كثيرة: من ذلك أن فاطمة وُلدت بعد البعثة بخمس سنين، وأن علياً تزوجها وعمرها تسع سنين، وأنها توفيت وعمرها ثماني عشرة سنة، فهذا يعني أنها وُلدت ابنها الحسن وعمرها عشر سنوات! وكل هذا باطل.

ومقصدهم من ذلك أن يقولوا: إنه لم يولد للنبي ﷺ على فطرة الإسلام بعد النبوة إلا فاطمة! ولا يدري العقلاء: أي شئ يُلحق الإنسان إذا ولد قبل البعثة الشريفة، إذا ما أسرع إلى الإسلام عندما يعقله؟!.

وتزوَّجت الزهراء بابن عمها علي بن أبي طالب^(٢)، وأنجبت منه الحسن والحسين سبطي رسول الله ﷺ وريحانتيه، فاجتمع لها الشرف المُنيف في أصولها وفروعها، وإلى هذا يشير محمد إقبال في قصيدته العصماء (فاطمة الزهراء)، ومما يقول فيها^(٣):

(١) الوافي: ٧٢٦/٣ - ٧٢٩، الحديث (١٣٣٩).

(٢) سيأتي ذلك مفصلاً في «الفصل الثالث».

(٣) ديوان محمد إقبال «الأعمال الكاملة»، سيد عبد الماجد غوري: ٢٣٥/١.

نسبُ المسيح بنى لمريم سيرةً بقيتُ على طول المَدَى ذِكْراها
والمجدُ يُشرقُ من ثلاثِ مطالعٍ في مهدِ فاطمةَ فَمَا أعلاها
هي بنتُ مَنْ هي زوجُ مَنْ هي أمُّ مَنْ مَنْ ذا يُداني في الفَخارِ أبَاها
هي ومضةٌ من نورِ عينِ المُصطفى هادي الشُّعوب إذا ترومُ هُداها
هو رحمةٌ للعالمين وكعبةُ الآ مَالٍ في الدُّنيا وفي أُخْراها
مَنْ أيقظَ الفِطرَ النَّيامَ بِروحِهِ وكأنَّه بعدَ البَلَى أحيَاها
وأعادَ تاريخَ الحياةِ جديدهً مثلَ العرائسِ في جديدي حُلاها



الفصل الرابع

صفتها وحليتها

كانت الزهراء عليها السلام تشبه أباها عليه السلام في هيئته ومنظره وهذيه وسمته وسكيتته ووقاره وحديثه وكلامه ومشيته وجلسته وشمائله الكريمة، كما يدل على ذلك وصف أعرف الناس بها. روى معمر: عن الزهري، قال: أخبرني أنس بن مالك، قال: (لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الحسن بن علي وفاطمة صلوات الله عليهم أجمعين)^(١).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (ما رأيت أحداً من الناس كان أشبه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كلاماً ولا حديثاً ولا جلسة من فاطمة). وفي رواية عنها قالت: (ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢).

(١) أخرجه أحمد (١٢٦٧٤)، وصححه شعيب الأرناؤوط؛ وبدون ذكر فاطمة عند الترمذي (٤١١٠)، وغيره.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٩١٩٢)؛ والترمذي (٤٢١٠)؛ وأبو داود (٥٢١٧)؛ والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٤٧)؛ والحاكم: ١٥٤/٣، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح. وسيأتي موطأً بألفاظ أخرى في «الصحيحين» وغيرهما.

وَالدَّلُّ وَالْهَدْيُ وَالسَّمْتُ عِبَارَةٌ عَنْ الْحَالَةِ الَّتِي يَكُونُ
عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ مِنَ السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَحُسْنِ السَّيْرِ وَالطَّرِيقَةِ،
وِاسْتِقَامَةِ الْمَنْظَرِ وَالْهَيْئَةِ^(١).

وقد أورد الحاكم حديثاً عن أنس عن أمه فيه وصفٌ وجهِ
السيدة فاطمة ولونِ شعرها، وحكم الذهبي عليه بالوضع، وهو
حريٌّ بذلك^(٢)!



(١) النهاية في غريب الحديث: ١٣١/٢؛ وانظر: لسان العرب: ٤٦/٢،
٢٤٦/١١.

(٢) المستدرک: ١٦١/٣.

الفصل الخامس

زوجها وأولادها

أولاً: زوجها علي بن أبي طالب:

أبو الحسن وأبو تراب وأبو القُصم علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، أول الصّبيان إسلاماً، وأحدُ أكابر الصحابة إيماناً وجهاداً وعلماً وفضلاً ونبلاً وشرفاً، وزهداً وورعاً وتقوى، ومن أفراد الدهر جرأة وبطولة وشجاعة، ومضرب المثل في الفصاحة والبلاغة والبيان، أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين.

كان أكبر من فاطمة بخمس سنين، فضائله غزيرة وأخباره كثيرة جداً، وقد ترجمنا له في هذه السلسلة في كتاب حافل، رضي الله عنه وأرضاه.

ثانياً: أولادها:

رُزقت السيدة فاطمة بثلاثة ذكور؛ هم: الحسن والحسين ومُحسّن، وابنتين هما: أم كلثوم وزينب^(١).

(١) نسب قريش، ص ٤٠؛ جمهرة أنساب العرب، ص ٣٧.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله دائم الاهتمام بأولادها وتسميتهم وتربيتهم ورعاية شؤونهم، لا يكاد يمضي يوم إلا ويتعاهدهم بالسؤال والملاطفة والتوجيه والتعليم.

عن أم الفضل لبابة بنت الحارث زوج العباس عم النبي صلى الله عليه وآله قالت: (رأيتُ كأنَّ في بيتي عضواً من أعضاء رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: فجَزَعْتُ من ذلك، فأتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله فذكرتُ ذلك له، فقال: «خيراً، تلدُ فاطمة غلاماً فتَكْفُلِيْنَه بلبن ابنكِ قُثم» قالت: فولدتُ حسناً، فأعطيته فأَرْضَعْتُهُ حتى تحرَّك أو فطمته. ثم جئتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأجلسته في حجره، فبال، فضربتُ بين كتفيه، فقال: «ارْفُقِي بابني رحمك الله - أو: أصلحك الله - أوجعتُ ابني» قالت: قلت: يا رسول الله، اخلَعْ إزارَكَ والبسْ ثوباً غيره حتى أغسلَه، قال: «إنما يُغسل بولُ الجارية، ويُنْصَح بولُ الغلام»^(١).

وعن علي بن أبي طالب قال: (لما وُلد الحسن سَمَّيْتُهُ حَرْباً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «أُرُونِي ابْنِي، ما سَمَّيْتُمُوهُ؟» قال: قلت: حَرْباً، قال: «بل هو حَسَنٌ». فلما وُلد الحسين سَمَّيْتُهُ حَرْباً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «أُرُونِي ابْنِي،

(١) أخرجه أحمد (٢٦٨٧٥)؛ وابن ماجه (٣٩٢٣)؛ وأبو يعلى (٧٠٧٤)، وغيرهم، وصححه شعيب الأرنؤوط.

ما سَمَّيْتُمُوهُ؟» قال: قلتُ: حرباً، قال: «بل هو حُسين». فلما وُلِدَ الثالثُ سَمَّيْتُهُ حرباً، فجاء النبي ﷺ فقال: «أروني ابني، ما سَمَّيْتُمُوهُ؟» قلتُ: حرباً، قال: «بل هو مُحَسِّنٌ». ثم قال: «سَمَّيْتُهُم بِأَسْمَاءَ وَلَدِ هَارُونَ: شَبَّرَ وَشَبِيرٌ وَمُشَبَّرٌ»^(١).

وعن أبي رافع، قال: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَدَنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ بِالصَّلَاةِ)^(٢).

وعن علي بن أبي طالب قال: (عَقَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْحَسَنِ بِشَاةٍ، وَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، احْلِقِي رَأْسَهُ وَتَصَدَّقِي بِزَنَةِ شَعْرِهِ فَضَّةً» فَوَزَنَاهُ، فَكَانَ وَزْنُهُ دَرَاهِمًا أَوْ بَعْضَ دَرَاهِمٍ)^(٣).

وعن جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، قال: (وَزَنْتُ فَاطِمَةَ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَعْرَ حَسَنِ وَحُسَيْنٍ وَزَيْنَبَ وَأُمِّ كُلثُومٍ، فَتَصَدَّقْتُ بِزَنَةِ ذَلِكَ فَضَّةً)^(٤).

(١) أخرجه أحمد (٧٦٩)؛ وابن حبان (٦٩٥٨)؛ والحاكم: ١٦٥/٣ وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٠٥)؛ والترمذي (١٥٩٤) وقال: حسن صحيح، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي (١٥٩٧)، وحسنه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٤) موطأ مالك: ٥٠١/٢؛ السنن الكبرى، للبيهقي: ٣٠٤/٩. ورجاله ثقات إلا أنه منقطع.

وعن ابن عباس قال: (عَقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين بَكْبَشَيْنِ كَبَشَيْنِ). لفظ النسائي.

وفي رواية: (عَقَّ عن الحسن والحسين كَبْشاً كَبْشاً). لفظ أبي داود^(١).

١ - الحسن:

وُلد للنصف من شهر رمضان سنة (٣هـ)، وتوفي لخمس ليالٍ خلون من شهر ربيع الأول سنة (٥٠هـ)، ودُفن ببقيع الغرقد. وهو الإمام السيد الجليل والمصلح المجدد العظيم أبو محمد ريحانة رسول الله ﷺ، السَّبْطُ الكريم سيِّد شباب أهل الجنة.

حياته حافلة، وفضائله غزيرة، وأخباره كثيرة، وسنفرد له ترجمة مستقلة إن شاء الله تعالى.

٢ - الحسين:

وُلد لخمس ليالٍ خلون من شعبان سنة (٤هـ)، وقُتل شهيداً يوم الجمعة في العاشر من المحرم سنة (٦١هـ).

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٤٥٣١)؛ وأبو داود (٢٨٤١)، وغيرهما، وصححه ابن حزم وابن كثير وغير واحد.

وهو الإمام الشريف الشهيد أبو عبد الله سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا، وسيد شباب أهل الجنة مع أخيه الحسن. فضائله جمّة، وأخباره كثيرة خطيرة، افترت عليه الرافضة فَرَى وأكاذيب لا يحتملها قلب ولا يسيغها عقل ولا يصدقها طفل!.

وسوف أفرد له ترجمة مستقلة - إن شاء الله تعالى - تُنصفه وتضع الحق في نصابه، وتكشف الزيوف والأباطيل التي ألصقت به!.

ومما يُضحك الثكلى ما رواه الكليني بأن جبريل نزل على النبي ﷺ يبشّره بمولد الحسين، وأن الله (جاعل في ذريته: الإمامة والولاية والوصية)، (ولم يرضع الحسين من فاطمة عليها السلام ولا من أنثى، كان يُؤتَى به النبي فيضع إبهامه في فيه، فيمصّ منها ما يكفيه اليومين والثلاثة^(١)، فنبت لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول الله ودمه! ولم يُولد لسته أشهر إلا عيسى ابن مريم ﷺ والحسين بن علي عليه السلام)^(٢).

(١) في الأصل: (والثلاث).

(٢) الكافي: ٢٧٨/١ - ٢٧٩، الحديثان (٣ - ٤) من «باب مولد الحسين بن

علي عليهما السلام». وانظر: الوافي: ٧٥٧/٣.

٣ - مُحَسِّن:

مات صغيراً جداً إثر ولادته.

٤ - أم كلثوم الكبرى:

وُلدت في حدود سنة (٦هـ)، ورأت جدّها رسولَ الله ﷺ ولم تروِ عنه.

عن علي بن الحسين: (أن عمر بن الخطاب خطب إلى عليّ أمّ كلثوم، فقال: أنكحنيها، فقال: إني أرصدها لابن أخي عبد الله بن جعفر، فقال عمر: أنكحنيها، فوالله ما من الناس أحد يرصد من أمرها ما أرصده، فأنكحه علي. فأتى عمر المهاجرين، فقال: ألا تهنؤني! فقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ فقال: بأم كلثوم بنت علي وابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ؛ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ نَسَبٍ وَسَبَبٍ يَنْقُطُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ سِبْبي وَنَسْبي» فأحببتُ أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ نَسَبٌ وَسَبَبٌ^(١).

تزوجها الفاروق عمر سنة (١٧هـ)، وأمهرها أربعين ألفاً، وولدت له: زياداً الأكبر ورقية^(٢).

(١) أخرجه الحاكم: ١٤٢/٣، وغيره؛ وصححه بطرقه الألباني في: الصحيحة (٢٠٣٦).

(٢) طبقات ابن سعد: ٤٦٣/٨؛ كتابي: عمر بن الخطاب، ص ٣٥.

وقد أقرت بهذا الزواج (الكتب الأربعة الصحاح المعتمدة عند الشيعة): «الكافي» للكليني، و«من لا يحضره الفقيه» لابن بابويه القمي، و«تهذيب الأحكام» والاستبصار فيما اختلف من الأخبار» كلاهما لشيخ الطائفة الطوسي أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي^(١).

٥ - زينب الكبرى:

وُلدت في حياة النبي ﷺ، وتزوجت ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. وولدت له^(٢).

وقد انقرض عقب رسول الله ﷺ إلا من فاطمة^(٣).



(١) انظر: الشيعة وأهل البيت، ص ١٠٤ - ١٠٧.

(٢) طبقات ابن سعد: ٤٦٥/٨؛ نسب قريش، ص ٤١؛ الإصابة: ٣١٤/٤ - ٣١٥.

(٣) أسد الغاية: ٥٢٠/٥؛ سير أعلام النبلاء: ١٢٢/٢؛ الإصابة: ٣٦٥/٤.

إخوة فاطمة وأخواتها^(١)

قول جمهور العلماء والمؤرخين وأهل النسب وصحَّحه كثير من النقاد أن عدد أولاد سيدنا رسول الله ﷺ سبعة: ثلاثة ذكور وأربع بنات.

فالذكور هم: القاسم وعبد الله - ويُلقَّب بالطيب والطاهر - وإبراهيم.

والبنات هن: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة.

وجميعهم من خديجة بنت خويلد، إلا إبراهيم فمن مارية القبطية، فكلُّهم أشقاء وشقيقات فاطمة، ما عدا إبراهيم فأخوها لأبيها.

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ١٩٠/١ - ١٩١؛ طبقات ابن سعد: ١٣٣/١ - ١٤٤؛ نسب قريش، ص ٢١ - ٢٣؛ جمهرة أنساب العرب، ص ١٥ - ١٦؛ البداية والنهاية: ٣٠٦/٥ - ٣١١؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٤٢/١١ - ٤٤٦، ٤٤٧، ٥٠٠، وقد أطنب وأجاد وأفاد.

أولاً: إختوتها:

١ - القاسم:

أكبر أولاد النبي ﷺ وبه كان يُكنى، وُلد قبل البعثة، ومات صغيراً وقيل: بلغ سن التمييز، وهو أول من مات من أولاده ﷺ.

٢ - عبد الله (الملقب بالطيب والظاهر):

وُلد بعد النبوة ولذا كان يسمى بالطيب والظاهر، مات صغيراً.

٣ - إبراهيم:

أمه مارية بنت شمعون القبطية المصرية، وُلد في ذي الحجة سنة (٨هـ)، وسمّاه رسول الله ﷺ باسم أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وُلد لي الليلة غلامٌ، فسمّيته باسم أبي إبراهيم»^(١).

وقد عاش إبراهيم عليه السلام نحواً من سبعة عشر شهراً أو ثمانية عشر شهراً، ومات في السنة العاشرة من الهجرة.

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٥)؛ وأبو داود (٣١٢٦)؛ وبنحوه عند البخاري كما في الحاشية (٢) في الصفحة التالية في هذا الكتاب.

قال ابن حزم: مات قبل موت النبي صلى الله عليه وآله بأربعة أشهر. ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله مرضه مشى إليه، فدعا بالصبي فضمه إليه وهو يكيد بنفسه، فدمعت عينا النبي صلى الله عليه وآله، وسلم الله تعالى قضاءه وقدره^(١).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله على أبي سيف القين - وكان ظئراً لإبراهيم عليه السلام - فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله إبراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك - وإبراهيم يجود بنفسه - فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله تدرفان، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «يا ابن عوف إنها رحمة»، ثم أتبعها بأخرى فقال: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»^(٢).

ثانياً: أخواتها:

١ - زينب:

أكبر بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، وُلدت سنة (١٠ قبل البعثة)، فهي أكبر من فاطمة بخمس سنين.

(١) جمهرة أنساب العرب، ص ١٦؛ الدوحة النبوية، ص ٣٤.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٠٣). القين: الحداد. ظئراً: مرضعاً، وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج مرضعة إبراهيم.

قال ابن إسحاق: سمعت عبد الله بن محمد بن سليمان الهاشمي يقول: (وُلدت السيدة زينب بنت سيدنا رسول الله ﷺ في سنة ثلاثين من مولده ﷺ، وأدركت الإسلام وهاجرت عليها السلام)^(١).

تزوجها أبو العاص بن الربيع^(٢) بن عبد العزى بن عبد شمس، القرشي العنشمي، ابن خالتها، فهو ابن هالة بنت خويلد أخت السيدة خديجة أم المؤمنين.

تأخر إسلامه إلى سنة (٦هـ)، فأسلم قبل الحُدَيِّية بخمسة أشهر.

قال المِسْوَر بن مَخْرَمَة: أثنى النبي ﷺ على أبي العاص في مصاهرته خيراً وقال: «حَدَّثَنِي فَصَّدَقَنِي، ووَعَدَنِي فَوَفَّى لِي»^(٣). وكان قد وعد النبي ﷺ أن يرجع إلى مكة، بعد وقعة بدر، فيبعث إليه بزينب ابنته، فوفى بوعده، وفارقها مع شدة حبه لها. وكان من تجار قريش وأمنائهم^(٤).

(١) سبل الهدى والرشاد: ٤٦٤/١١.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء: ٣٣٠/١ - ٣٣٤.

(٣) الحديث أخرجه البخاري وغيره، وسيأتي بتمامه: ص ١٥٦ - ١٥٧ في هذا الكتاب.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٣٣١/١.

وكانت زينب من المستضعفين بمكة من النساء، وكان النبي صلى الله عليه وآله قد أخذ وعداً على صهره بأن يخلي سبيلها لتلحق به، فهاجرت إلى المدينة سنة (٢هـ).

قال ابن إسحاق: (بعث رسول الله صلى الله عليه وآله زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه، فقال: «كُونا ببطن يأجج حتى تمرَّ بكما زينب، فتصحباهما حتى تأتياها بها» فخرجا مكانهما، وذلك بعد بذر بشهر أو شيعه. فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها، فخرجت تجهّز^(١)).

وقدِمَت على رسول الله صلى الله عليه وآله صحبة زيد والأنصاري.

ولما هاجر أبو العاص إلى المدينة ردَّ عليه النبي صلى الله عليه وآله زوجته زينب بعد ستة أعوام على النكاح الأول^(٢).

وُلدت زينب لأبي العاص: علي بن أبي العاص، مات مراهقاً. وأمّامة بنت أبي العاص، وهي التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحملها في صلاته.

تزوج علي بن أبي طالب أمّامة بعد وفاة خالتها فاطمة الزهراء، ومات عنها، فتزوَّجها بعده المغيرة بن نوفل بن

(١) السيرة النبوية: ٦٥٣/١. يأجج: واد بمكة شمال عمرة التنعيم، يبعد (١٠ كم) عن المسجد الحرام. شيعه: قريب منه.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣٣٢/١.

الحارث بن عبد المطلب، وماتت عنده. قيل: أنجبت لعلّي محمداً الأوسط، وللمغيرة ابنه يحيى، وأكثر أهل النسب أنها لم تنجب لهما، فانقطع بذلك نسل السيدة زينب، فليس لها عقب^(١).

توفيت زينب عليها السلام في أول سنة (٨هـ)^(٢).

وغسلتها أم عطية الأنصارية رضي الله عنها، وقد روت ذلك فقالت: (لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ، قال لنا رسول الله ﷺ: «اغسلنها وترأ، ثلاثاً أو خمساً، واجعلن في الخامسة كافوراً - أو: شيئاً من كافور - فإذا غسلتها فأعلمنني» قالت: فأعلمناه، فأعطانا حقّوه وقال: «أشعرنها إياه»)^(٣).

وكان النبي ﷺ يحبّها ويثني عليها رضي الله عنها وأرضاها، عاشت نحو ثلاثين سنة.

ومات زوجها أبو العاص بن الربيع في شهر ذي الحجة سنة (١٢هـ) في خلافة الصديق.

(١) نسب قريش، ص ٢٢؛ جمهرة أنساب العرب، ص ١٦؛ سير أعلام النبلاء: ٣٣٥/١؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٦٧/١١ - ٤٦٨.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣٣٤/١، ٢٥٠/٢.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٥٤)؛ ومسلم (٩٣٩) (٤٠)، وغيرهما. الحقو: المراد هنا الإزار، والأصل في الحقو: معقد الإزار، وسمي الإزار حقواً لأنه يُشد على الحقو. أشعرنها إياه: اجعلنه شعاراً لها، وهو الثوب الذي يلي بشرة الإنسان.

٢ - رقية^(١):

ولدت قبل البعثة بسبع سنين، وعمر النبي صلى الله عليه وآله (٣٣) سنة. تزوجها عتبة بن أبي لهب قبل البعثة النبوية، فلما نزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ قال له أبوه أبو لهب: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته. ففارقها ولم يكن دخل بها.

فتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهاجرت معه إلى الحبشة، ثم عادت معه إلى مكة مع من رجع. ثم هاجر عثمان بأهله إلى المدينة المنورة، ومرضت رقية بالمدينة لما خرج النبي صلى الله عليه وآله إلى غزوة بدر، فتخلف عليها عثمان ولم يشهد تلك الغزوة، فماتت رضي الله عنها يوم وصول زيد بن حارثة مبشراً بانتصار المسلمين بوقعة بدر، ودخل زيد المدينة حين سُوي على رقية التراب.

وكانت رقية قد أصابتها الحصبة، فماتت بها، وعمرها (٢٢) سنة.

ولدت من عثمان ابنه عبد الله، وبلغ ست سنين، فنقره

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ٦٥٢/١؛ طبقات ابن سعد: ٣٦/٨؛ سير أعلام النبلاء: ٢٥٠/٢؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٦٩/١١.

ديك في وجهه، فورم وجهه، فمات في جمادى الأولى سنة (٤هـ)، فصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل في حفرته أبوه عثمان بن عفان.

٣ - أم كلثوم^(١):

لا يُعرف لها اسم، وتُعرف بكنتيتها.

كان عُتبة بن أبي لهب قد تزوج أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، فلما نزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾، فارقتها عن أمر أبيه - كما جرى لأخيه عتبة - ولم يدخل بها.

أسلمت السيدة أم كلثوم مع أخواتها الطاهرات، وهاجرت إلى المدينة المنورة بعد هجرة النبي ﷺ، مع فاطمة وغيرها من عيال رسول الله ﷺ، فلم تزل بالمدينة.

فلما توفيت أختها رقية، تزوج بها عثمان وهي بكر في ربيع الأول سنة (٣هـ)، ولم تلد له. وتوفيت في شعبان سنة (٩هـ).

واتفق العلماء على أن أم كلثوم لم تلد ولم تعقب.

(١) طبقات ابن سعد: ٣٧/٨؛ سير أعلام النبلاء: ٢/٢٥٢؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٧٣/١١.

•• والذي تواردت به الأخبار وعليه أكثر المؤرخين في ترتيب مولد بنات النبي صلى الله عليه وآله: أن الأولى زينب، ثم الثانية رقية، ثم الثالثة أم كلثوم، ثم الرابعة فاطمة^(١).

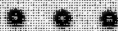


(١) الاستيعاب: ٣٦٢/٤؛ الإصابة: ٣٦٥/٤؛ تهذيب الكمال: ٢٤٨/٣٥.

الباب الثاني

فاطمة في محاضن النبوة تربية فريدة ومواقف شامخة

- معالم نشأتها في مطالع الدعوة، وإسلامها.
- تكامل وعيها وترقيتها تربيتها في أجواء مكة القاسية على الدعوة والرسالة.
- هجرة فاطمة إلى المدينة المنورة.
- فاطمة في المدينة المنورة، وأنماط أخرى من التربية النبوية، والمواقف الجليلة.
- اهتمام نبي بالغة بفاطمة وبناتها، ورعاية دائمة وحب عامر.



الفصل الأول

معالم نشأتها في مطالع الدعوة، وإسلامها

من حُسن طالع السيدة فاطمة أن يقترن مولدها في السنة الخامسة قبل البعثة النبوية بحادثة جليلة؛ هي (تجديد بناء الكعبة المشرفة) واختيار قريش أباها (الأمين) ليكون حَكَمًا فيما اُشْتَجِرَ بينها من خلاف على وضع الحجر الأسود، فاقترن الفرح بمولدها مع ذلك التكريم لأبيها؛ حيث يقضي بحكمته الرفيعة ورأيه السديد على غطارفة قريش وسادتها، فيسمعون له ويطيعون راضين مستبشرين.

وما هي إلا خمسة أعوام وفاطمة في مقبل طفولتها وتفتُح عقلها ومواهبها وأوج أحلامها؛ حتى جاء أباها (اختيار من نوع آخر)، فلقد نزل على (الصادق الأمين) جبريلُ (الوحي الأمين) من الله تعالى، يفجؤه بأنه نبيُّ هذه الأمة، ورسول الله إلى البشر كافة، ليجهرَ في بطحاء مكة وعلى رؤوس الآلهة المتعددة بأنه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

رُجَّت الأرض رجّةً عنيفة، وهبَّت أعاصير الوثنية القرشية في وجه الدين الجديد، وهزّت معها (فاطمة بنت السنوات

الخمس) وهي ترى أباهما في مواجهة أمواج الشرك، وهو يقف كالجبل الأشم ويأسو للناس ما هم فيه من ضلال، بقلب الداعية الحكيم الشفيق وعقل (النبي الأمين) الذي ارتضوه مُدَّ عهدٍ قريب ليكون حَكَمًا فيما اختلفوا فيه!.

لم ترتعد (الصَّبِيَّة الصَّغِيرَة) لِمَا جرى، ولم يُخالجها ريبٌ في صدق دعوة أبيها وهي التي أخذت منه (مورثات) الصدق والأمانة والحكمة والنُّبل والإخلاص والصبر الجميل، ورضعت من ثديي (خديجة الطاهرة) طبائعها وشمائلها التي فُطرت عليها وعُرفت بها من العقل والحِصَافَة والفَظَانَة والرزانة والحكمة والثبات والبصيرة النافذة، فضلاً عن أن (هذه الصبية) قد رأت أمَّها منذ الساعة الأولى تقف بجانب أبيها (الرسول الكريم)؛ تثبته وتقويه وتُثني عليه بما هو فيه وما هو له أهل لهذا الاختيار والتكريم.

ولقد ظهرت على (فاطمة) وهي في الخامسة من ربيع عمرها أماراتُ الكَيَاسَة والنَّجَابَة والفَظَانَة، وأدركت ماذا يعني كونها (بنتُ نبي هذه الأمة)، فلم تخشَ ما ينتظرها من مصاعب وخطوب تحملها لها الأحداث في قابل الأيام، ولم تُلقِ بالاً لِمَا تحلُم به لِدائِها في مرابع الطفولة، حيث يعيشن في خلوةٍ بال وراحة نفس.

إن أبناء العظماء لهم شأن آخر وهدف أعلى وغاية أسمى،
فلقد كانت فاطمة مع أخواتها الثلاث بناتٍ أعظم نبِيٍّ، وقد سَطَرْنَ
جميعاً في حياتهن أروع الأمثلة والبراهين على أنهن (صنعة النبوة).
وقد نشأت فاطمة وأخواتها الطاهرات بين أحضان أصدق
وأكرم أبوة، وأفضل وأحنى أمومة؛ يأخذن عن أبيهن أكرم
المكارم، وعن أمهن حصائل العقل الذي لا يُوزن به عقلُ امرأة
في السابقين ولا في اللاحقين.

فهنَّ عليهن السلام في قَرْنٍ مع أمهن السيدة خديجة، ينظمهن
معها عَقْدُ أسبق السابقين والسابقات إلى الإسلام، والتصديق
برسالة أبيهن سيد الخلق ﷺ، الذي كان أباً قبل أن يكون رسولاً،
وقد كانت مكارم أخلاقه وعظيم شهرته بها ورفيع صفاته التي تميّز
بها عن سائر بيئته وقومه بين أيديهن، يرينها رأيَ البصر والبصيرة،
ويسمعن أحاديث الناس عنها، والولد على نهج أبيه وأمه ينشأ.

قال الزُّرْقَانِي في «شرح المواهب اللدنية»: ولم تُذكر بناته ﷺ
في السابقين لأنه لا شك في تمسكهن قبل البعثة بهديهِ وسيرته.
وقد روى ابن إسحاق: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت:
لما أكرم الله نبيّه بالنبوة أسلمت خديجة وبناته^(١).

(١) انظر: محمد رسول الله ﷺ، للصادق عرجون: ٥١٢/١ - ٥١٤؛ السيرة

النبوية، للدكتور محمد أبو شهبة: ٢٨٤/١.

وترعرعت الطفلة في أحضان النبوة وظلال الوحي الذي
يتنزل على أبيها صلى الله عليه وآله غدواً وعشيّاً بآيات القرآن الحكيم، وتفتح
قلبها وعقلها على معاني آياته الكريمة مشفوعاً بالهدي النبوي
الرفيع الذي تعيشه غصّاً طريّاً في كل ساعة وموقف وحادثه.
فكانت ملكاتها ومداركها تشبّ وتنمو بما يفوق جسمها
الضئيل وسنّها الصغير، وهذا ما يفسّر لنا مواقفها الباهرة
وجراتها النادرة ووعيها الوقاد، ممّا يشهد به كثير من أحداث
الدعوة في مكة والمدينة، والذي ترجمت به السيدة الزهراء
ثمرات تلك النشأة الفريدة في سني طفولتها المباركة.



تكامـل وعيها وترقي تربيتها في أجواء مكة القاسية على الدعوة والرسالة

•• وقد مضت السُنن الإلهية على أن الأنبياء صلوات الله عليهم هم أشدُّ الناس بلاءً، ومن ألوان ابتلاءاتهم أن يُبتلى معهم أهلهم وذووهم؛ ليكونوا جميعاً قدوة للعالمين في التضحية والفداء والصبر على لأواء الحياة، ويكون ذلك إعلاء لأنفسهم ورفعاً لدرجاتهم.

وعلى ذلك كان سيدنا محمد ﷺ، فقد ضَرب المثل الأعلى في رسوخ العقيدة وصدق الإيمان وجلال التضحية وذروة الصبر الجميل. كما ابتُليت معه بناته اللائي أدركن الإسلام وعِشن في ظلاله وله، تضحيةً وبذلاً وصبراً وزهادة.

وعلى ذلك وفيه عاشت فاطمة البتول منذ طفولتها المبكرة؛ حيث قاست مع أبيها الرسول الأعظم ﷺ سنوات الدعوة الأولى في مكة، والمحَن القاسية والابتلاءات الشَّداد، وشَهِدَتْهُ وهو يدعو الملاً من قريش ورؤوس القبائل وأعيان الوافدين إلى مكة المكرَّمة، فيلقى الأذى الشديد والسخرية

والاستهزاء وأصنافاً عديدة من البلاء العظيم، فيُقابل ذلك وتقابل معه (بَضْعَتُهُ الصَّغِيرَةُ) بالألم النبيل والصبر الجميل والمضاء الثابت، احتساباً لوجه الله تعالى، وأملاً بالهداية لأولئك المعرضين!.

يروى ابن عباس فيقول: (إن الملاء من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاقدوا باللات والعُزَّى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف: لو قد رأينا محمداً، لقد قُمنّا إليه قيام رجل واحد فلم نُفارقهُ حتى نقتله! فأقبلت ابنته فاطمة تبكي، حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: هؤلاء الملاء من قريش قد تعاقدوا عليك، لو قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عَرَفَ نصيبه من دمك! فقال: «يا بُنَيَّةُ، أريني وضوءاً» فتوضأ، ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: هاهو ذا، وخَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ، وَسَقَطَتْ أَذْقَانُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، وَعَقَرُوا فِي مَجَالِسِهِمْ، فلم يرفعوا إليه بصرأ، ولم يَقُمْ إليه منهم رجل! فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قام على رؤوسهم، فأخذ قبضة من التراب، فقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» ثم حَصَبَهُمْ بِهَا، فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاةً إلا قُتل يوم بَدْرَ كافراً! ^(١).

(١) أخرجه أحمد (٢٧٦٢)؛ وابن حبان (٦٥٠٢)، وغيرهما، وصححه أحمد شاكر وشعيب الأرنؤوط.

وكانت فاطمة هناك غير بعيدة من أبيها، يتبعه قلبها وتحرسه عيناها، فجاءها الخبر المُفْطِع أن عتاة قريش قد آذوا النبي ﷺ بعمل خسيس دنيء، فهبت مسرعة لتزيل عنه فضلات جُزُور وهو ساجد، وأقبلت على أولئك الأندال تقرّعهم وتشتّمهم بجرأة باهرة أخرست ألسنتهم وكبّلت أيديهم ومرّغت بالتراب أنفاهم!.

عن عبد الله بن مسعود قال: (بينما رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، وجمع قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المُرّاثي؟ أيكم يقوم إلى جُزُور آل فلان، فيعمد إلى فزئها ودمها وسلاها فيجيء به، ثم يُمهلُه حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاؤهم، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجداً. فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، فانطلق مُنْطَلِقٌ إلى فاطمة عليها السلام، وهي جُويرية، فأقبلت تسعى، وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبّهم! فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «اللّهم عليك بقريش، اللّهم عليك بقريش، اللّهم عليك بقريش» ثم سَمَى: «اللّهم عليك بعَمْرُو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عُتبة، وأمّية بن خَلَف، وعُقبة بن أبي مُعَيْط، وعُمارة بن الوليد». قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم

بَدْر، ثُمَّ سُجِّبُوا إِلَى الْقَلْبِ قَلِيبٍ بَدْر. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله :
«وَأَتَّبِعْ أَصْحَابَ الْقَلْبِ لَعْنَةً!»^(١).

قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث وبيان فوائده:
(فيه قوة نفس فاطمة الزهراء من صغرها، لشرفها في قومها
ونفسها، لكونها صرخت بشتهم وهم رؤوس قريش، فلم
يردوا عليها)^(٢).

وشهدت فاطمة أباهما صلى الله عليه وآله وهو يبلغ الدعوة للامة
والخاصة، ويخاطب قريشاً وبطونها وعشيرته وأقاربه الأدين
حتى خاطبها هي؛ بأن يعملوا الخيرات والصالحات لِيُنْقِذُوا
أنفسهم من العذاب ويفوزوا برحمة الله ورضوانه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَرِيشاً فَخَصَّ وَعَمَّ
فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ
لَكُمْ مِنَ اللَّهِ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً. يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠) و(٥٢٠)؛ ومسلم (١٧٩٤)؛ والنسائي في
«الكبرى» (٢٩٢)؛ وأحمد (٣٩٦٢) وغيرهم. وسلي الجوزور: هي
الجلدة التي يكون فيها الولد، يقال لها ذلك من البهائم، وأما في
الآدميات فالمشيمة.

(٢) الفتح: ٦٣٩/١، شرح الحديث (٢٤٠).

أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً. يَا مَعْشَرَ بَنِي قُصَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً. يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً. يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكَ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً، إِنَّ لَكُمْ رَحِمًا وَسَاءَ بُلُّهَا بِلَالِهَا»^(١) لفظ الترمذي.

•• ومن أصناف المحنة وألوان الابتلاء التي عاشتها فاطمة وشاركت أبويها فيها، ما جرى على الفئة المؤمنة في (حصار الشَّعب) الظالم، الذي ضَرَبَتْهُ قريش على المسلمين.

وخلاصة هذه الحادثة الجليلة: أنه لَمَّا جَعَلَ الإسلام يَفْشُو في القبائل، وعَرَفَتْ قريش أن رسول الله ﷺ مَنَعَهُ اللهُ مِنْهَا، وقام عُمُه وقومه من بني هاشم وبني المطلب دونه، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به^(٢). فأَجْمَعَ المشركون من قريش على مُنَابَذَتِهِمْ وإِخْرَاجِهِمْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّعْبِ، وأَجْمَعُوا وَائْتَمَرُوا أَنْ يَكْتُبُوا كِتَاباً يَتَعَاقَدُونَ فِيهِ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ عَلَى: أَلَّا يُنْكَحُوهُمْ وَلَا يُنْكَحُوا إِلَيْهِمْ،

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)؛ ومسلم (٢٠٤)؛ والنسائي في «الكبرى»

(٦٤٤٠)؛ والترمذي (٣٤٦١)، وغيرهم.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام: ٣٥٤/١.

ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً،
ولا تأخذهم بهم رافة؛ حتى يُسلموا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم للقتل!
فلما اجتمعوا لذلك كتبوا صحيفة ثم تعاهدوا وتعاهدوا
على ذلك^(١).

فانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن
عبد المطلب، فدخلوا معه في شِعبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني
هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم^(٢)!
قال ابن عباس: حُصِرنا في الشَّعب ثلاث سنين، وقُطِعوا
عنا الميرة حتى إن الرجل ليُخرج بالنفقة فما يُبَايَع حتى
يرجع، حتى هَلَكَ من هَلَكَ^(٣).

وكانت بداية الحصار في المحرم من سنة (٧ للنبوة).

وكان هذا الفعل الأثيم من قريش محاولة يائسة لتردّ
المسلمين عن دينهم وتُجهض دعوتهم، وتبقي على زعامتها
الوثنية بمكة! ويأبى الله إلا أن يُتَمَّ نوره، فانكسر الحصار
وخرج المؤمنون أصلب عوداً وأمضى عزيمة...

(١) سبل الهدى والرشاد: ٥٠٢/٢.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام: ٣٥١/١.

(٣) سبل الهدى والرشاد: ٥٠٣/٢.

وفي نهاية هذه المحنة بلغت الزهراء من عمرها (١٥ سنة)، وقد تمرّست بلون جديد من الكفاح الصبور، وتعلّمت درساً فريداً من دروس الدعوة في الثبات ومضاء العزيمة لبلوغ الغاية، وأن الله تعالى ناصر دينه وملتأمره لو كره الكافرون!.

•• ولم يمض زمن طويل على هذه المحنة القاسية حتى واجهت فاطمة البتول بنت السادسة عشرة ابتلاءً أشدَّ ألماً لقلبها وأعظمَ لوعةً لنفسها؛ ذلكم هو وفاة أمها خديجة بنت خويلد أسبق الخلق إلى الإسلام، وركن البيت النبوي، والأنيس الداخلي لقلب صاحب الرسالة الخالدة ﷺ وأم أولاده، فكانت فاجعة قاسية جثمت على فؤاد الزهراء حتى أنستها ما سبقها من ابتلاءات جسام!.

توفيت خديجة عليها السلام في السنة العاشرة للبعثة قبل الهجرة بثلاث سنين، ودُفنت بالحجون بمكة. وفي العام نفسه مات أبو طالب، فكان ذلك ألماً على ألم لقلب رسول الله ﷺ، حتى سُمي ذلك العام (عام الحزن).

وهذا ما زاد فاجعة فاطمة وقد رأت أباهما ﷺ تراكت عليه الأحزان وتفاقت الخطوب واصطلحت الابتلاءات، وهو ﷺ ماضٍ في دعوته لا يصدّه إيذاء ولا يخذش في عزيمته تكالب الأعداء، ولا يأبئه لضيق سبل الأرض... وسرعان ما جاء الفرج

الأعلى والمكرمة العظمى والحفاوة من أهل السماء؛ فكانت
 حادثة الإسراء والمعراج تمسح عن جبين النبوة ما علق بها
 من غبار المعركة بين الحق والباطل، وفتحت السماوات
 أبوابها، فكانت مكرمةً للنبي صلى الله عليه وآله لم يتلها مخلوق سواه! ورجع
 منها بالصلوات الخمس، وفتحت أمامه فسحة الكون، وانزاح
 عن كاهله ما تراكم من آلامٍ يُقال؛ فكان ذلك سعادة لقلبه
 الطاهر، كما كان سعادة لا تدانيها سعادة لفاطمة الزهراء وبقية
 أخواتها.



الفصل الثالث

هجرة فاطمة إلى المدينة المنورة

هاجرت السيدة فاطمة بعد أبيها ﷺ بعدة أشهر، وكانت إذ ذاك بنت (١٨) سنة، وهي في أوج الفتوة وجيشان الشباب والعزيمة والطموح إلى معالي الأمور وبذل التضحيات والصبر على أعتى المشقات.

حيث بعث رسول الله ﷺ وهو نازل في دار أبي أيوب الأنصاري من يُحْضِر أولاده وزوجه - كما رواه الطبراني وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: (لما هاجر رسول الله ﷺ وأبو بكر خَلَفْنَا بمكة، فلما استقر بالمدينة بعث زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه، ومعهما بعيران وخمس مئة درهم، ليحيئنا بفاطمة وأمّ كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ، وسودة بنت زَمْعَة زوجته، وأسامة بن زيد - وكانت رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان، وزينب مع زوجها بمكة أبي العاص بن الربيع - وجاءت معهم أم أيمن امرأة زيد بن

حارثة، وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر وفيهم عائشة أم المؤمنين^(١).

ولم يكن طريق الهجرة سهلاً ميسوراً، فما كاد ركب المهاجرين هؤلاء يفصل عن مكة ليأخذ طريق المدينة؛ حتى طاردهم بعض اللثام من المشركين، فقام غميز الرجولية (الحويرث بن نُقيذ) وامتنطى ظهر راحلته وألهبها بالسياط ليلحق بابنتي رسول الله صلى الله عليه وآله، فنَحَسَ بهما جملهما فرمى بهما على أديم الصحراء^(٢)!

وهي فَعْلَةٌ خسيسة وعملٌ عارٍ عن الرجولية والمروءة وأخلاق العرب، وقد قاست بنتا النبي صلى الله عليه وآله من هذه الفَعْلَة الأثمة فضلاً عن وَعْثاء السفر، فكابدتا السير أياماً وليالي حتى وصلتا إلى المدينة.

ولم يمرَّ هذا العمل الغادر المَشِين دونما عقاب، فقد كان الحويرث قبل هذا يؤذي النبي صلى الله عليه وآله ويهجوه، فكانت عقوبته أنه أخذ الذين أهدر رسول الله صلى الله عليه وآله دماءهم يوم فتح مكة، وقد قتله علي بن أبي طالب عليه السلام.



(١) طبقات ابن سعد: ٦٢/٨ - ٦٣؛ المستدرک: ٤/٤ - ٥؛ مجمع الزوائد:

٢٢٧/٩؛ سبل الهدى والرشاد: ٣/٣٩٣ - ٣٩٤.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام: ٤١٠/٢؛ سبل الهدى والرشاد: ٣٤٠/٥.

الفصل الرابع

فاطمة في المدينة المنورة وأنماط أخرى من التربية النبوية والمواقف الجليلة

أولاً: وفاة شقيقتها رقية:

انضمت فاطمة عليها السلام إلى كَنَف أبيها عليه السلام من جديد بعد أن فقدت أُنْسَه ولطفَه ورعايته نحو عشرة أشهر، حيث هاجر قبلها إلى المدينة واستقر بها تلك المدة، ثم بعث إليها من يهاجر بها... ومضت الأيام وهي في بيت النبوة تشهد ببناء الدولة الجديدة وما يكتنفها من أحداث كبار، كان أجلُّها وقعة بدر الكبرى سنة (٢هـ)، التي اهتزت لها جزيرة العرب بانتصار القلَّة المؤمنة على جمع المشركين من قريش.

ولم تكتمل فرحة فاطمة فقد حملت الأيام في مطاويها ابتلاءً جديداً لبيت النبوة، حيث كانت السيدة رقية بنت رسول الله عليه السلام وزوج عثمان بن عفان تكابد المرض، وما إن أسفَرَ وجهُه غزوة بدر عن النصر وجاء البشير بذلك إلى المدينة، حتى كان القضاء قد حُكَّمَ بوفاة رقية عليها السلام ^(١)، فتجمل عليها السلام

(١) انظر ما تقدم؛ ص ٥٦ في هذا الكتاب.

بالصبر واحتسبها عند الله تعالى مثل ما احتسب ولدَيْه القاسم وعبد الله!.

ونزل الخبر ممتزجاً بالألم والحزن البالغ على قلب السيدة الزهراء، التي فقدت أختها الشابة بنت الثانية والعشرين، والتي تكبرها بسنتين فقط.

ثانياً: الزواج الميمون:

يَبْدُ أن الحياة لا تجري على وجه واحد؛ ففيها العسر واليسر، وفيها الحزن والفرح، والإنسان يتقلب في ألوانها واختباراتها، والمؤمن أمره كله له خير... فلم يمض سوى قريب من الشهرين بُعيد غزوة بدر حتى طرق باب بيت النبوة نبأً كريم يحمله شاب جليل قريبٌ كلَّ القرب من رسول الله صلى الله عليه وآله: قرابةً روح، وقرابةً نسب، وقرابةً شرف، وقرابةً منزل، وملاصقةً في العيش والرعاية استمرت زهاء عشرين سنة... ذلكم الطارق الكريم النبل هو علي بن أبي طالب، جاء يخُطِبُ بَصُعَةَ النبي الكريم صلى الله عليه وآله ويرغب إليه بأن يقبله زوجاً لمحبوبته الأثيرة فاطمة البتول...

وجاء الجواب النبوي بالموافقة والغبطة، فكان الزواج المبارك الميمون في ذي القعدة من السنة الثانية للهجرة،

وأضحت فاطمة منذئذٍ في بيت الزوجية، قريبة ملاصقة لحجرات أمهات المؤمنين.

وانتقلت الزهراء إلى مرحلة جديدة من الحياة، تابعت فيها مسيرة حياتها المباركة، التي لم يتركها رسول الله ﷺ يوماً واحداً إلا وكان يأتيها، ويرعاها هي وزوجها وأبناءها بالتربية والتوجيه، ويرتقي بهم جميعاً إلى أرفع مراتب سير الأبناء، لتكون مع زوجها وأولادها أطيب ثمار تربية سيد الأنبياء والمرسلين.

ثالثاً: في غزوة أُحُد:

والمرأة المسلمة كما أنها تربي الأطفال وتصنع الأبطال وتشارك في حياة المجتمع وبنائه وترقيته، هي كذلك لها دور جليل في حركة الجهاد وميادين القتال؛ تعين الرجال وتضمّد الجراح وتثبتّ المقاتلين، وقد كان لفاطمة مواقف مهمة في هذا، مثل ما كانت صاحبة مواقف مشهودة في الفترة المكية وجهاد البلاغ.

ففي غزوة أُحُد بعدما خالفَ الرماة أمرَ النبي ﷺ، وحققت الهزيمة بالمسلمين، وخلّص العدو إلى رسول الله ﷺ، ونالته الجراح فجرحته شفتاه السفلى ودخلت حلقتا المغفر في

وجنتيه وكُسِرَت رِبَاعِيَّتُهُ اليمنى السفلى وسَقَطَ في الحفرة وسال دمه الطاهر... كانت هناك فاطمة تلاصق أباهما بقلبها وعقلها وعينيها ويديها اللتين كانتا تضمّدان جراحه!.

عن أبي حازم، عن سَهْل بن سعد الساعدي: (أن رجلاً سأل عن جُرح رسول الله صلى الله عليه وآله - يوم أُحُد - فقال: جُرح وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، وكُسِرَت رِبَاعِيَّتُهُ، وهُشِمَتِ الْبَيْضَةُ على رأسه صلى الله عليه وآله، فكانت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله تَغْسِلُ الدم وعلي عليه السلام يَسْكُبُ الماءَ عليها بِالْمِجْنِ، فلما رأت فاطمة عليها السلام أن الماء لا يزيد الدمَ إلا كثرةً، أخذتُ قطعةً من حصير فأحرقته، حتى إذا صار رماداً أَلَصَقْتُهُ بِالْجُرح فاستمسكَ الدم^(١).

وأوضحت رواية الطبراني سبب مجيء فاطمة إلى أُحُد، قال: (لما كان يوم أُحُد وانصرف المشركون، خرج النساء إلى الصحابة يعينونهم، فكانت فاطمة فيمن خرج، فلما رأت النبي صلى الله عليه وآله اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم، فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير فأحرقته بالنار وكمدته به حتى لَصِقَ بِالْجرح فاستمسكَ الدم^(٢)).

(١) أخرجه البخاري (٢٤٣)؛ ومسلم (١٧٩٠)؛ والترمذي (٢٢١٧)؛ وابن حبان (٦٥٧٩)، واللفظ له. المِجْنُ: الثَّرَس.

(٢) المعجم الكبير، للطبراني (٥٨٩٧)؛ الفتح: ٣٣١/٩ - ٣٣٢، شرح الحديث (٤٠٧٥).

وأعطاه النبي ﷺ وزوجها عليّ سيفيهما فغسلت عنهما الدم.
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما رجع رسول الله ﷺ أعطى فاطمة ابنته سيفه فقال: «يا بُنَيَّة، اغسلي عن هذا الدم»، فأعطاه عليّ سيفه فقال: وهذا فاغسلي عنه دمه، فوالله لقد صدقني اليوم القتال، فقال رسول الله ﷺ: «لئن كنت صدقت القتال اليوم، لقد صدق معك القتال اليوم سهل بن حنيف وسماك بن خرشة أبو دُجانة»^(١)).

رابعاً: في غزوة الفتح:

كان للسيدة فاطمة مع أبيها ﷺ مواقف ومشاهد قبل الغزوة وفي أثنائها وبعد الانتهاء منها.

فبعد أن نقضت قريش صلح الحُدَيْبية مع رسول الله ﷺ، أسرع زعيمها أبو سفيان وأغذ السير إلى المدينة ساعياً في تجديد الصلح، ومستجدياً للنبي ﷺ في قبول ذلك، وتشفع إليه بأبي بكر وعمر وعثمان، فردّوه جميعاً بكلام شديد.

فتوجّه إلى علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة رضي الله عنهما، و(دخل أبو سفيان على عليّ فقال: يا علي، إنك أمس القوم بي رحماً،

(١) أخرجه الحاكم: ٢٤/٣، وصححه؛ وهو في السيرة النبوية، لابن هشام:

وإني جئتُ في حاجة فلا أرجعُ كما جئتُ خائباً، فاشفعَ لي إلى محمد. فقال: وَيَحَاكَ يا أبا سفيان، والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وآله على أمرٍ ما نستطيعُ أن نكلمه فيه!... فلما أيسَ مما عنده، دخل على فاطمة الزهراء عليها السلام، والحسن غلام يدبُ بين يديها، فقال: يا بنتَ محمد، هل لك أن تُجيري بين الناس؟ فقالت: إنما أنا امرأة، وأبَت عليه. فقال: مُري ابنك هذا فيُجير بين الناس، فيكون سيدَ العرب إلى آخر الدهر. قالت: والله ما بَلَغَ ابني ذاك أن يُجير بين الناس، وما يُجير أحدٌ على رسول الله صلى الله عليه وآله ^(١).

وعزم النبي صلى الله عليه وآله على فتح مكة، فسار في جيش قوامه عشرة آلاف صحابي، وكانت ابنته الزهراء معه، ووصل الفاتحون إلى مكة، فطهَّرها عليها السلام من الأوثان، وارتفع الأذان في جنباتها.

وعادت لفاطمة ذكريات الصِّبا في بيتها بمكة المكرمة، بعد أن انقطعت عنها ثمانية أعوام. وزاد من فرحها أن أباهَا صلى الله عليه وآله قد أمر أن تُركز رايته (بالْحَبْجُون) بالقرب من مَثْوَى أمها العظيمة خديجة بنت خويلد! فاستعرضت في خيالها ما سجَّلَتْه ذاكرتها من أحداث ومواقف في تلك الأيام الجميلة على قسوتها، ومن أجلِّ تلك الأحداث ما كان من

(١) مصنف عبد الرزاق (٩٧٣٩)؛ السيرة النبوية، لابن هشام: ٣٩٦/٢؛ سبل

الهدى والرشاد: ٣١٤/٥.

(الحويرث بن نُقَيْد) الذي نَحَسَ راحلتها فسقطت هي وأختها أم كلثوم على الأرض! ووجدت أباهما ﷺ لم يتساهل إزاء هذا العمل الأثيم، حيث أهدر دماء نفر قليل وأمر بقتلهم ولو وُجِدوا تحت أستار الكعبة، وكان ذلك مصير الحويرث الذي خَطَفَ سيفٌ علي عنقه!.

وَقَلَّ ما كانت فاطمة تفارق أباهما ﷺ؛ ترعاه وتخدمه وتنفذه أوامره وتوجيهاته، ومن ذلك أنها تُحضر له الماء ليغتسل، وتُسْتَرُ عليه عن الناس.

تروي الصحابية أم هانئ بنت أبي طالب فتقول: (ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ عامَ الفتح، فوجدته يغتسلُ، وفاطمة ابنته تَسْتُرُهُ، فسَلَّمْتُ عليه، فقال: «مَنْ هذه؟» فقلتُ: أنا أم هانئ بنت أبي طالب، فقال: «مَرْحَباً بأمِّ هانئ». فلما فَرَعَ من غُسْلِهِ قام فصَلَّى ثمانَ ركعات مُلتَحِفاً في ثوب واحد^(١)).

وكان هذا الغُسل من أثر الغبار، كما بينت ذلك رواية أحمد في «المسند».



(١) أخرجه البخاري (٣١٧١) و(٢٨٠)؛ ومسلم (٣٣٦)؛ والترمذي (٢٩٣٢)؛ وأحمد (٢٦٨٩٢)، وغيرهم.

الفصل الخامس

اهتمام نبوي بالغ فاطمة وبنيتها ورعاية دائمة وحب غامر

كان من قدر الله تعالى وابتلائه لنبية ﷺ - زيادةً في أجره ورفعاً لمنزلته - أنه فَقَدَ جميعَ أولاده ما عدا فاطمة البتول، فتوفيت زينب في أول سنة (٨هـ)، فحزن ﷺ عليها حزناً شديداً، وأما فاطمة فكانها ثكلت أمها من جديد؛ ذلك أن شقيقتها زينب هي أكبر أخواتها وتكبر فاطمة بخمس سنين، والبنت الكبرى في الأسرة بمثابة أمٍّ لأخواتها.

وفي السنة التالية في شعبان سنة (٩هـ) توفيت أم كلثوم آخر شقيقات فاطمة، فزادها ذلك أسى ولوعةً، إذ لم يبقَ من أسرتها غير أبيها ﷺ ! وكذلك هو ﷺ توالى ابتلاءاته في أولاده فلم يبقَ له منهم سوى فاطمة؛ حيث أكرمهم الله تعالى بها ورزقها الأولاد الذين امتدَّ بهم العمر، فكانوا جميعاً يملؤون دنيا رسول الله ﷺ بهجةً وسروراً، وأمّا هم فقد فازوا بالمربي الأعظم الذي أعطاهم كل عاطفة الأبوة وحنانها ورعايتها، فكانوا أنسَه وسلوته من الدنيا بما يعوضونه عَمَّن فَقَدَهُ ويعزُّونه عَمَّنْ غاب.

فكان رسول الله ﷺ دائم الاتصال بهم والرعاية لهم والحنو عليهم ودخول بيتهم وتفقد أحوالهم، لا يكاد يمر يوم إلا ويأتيهم ويتعاهدهم، ويمر ببيتهم حتى في صلاة الفجر، وإذا سافر كان آخر عهد بإنسان من أهله فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم من سفره فاطمة. وتستقبله هي وتعانقه وتقبل وجهه وعينه وتجلسه في مكانها، ويفعل هو بها مثل ذلك إذا قدمت عليه.

كذلك كان يرعى أبناءها ويحملهم ويداعبهم ويطعمهم ويسقيهم بيده الشريفة، حتى إنهم ليرتحلونه عند سجوده في صلاته فيتمادى في السجود ليتتم سعادتهم بذلك! بل إن كان ليتمس لسان أحدهم في أسلوب رقيق لمداعبة الأطفال، فكان ﷺ المثل الأعلى في رحمته وحنانه، كما هو المثل الأعلى في كل شيء، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

ونجد الأمثلة الكثيرة والمواقف المثيرة في هذا الباب مما سيأتي بيانه في الباب التالي.



الباب الثالث

فاطمة الزهراء الزوجة المثالية

- مَقْلَمَاتُ الزَّوْجِ.
- الرِّفَاقُ الْمَبْسُورُ، وَالْأَيَّامُ الْأُولَى مِنَ الزَّوْجِ.
- حَيَاةُ زُهْدٍ وَتَقَشُّفٍ وَجَدٍّ وَاجْتِهَادٍ وَعِبَادَةٍ.
- تَرْبِيَةُ نَبِيَّةٍ حَاتِيَةٍ جَلِيلَةٍ، وَرِعَايَةُ دَائِمَةٍ.
- الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ.
- أَحَادِيثُ وَاهِيَةٌ وَمَوْضُوعَةٌ، وَمَزَاحِمٌ وَمَجَازِفَاتٌ بَاطِلَةٌ.

الفصل الأول

مقدمات الزواج

في كل مجتمع يتطلع عليّة القوم وذوو المكانة فيهم إلى مصاهرة الأشراف ورؤوس الناس، لتتلاقى الفضائل والمكارم والخصال الرفيعة والشمائل الشريفة بين الأزواج، فينجبون الأبناء الذين تتجدّد فيهم صفات الآباء وتتصل عناصر السيادة والشرف والسُّؤدّد وقيادة الأمة وسياسة المجتمع والحياة... فما بالك إذا كان وليّ المصاهرة وصاحب الشأن هو رسول الله ﷺ سيد ولد آدم وذروة سنام فضائل البشر؛ محتدّاً وأرومة ونسباً وشرفاً وخُلُقاً وسيادة وسُؤدّداً، فضلاً عن أنه خيرة الله من خَلْقِهِ ليكون خاتمة رسله إلى الناس كافة ورحمة الله للعالمين؟!.

لا مرأى بأننا سنجد كثيرين من ذوي المكانة والحسب والنسب والشرف والسيادة في قومهم سيطمحون إلى أن يتصلوا برسول الله ﷺ بسبب، ويفوزوا بشرف الدنيا وعزّ الآخرة، وبخاصة إذا أضفنا إلى جميع ما تقدم أنه ﷺ أخبر

فقال: «كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مَنْقُطٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا سَبَبِي وَنَسَبِي»^(١).

في ضوء ذلك ندرك حرص عثمان بن عفان وأبي العاص بن الربيع العَبْشَمِيِّينِ الْقُرَشِيِّينِ عَلَى مَصَاهِرَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، وكذلك استباق أبي بكر وعمر وعليٍّ إِلَى خُطْبَةِ فَاطِمَةِ الزَّهْرَاءِ، فاعتذر عليها السلام لصاحِبَيْهِ الْجَلِيلَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ لِأَنَّهُ كَانَ وَعَدَ بِهَا عَلِيًّا مِنْ قَبْلُ، وَلِفَارَقِ السَّنِّ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَلِأَنَّهُ عليها السلام اتَّصَلَ بِهِمَا بِزَوَاجِهِمَا مِنْ جِهَةٍ ثَالِثَةٍ؛ فَكَانَتِ الْأَقْدَارُ تَعْقِدُ سَبَبَ الْمَصَاهِرَةِ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؛ فَكَانَتِ حَكْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَشِيئَتُهُ أَنْ يَتَّصَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِسَبَبٍ وَنَسَبٍ مَعَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْأَرْبَعَةِ!

أولاً: من رغب بالزواج من فاطمة، وموافقته عليها السلام على علي:

عن بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْنِ رضي الله عنه قَالَ: (خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَاطِمَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «إِنَّهَا صَغِيرَةٌ»، فَخَطَبَهَا عَلِيٌّ، فَزَوَّجَهَا مِنْهُ)^(٢).

(١) السلسلة الصحيحة (٢٠٣٦)؛ صحيح الجامع (٤٥٢٧).

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٥٣١٠)، وفي الصغرى: ٦٢/٦؛ وابن حبان (٦٩٤٨)؛ والحاكم: ١٦٧/٢ وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني وشيخ الأرنؤوط.

قلت: أبو بكر أكبر من فاطمة بـ (٣٢) سنة، وعمرُ أكبرُ منها بـ (٢٢) سنة، أما عليٌّ فيكبرها بخمس سنين.

وروى حُجْر بن العَنَس - وهو تابعي مُخَضَّرٌ ثقة، شهد مع علي الجمل وصفين - قال: (خَطَبَ أبو بكر وعمر فاطمة إلى رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «هي لك يا علي، لستُ بدجال» يعني: لستُ بكذاب، وذلك أنه قد كان وَعَدَ عليّاً بها قبل أن يخطُبَ إليه أبو بكر وعمر)^(١).

وهذا فيه إرسال لأن حُجراً تابعي، وقد ترجم له الحافظ ابن حجر في «الإصابة» فيمن أدرك النبي ﷺ ولم يره، وأورد له هذا الحديث وقال: اتفقوا على أن حُجْر بن العَنَس لم يَرِ النبي ﷺ، فكأنه سمع هذا من بعض الصحابة^(٢).

وقد جاء في هذا الموضوع أحاديث كثيرة ضعيفة جداً وواهية وموضوعة، نذكر هنا واحداً منها، ونورد أمثلة أخرى في «الباب السابع»^(٣).

(١) طبقات ابن سعد: ١٩/٨ - ٢٠؛ المعجم الكبير، للطبراني (٦٥٧١)؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٧٧/١١؛ وذكره الهيثمي في المجمع: ٢٠٤/٩، وقال: رجاله ثقات إلا أن حُجراً لم يسمع من النبي ﷺ.

(٢) الإصابة: ٣٧٤/١.

(٣) انظر: ص ٢٦٥ - ٢٧٤ في هذا الكتاب.

روى يحيى بن يعلى الأسلمي، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: (جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقعده بين يديه فقال: يا رسول الله، قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام، وإني وإني، قال: «وما ذاك؟» قال: تزوجني فاطمة، قال: فسكت عنه. فرجع أبو بكر إلى عمر، فقال له: قد هلك وأهلك! قال: وما ذاك؟ قال: خطبت فاطمة إلى النبي صلى الله عليه وآله، فأعرض عني، قال: مكانك حتى آتي النبي صلى الله عليه وآله فأطلب مثل الذي طلبت. فأتى عمر النبي صلى الله عليه وآله، فقعده بين يديه، فقال: يا رسول الله، قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام، وإني وإني، قال: «وما ذاك؟» قال: تزوجني فاطمة، قال: فسكت عنه، فرجع إلى أبي بكر فقال له: إنه ينتظر أمر الله فيها، فم بنا إلى علي حتى نأمره يطلب مثل الذي طلبنا.

قال علي: فأتيتني وأنا أعالج فسيلاً لي، فقالا: إننا جئناك من عند ابن عمك بخطبة، قال علي: فنّبّهاني لأمر، فقممت أجر ردائي حتى أتيت النبي صلى الله عليه وآله، فقعده بين يديه، فقلت: يا رسول الله، قد علمت قدمي في الإسلام ومناصحتي، وإني وإني، قال: «وما ذاك؟» قلت: تزوجني فاطمة، قال: «وعندك شيء؟» قلت: فرسي وبَدَنِي^(١)، قال: «أما فرسك فلا بد لك

(١) البَدَن: الدرع من الزرد.

منه، وأما بَدْنُكَ فَبِعُهَا»، قال: فَبِعْتُهَا بأربع مئة وثمانين، فَبِعْتُ بها حتى وَضَعْتُهَا فِي حَجَرِهِ، فَقَبِضَ مِنْهَا قَبْضَةً فَقَالَ: «أَيُّ بِلَالٍ، ابْتَغِنَا بِهَا طَيِّباً». وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْهَزُوهَا، فَجَعَلَ لَهَا سَرِيرًا مَشْرُطًا بِالْشَرْطِ، وَوَسَادَةً مِنْ أَدَمٍ حَشَوْهَا لَيْفًا، وَقَالَ لَعَلِّي: «إِذَا أَتَيْتَكَ فَلَا تُحَدِّثْ شَيْئًا حَتَّى آتِيكَ». فَجَاءَتْ مَعَ أُمِّ أَيْمَنَ حَتَّى قَعَدَتْ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ وَأَنَا فِي جَانِبِ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «هَاهُنَا أَخِي؟» قَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ: أَخَوُكَ وَقَدْ زَوَّجْتَهُ ابْنَتَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ...» الْحَدِيثُ، وَفِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ مَاءً وَمَجَّ فِيهِ ثُمَّ نَضَحَهُ عَلَى فَاطِمَةَ بَيْنَ ثَدْيَيْهَا وَعَلَى رَأْسِهَا وَبَيْنَ كَتِفَيْهَا، وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ مَعَ عَلِيٍّ، ثُمَّ دَعَا لَهُمَا، ثُمَّ قَالَ لَعَلِّي: «ادْخُلْ بِأَهْلِكَ، بِسْمِ اللَّهِ وَبِالْبَرَكَةِ»^(١).

قال الحافظ ابن حجر: الحديث ظاهرٌ عليه الافتعال. وقال في ترجمة يحيى بن يعلى الأسلمي من «تهذيب التهذيب»: أخرج له ابن حبان في «صحيحه» حديثاً طويلاً في تزويج فاطمة، فيه نكارة.

وقال العلامة شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف^(٢).

(١) أخرجه ابن حبان (٦٩٤٤)؛ والطبراني في الكبير: ٢٢/(١٠٢١).

(٢) انظر: صحيح ابن حبان: ٣٩٣/١٥ - ٣٩٦ وهامشه؛ تهذيب التهذيب:

٢٦٦/١١؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٧٩/١١ - ٤٨٠؛ مجمع الزوائد:

ثانياً: مهر فاطمة وجهازها:

كان يُسرُّ المهر وبساطة الجهاز والتقلُّل من الدنيا من مزايا عصر الصحابة، وفي مقدمة الشروط الواجب توافرها في الشاب الذي يتقدم للخطبة راعياً بالزواج أن يكون ثخين الدين رفيع الأخلاق، عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا أتاكم من تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»^(١).

وأهم صفات الفتاة التي يحرص العقلاء على الزواج بها: أن تكون ذات دينٍ وَحَسَبٍ وَنَسَبٍ؛ كما قال النبي صلى الله عليه وآله: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرُبَّتْ يَدَاكَ»^(٢).

وقد جمع العروسان (علي وفاطمة) أوفر نصيب من كل مكرمة وفضيلة ومزية مما تقدم، أما سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله والد (العروس) فقد كان قدوة العالمين في كل خير وفضل ومنقبة، وأقام من نفسه الشريفة وابنته وصهره أنبل الأمثلة على تيسير الزواج في كل سبيل.

(١) أخرجه الترمذي (١١٠٩)؛ وابن ماجه (١٩٦٧)، وحسنه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٩٠)؛ ومسلم (١٤٦٦)؛ وأبو داود (٢٠٤٧)، وغيرهم.

يتقدم إليه ربيبُ النبوة ابنُ عمه الذي تربى في حجره راعباً بكريمته السيدة البتول، وهو قليل ذات اليد لا يملك من متاع الدنيا إلا ما يَسُدُّ الرَّمَقَ ويُقيم الأَوَدَ ويستر الجسد، فلا يجدُّ منه إلا ما عرفه من كرم الأخلاق ونُبُلِ الشَّيَمِ وطلاقة الوجه والزهد بالدنيا، فيقبل منه مهراً زهيداً لأحبِّ بناته إليه وآخرهنَّ زواجاً، فيرزقه الله منها أكرمَ حَفْدة تتصل بهم ذريته الطاهرة.

•• عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن علياً قال: تزوّجتُ فاطمة، فقلتُ: يا رسول الله، ابن لي، فقال: «أَعْطِهَا شَيْئاً» قال: ما عندي شيء، فقال: «أَيْنَ دِرْعُكَ الحُطَمِيَّةُ؟» قلت: عندي، قال: «فَأَعْطِهَا إِيَّاهُ»^(١)).

وجاء عن ابن عباس روايات أخرى قريبة منها^(٢).

وفي رواية عند رجل سمع علياً رضي الله عنه يقول: (أردتُ أن

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٥٥٤١)، وفي الصغرى: ١٢٩/٦، وصححه الألباني. قوله: «الحُطَمِيَّة»: هي التي تَحْطِمُ السيوف؛ أي تكسرها. وقيل: هي العريضة الثقيلة. وقيل: هي منسوبة إلى بطن من عبد القيس يُقال لهم: حُطَمَة بن محارب، كانوا يعملون الدروع، وهذا أشبه الأقوال. النهاية: ٤٠٢/١. والدرع تُدَكَّر وتُؤَثَّث.

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٢٥)؛ والنسائي في «الكبرى» (٥٥٤٢)؛ وابن حبان (٦٩٤٥).

أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته، ثم ذكرت أنه لا شيء لي، فذكرت عائدته وفضله، فخطبها، فقال لي: «هل عندك شيء تعطيها إياه؟» قلت: لا، قال: «فأين درعك الحُطمية التي أعطيتكها يوم كذا وكذا؟» قلت: هي عندي، قال: «فأت بها» قال: فجئت بها، فأعطيتها إياها، فزوجنيها^(١).

وروى عكرمة، عن ابن عباس: أنه سمعه يقول: (ما استحلَّ عليَّ فاطمة إلا ببدرٍ من حديد)^(٢).

•• ويحدثنا عليٌّ عليه السلام عن موقف مُثير مُعجِب بيِّن فيه كيفية استعداده لتوفير (تكاليف الزفاف) ونفقات وليمة العرس: فيروي الحسين بن علي عليهما السلام: أن علياً قال:

(كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي ﷺ أعطاني شارفاً من الخمس، فلما أردت أن أبني بفاطمة بنت رسول الله ﷺ، واعدت رجلاً صَوَاغاً من بني قَيْنُقَاع أن يرتحل معي فنأتِي بإذخِر أردت أن أبيعَه الصَّوَاغِينَ وأستعين به في وليمة عُرْسي.

(١) أخرجه الحميدي (٣٨)؛ وأحمد (٦٠٣)؛ وابن سعد: ٢٠/٨، وإسناده ضعيف لجهالة الراوي عن علي، لكن تشهد له الأحاديث المتقدمة.

(٢) أخرجه ابن حبان (٦٩٤٦)؛ والبيهقي: ٢٣٤/٧، وصححه شعيب الأرنؤوط.

فبينما أنا أجمع لشارفِي متاعاً من الأقتاب والغرائر
والجبال، وشارفِي مَنَاحان إلى جَنُب حجرة رجل من
الأنصار، فرجعتُ حين جمعتُ ما جمعتُ، فإذا شارفِي قد
اجْتَبَّ أسنمتهما وبَقَرَتْ خواصِرهما، وأُخِذَ من أكبادهما، ولم
أَمْلِك عيني حين رأيتُ ذلك المنظر منهما، فقلت: مَنْ فعل
هذا؟ فقالوا: فعل حمزة بن عبدالمطلب، وهو في هذا البيت
في شَرَبٍ من الأنصار!.

فانطلقتُ حتى أدخلَ على النبي ﷺ، وعنده زيدُ بن
حارثة، فعَرَفَ النبي ﷺ في وجهي الذي لقيتُ، فقال النبي ﷺ:
«ما لك؟» فقلت: يا رسول الله، ما رأيتُ كالיום قَطُّ، عَدَا حمزة
على ناقَتِي فَجَبَّ أسنمتهما وبَقَرَ خواصِرهما، وهما ذا في
بيت مع شَرَبٍ!.

فَدَعَا النبي ﷺ بردائه فارتدى، ثم انطلق يمشي، واتَّبَعْتُهُ
أنا وزيدُ بن حارثة، حتى جاء البيت الذي فيه حمزة
فاستأذَن، فأذنوا لهم، فإذا هم شَرَبٌ. فطَفِقَ رسولُ الله ﷺ
يَلُومُ حمزةَ فيما فعل، فإذا حمزة قد ثَمِلَ محمَرَّةَ عيناه، فنظر
حمزة إلى رسول الله ﷺ، ثم صَعَدَ النظرَ فنظر إلى ركبتيه،
ثم صَعَدَ النظرَ فنظر إلى سُرَّتِهِ، ثم صَعَدَ النظرَ فنظر إلى
وجهه، ثم قال حمزة: هل أنتم إلا عبيدُ لأبي؟! فعرف

رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قد ثَمِلَ، فَكَصَّ رسول الله صلى الله عليه وآله على عَقْبَيْهِ القَهْقَرَى، وخرجنا معه^(١).

وعن عِلْبَاءِ بْنِ أَحْمَرَ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: (خَطَبْتُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ، فَبَاعَ عَلِيٌّ دِرْعاً لَهُ وَبِعَضَ مَا بَاعَ مِنْ مَتَاعِهِ، فَبَلَغَ أَرْبَعَ مِائَةِ دِرْهَمٍ وَثَمَانِينَ دِرْهَمًا، وَأَمَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله أَنْ يَجْعَلَ ثَلَاثِيهِ فِي الطَّيِّبِ، وَثَلَاثاً فِي الثِّيَابِ، وَمَجَّ فِي جِرَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَغْتَسِلُوا بِهِ)^(٢).

•• ومثل ما كان المهرُ يسيراً كان الجَهازُ بسيطاً يشمل أثاثاً قليلاً يؤدي الغرض ويفي بالحاجة، ولم يحتج معه عليُّ الشاب أن يستدين من المال ما يشتري به فاخر الثياب ولوازم النوم والجلوس والأضياف والأكل والشرب، مما يُجهدُه تحصيله ويؤدُّه ثمنه... فالسكن حجرة متوسطة المساحة معتدلة الارتفاع قد فُرشت أرضها بالرمْل الناعم، والأثاث ولوازم الحياة

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨٩) و(٣٠٩١) واللفظ له؛ ومسلم (١٩٧٩)؛ وأبو داود (٢٩٨٦)، وغيرهم. الشارف: المسن من النوق. اجتب: الجب: الاستئصال في القطع. شَرَب: جمع شارب. ثَمِل: سكران. وهذا كان قبل تحريم الخمر.

(٢) أخرجه أبو يعلى (٣٥٣)؛ وابن سعد: ٢١/٨ - ٢٢؛ وذكره الهيثمي في المجمع: ١٧٥/٩ وقال: رجاله ثقات؛ وصححه محقق مسند أبي يعلى.

الزوجية: فراشٌ حشوه ليف، ووسادة حشوها إذخر، وقطيفة ذات خمل، وجلد كبش، وحصير للجلوس عليها، ومنشفة، ومنخل، ورحيان، وسقاء وجرتان وقَدَح، وعِطْر وطيب.

- عن علي عليه السلام: (أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة، بعث معها بخميلة ووسادة من آدم حشوها ليف ورحيَّين وسقاء وجرتين)^(١).

- وفي رواية عن علي: (أن رسول الله ﷺ أتى علياً وفاطمة، وهما في خميل لهما - والخميل: القُطيفة البيضاء من الصوف - قد كان رسول الله ﷺ جهَّزهما بها، ووسادة محشوة إذخراً، وقربة)^(٢).

- وروى ابن سعد: عن امرأة كانت مع النسوة اللاتي أهدى فاطمة - أي هيأَها وزَفَنَها - إلى علي، قالت: (أُهديت في بُرْدَيْن عليها دُمْلُوجان من فضة مصفران بزعفران، فدخلنا بيتَ علي فإذا إهاب شاة على دُكَّان، ووسادة فيها ليف، وقربة ومُنْخَل ومِنْشَفَة وقَدَح)^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٨١٩)، وصححه أحمد شاكر. وسيأتي مطولاً: ص ١٢٤ - ١٢٥ في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٥٢)؛ وأحمد (٦٤٣)؛ وابن حبان (٦٩٤٧)، وصححه أحمد شاكر والألباني.

(٣) طبقات ابن سعد: ٢٤/٨. الدُمْلُوج: سوار يحيط بالعُضْد. دُكَّان: مضطبة.

- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: (لَمَّا جَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ إِلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه، بَعَثَ مَعَهَا بِخَمِيلٍ - وَهِيَ الْقَطِيفَةُ - وَوَسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشَوْهَا لَيْفَ، وَإِذْخِرَ، وَقِرْبَةً، كَانَا يَفْتَرِشَانِ الْخَمِيلَ وَيَلْتَحِفَانِ بِنَصْفِهِ!)^(١).

- وعن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما قالتا: (أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُجَهِّزَ فَاطِمَةَ حَتَّى نُدْخِلَهَا عَلَى عَلِيٍّ، فَعَمَدْنَا إِلَى الْبَيْتِ فَفَرَشْنَاهُ ثُرَاباً لَيْناً مِنْ أَعْرَاضِ الْبَطْحَاءِ، ثُمَّ حَشَوْنَا مِرْفَقَتَيْنِ لَيْفاً فَتَفَشَّنَاهُ بِأَيْدِينَا، ثُمَّ أَطْعَمْنَا تَمْرًا وَزَبِيْبًا وَشَقِينَا مَاءً عَذْبًا، وَعَمَدْنَا إِلَى عُودٍ فَعَرَضْنَاهُ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ يُلْقَى عَلَيْهِ الثُّوبُ وَيُعَلَّقُ عَلَيْهِ السَّقَاءُ، فَمَا رَأَيْنَا غُرْسًا أَحْسَنَ مِنْ غُرْسِ فَاطِمَةَ)^(٢).

ثالثاً: الذين حَضُّوا عَلِيًّا عَلَى (خُطْبَةِ فَاطِمَةَ) وشاركوا في مساعدته بالمهر والوليمة ومظاهر الفرح:

وقد حثَّ عَلِيًّا عَلَى خُطْبَةِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُ

(١) مجمع الزوائد: ٢١٠/٩ وعزاه للطبراني؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٨٣/١١. الخميصة: بساط له خُمْلٌ أي هُذْبٌ رقيق. أَدَمٌ: جلد. الإِذْخِرَ: حشيشة طيبة الرائحة تُسَقَفُ بِهَا الْبُيُوتُ فَوْقَ الْخَشَبِ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٩١١)، وهو حديث ضعيف ضعفه الألباني وشعيب الأرنؤوط. أعراض البطحاء: جوانب البطحاء، والبطحاء: مسيل الماء الواسع يتجمع فيه الحصى والرمال. مِرْفَقَتَيْنِ: مِخْدَتَيْنِ.

وجماعة من الأنصار رضي الله عنهم جميعاً، واحتفى المجتمع الإسلامي بهذا الزواج المبارك، وشارك فيه المهاجرون والأنصار رجالاً ونساءً، واغتبطوا به وحثوا عليه وسعوا فيه، وأسهموا في تمام الخطبة، وبذلوا أموالهم في المهر وصنع الوليمة، وأظهروا كافة أسباب الفرح والسعادة؛ إكراماً وإجلالاً وإعزازاً للنبي الأعظم ﷺ وآل بيته الأطهار.

•• روى مجاهد: عن علي بن أبي طالب قال: (خُطِبَتْ فاطمة إلى رسول الله ﷺ، فقالت لي مولاة لي: هل علمت أن فاطمة خُطِبَتْ إلى رسول الله ﷺ؟ قلتُ: لا، قالت: فقد خُطِبَتْ، فما يَمْنَعُكَ أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوّجك؟! فقلت: وعندي شيءٌ أنزّوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوّجك! فوالله ما زالت تُرَجِّيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ وكانت لرسول الله ﷺ جلاله وهيبه، فلما قعدت بين يديه أفضحتُ فوالله ما أستطيع أن أتكلّم! فقال: «ما جاء بك؟ ألك حاجة؟» فسكتُ، فقال: «لعلك جئتَ تخطب فاطمة؟» قلت: نعم، قال: «وهل عندك من شيء تستحلّها به؟» فقلتُ: لا والله يا رسول الله، فقال: «ما فعلت بالدّرع التي سلّختُكها؟» فقلت: عندي، والذي نفس عليّ بيده إنها لحطميّة ما ثمنها أربع مئة درهم، قال: «قد

زَوْجُكَ، فابعث بها»، فإن كانت لَصَدَاقَ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ^(١).

وعن بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْب رضي الله عنه: (أن نَفَرًا من الأنصار قالوا لعلي عليه السلام: لو خطبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله! فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله، فسلم عليه، فقال: «ما حاجة ابن أبي طالب؟» قال: ذكرت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «مَرْحَبًا وَأَهْلًا» لم يَزِدْهُ عليهما. فخرج علي عليه السلام على أولئك الرَهْط من الأنصار ينتظرونه، قالوا: ما وراءك؟ قال: ما أدري، غير أنه قال لي: «مَرْحَبًا وَأَهْلًا» قالوا: يكفيك من رسول الله صلى الله عليه وآله إحداهما؛ أعطاك الأهلَ وأعطاك المرحب. فلما كان بعد ذلك بعدما زَوَّجَهُ، قال: «يا علي، إنه لا بدَّ للغرس من وَلِيْمَةٍ» فقال سعد: عندي كبشٌ، وجمع له رَهْطٌ من الأنصار آصُعًا من ذُرَّة. فلما كان ليلة البناء، قال: «يا علي، لا تحدث شيئاً حتى تلقاني» قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بإناء فتوضأ فيه، ثم أفرغه على علي عليه السلام ثم قال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِمَا، وَبَارِكْ عَلَيْهِمَا، وَبَارِكْ لهما في نَسْلِهِمَا».

وفي رواية: «وبارك لهما في شَبْلَيْهِمَا» ^(٢).

(١) أسد الغابة: ٥٢٠/٥ - ٥٢١.

(٢) أخرجه ابن سعد: ٢١/٨؛ والنسائي في «الكبرى» (١٠٠١٦)؛ وأحمد (٢٣٠٣٥)؛ والطبراني في «الكبير» (١١٥٣)؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (٥٩٤٧)، وقال العلامة شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

•• وفي كتب الشيعة: أن أبا بكر وعمر وعثمان ساعدوا علياً في زواجه وتوفير المهر والنفقات، كما شهد الخلفاء الثلاثة عقد الزواج بأمر النبي ﷺ، وهذا ما يؤكد العلاقة الحميمة بين الصحابة عامة والأربعة الكبار أبي بكر وعمر وعثمان وعلي خاصة، في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، لا كما يزعم الأفاكون المفترون قديماً وحديثاً.

- يقول علي رضي الله عنه: (إني لمّا تقدّمتُ إلى رسول الله ﷺ طالباً منه زواج فاطمة، قال لي: «بِعْ دِرْعَكَ وَاثْنِي بِثَمَنِهَا حَتَّى أَهَيِّئَ لَكَ وَلَا بِنْتِي فَاطِمَةُ مَا يُصْلِحُكُمْ» قَالَ عَلِيٌّ: فَأَخَذْتُ دِرْعِي فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى السُّوقِ فَبِعْتُهُ بِأَرْبَعِ مِئَةِ دِرْهَمٍ سُودَ هَجْرِيَّةٍ مِنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ، فَلَمَّا قَبِضْتُ الدِّرَاهِمَ مِنْهُ وَقَبِضَ الدِّرْعَ مِنِّي قَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، أَلَسْتُ أُولَى بِالْدِرْعِ مِنْكَ وَأَنْتَ أُولَى بِالْدِرَاهِمِ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا الدِّرْعَ هَدِيَّةٌ مِنِّي إِلَيْكَ! فَأَخَذْتُ الدِّرْعَ وَالدِّرَاهِمَ وَأَقْبَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَطَرَحْتُ الدِّرْعَ وَالدِّرَاهِمَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَخْبَرْتَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ عَثْمَانَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِخَيْرٍ^(١).

(١) المناقب، للخوارزمي، ص ٢٥٢ - ٢٥٣؛ كشف الغمة، للإربلي:

٣٥٩/١؛ بحار الأنوار: ٣٩/١٠ - ٤٠؛ الشيعة وأهل البيت، ص ١٣٣ -

- ويروي محمد باقر المَجْلِسِي - السَّبَّاب الشَّام للصحابه وخاصة أبا بكر وعمر - فيقول: (في يوم من الأيام كان أبو بكر وعمر وسعد بن معاذ جلوساً في مسجد الرسول ﷺ، وتذكروا ما بينهم بزواج فاطمة عليها السلام. فقال أبو بكر: أشرافُ قریش طلبوا زواجها من النبي ولكن الرسول قال لهم بأن الأمر في ذلك إلى الله - ونظن أنها لعلي بن أبي طالب - وأمّا علي بن أبي طالب فلم يتقدّم بطلبها إلى رسول الله لأجل فقره وعدم ماله.

ثم قال أبو بكر لعمر وسعد: هيّا بنا إلى علي بن أبي طالب لنشجّعهُ ونكلّفهُ بأن يطلب ذلك من النبي، وإنْ مانعهُ الفقر نساعده في ذلك. فأجاب سعد: ما أحسنَ ما فكرتَ به! فذهبوا إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام... فذكر خبراً طويلاً^(١).

بل إن أبا بكر قام بتهيئة متطلبات الزواج وأعدّها بأمر رسول الله ﷺ، كما يروي الطُّوسِي: أن عليّاً باعَ درعَهُ وأتى بِثَمَنِهِ إلى الرسول، (ثم قبضه رسول الله من الدراهم بكلتا يديه، فأعطاهَا أبا بكر وقال: ابْتَغْ لفاطمةَ ما يصلحها من ثياب وأثاث البيت. وأردفَهُ بعمار بن ياسر وبعدةٍ من أصحابه،

(١) جلاء العيون، للمجلسي: ١٦٩/١؛ الشيعة وأهل البيت، ص ٧٢ - ٧٣.

فحضروا السوق، فكانوا يعرضون الشيء مما يصلح فلا يشترونه حتى يعرضوه على أبي بكر، فإن استصلحه اشتروه. حتى إذا استكمل الشراء، حمل أبو بكر بعض المتاع، وحمل أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا معه الباقي! ^(١).

ويروي علي بن عيسى الإزبلي في كتابه «كشف الغمة»: (عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال له: «انطلق فادع لي أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير، وبعدهم من الأنصار» قال: فانطلقت فدعوتهم له، فلما أن أخذوا مجالسهم، قال رسول الله ﷺ بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «ثم إنني أشهدكم أنني قد زوجت فاطمة من عليٍّ على أربع مئة مثقال فضة» ^(٢)).

ونحن فيما نورده من «كتب الشيعة» إنما هو لإلزامهم بما في كتبهم، لتأكيد العلاقة الأخوية بين أصحاب النبي ﷺ، وبخاصة الخلفاء الأربعة، وإجلال الجميع وإعظامهم لأهل البيت، ودحض مفتريات الرافضة في ذلك.



(١) الأمالي، للطوسي: ٣٩/١؛ جلاء العيون، للمجلسي: ١٨٦/١؛ الشيعة

وأهل البيت، ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) كشف الغمة: ٣٤٨/١ - ٣٤٩؛ بحار الأنوار: ٤٧/١ - ٤٨؛ الشيعة وأهل

البيت، ص ٧٥.

الفصل الثاني

الزفاف الميمون، والأيام الأولى من الزواج

أولاً: فرح غامر وتوجيهات نبوية:

بهجة وسعادة وفرح عَمِيم غمر المدينة النبوية بزواج الزهراء، وشارك في فرحة آل البيت الصحابة الأخيار رجالاً ونساءً وكباراً وصغاراً.

وأضاءت توجيهاتُ المربي الأعظم ﷺ جوانب حياة هذا البيت الجديد منذ أول أيامه، وأخذ الناس ذلك الهدي النبوي بالاعتداء والالتزام، ونُقل إلى الأجيال من بعدهم بأمانة ودقة؛ ليكون نبراساً لهم في حياتهم وعلاقات الزوج بزوجته، ودور الأهل والمجتمع في مثل هذه المناسبات الجليلة الجميلة.

عن أبي يزيد المَدَنِي، عن أسماء بنت عُمَيْس قالت: (كنتُ في زِفاف فاطمة بنتِ رسول الله ﷺ، فلما أصبحنا جاء النبي ﷺ فضرب الباب، ففَتَحَتْ له أم أيمن الباب، فقال: «يا أمَّ أيمن، ادْعِي لي أخي» قالت: هو أخوك وثَنَكِيه؟! قال: «نعم يا أم أيمن». وسمعن النساءُ صوتَ النبي ﷺ، فتنَحَّين. قالت: واختبأتُ أنا في ناحية. قالت: فجاء

علي، فدعا له رسول الله ﷺ، ونَضَحَ عليه من الماء. ثم قال: «ادْعُوا لي فاطمة» فجاءت خُرْقَةً من الحياء، فقال لها: «قد أنكحْتُكَ أَحَبَّ أهل بيتي إليَّ» ودَعَا لها، ونَضَحَ عليها من الماء. فخرج رسول الله ﷺ فرأى سواداً، فقال: «مَنْ هذا؟» قلت: أسماء، قال: «ابنةُ عُميس؟» قلت: نعم، قال: «كنتِ في زفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ تُكْرِمِيه؟» قلت: نعم، قالت: «فدَعَا لي»^(١). خُرْقَةً: أي خَجَلَةٌ مدهوشة.

وفي حديث بُريدة المتقدم مطولاً: (قال رسول الله ﷺ ليلة بنى علي بفاطمة: «لا تُحَدِّثْ شيئاً حتى تلقاني» فدَعَا بماء فتوضأ فيه ثم أفرغه عليهما وقال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلهما»)^(٢).

وقالت أم أيمن: (وَلَيْتُ جَهَّازَ فاطمة، فكان فيما جَهَّزْتُها به مِرْفَقَةً من أدم حشوها ليف، وبَطْحَاء مفروش في بيتها)^(٣).

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٤٥٥)؛ والحاكم: ١٥٩/٣؛ وبأطول منه: عبد الرزاق (٩٧٨١)؛ والطبراني في «الكبير»: ١٣٧/٢٤ (٣٦٥)؛ وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد: ٢١٠/٩): رجاله رجال الصحيح؛ وقال الحافظ في المطالب العالية (١٥٧٤): رجاله ثقات، لكن أسماء بنت عميس كانت في هذا الوقت بأرض الحبشة، فلعل ذلك كان لأختها سلمى امرأة حمزة بن عبد المطلب.

(٢) ذكره الحافظ في الإصابة: ٣٦٦/٤، وقال: سنده جيد.

(٣) طبقات ابن سعد: ٢٤/٨.

هكذا كانت أمور الزواج: من الخطبة والمهر ووليمة العرس وليلة الزفاف؛ يسراً وسهولة وبساطة وقناعة وزهادة وعدم انشغال بالزخارف والرياش وحطام الدنيا، في بيت هو من أعز بيوتات قریش حسباً ونسباً وشرفاً ومنزلة وفضلاً ونُبلاً. فنبت من ذلك الهندي جيلٌ عزيز النفس قوي الإرادة عالي الهمة صلب العود، لا ينحني أمام المغريات ولا يلين عند الملمات، فانقادت له الدنيا وهي راغمة، وانطلق في أصقاع الأرض فاتحاً منتصراً حراً كريماً عزيزاً، وقدم للبشرية أروع الأمثلة في التضحية والفداء والسمو والسماحة والعدل والإخلاص، فكان أصدق ترجمة لمبادئ الإسلام وهدي القرآن وثمرات التربية النبوية.

ثانياً: تاريخ الزواج وعمر العروسين ومنزلتهما:

اختلف في تاريخ زواج فاطمة، وفي عُمرها وعمر علي عند زواجهما، كما اختلف في تاريخ مولدهما:

١ - تاريخ الزواج:

والراجح أن بناء عليٍّ بالزهراء كان سنة (٢هـ) بعد وقعة بدر.

• قال خليفة بن خياط في أحداث سنة (٢هـ): فيها تزوج علي بفاطمة^(١). ولم يحدد شهراً بعينه.

(١) تاريخ خليفة، ص ٦٥.

وعند ابن سعد: تزوج علي بن أبي طالب فاطمة بنت رسول الله ﷺ في رجب بعد مقدم النبي ﷺ المدينة بخمسة أشهر، وبني بها مرجعه من بدر^(١).

وجزم ابن كثير أن علياً بنى فاطمة سنة اثنتين للهجرة بعد وقعة بدر، وكانت بدر في رمضان، واحتج بحديث علي في (قصة الشارفين) اللتين جبَّ أسنمتهما عمه حمزة^(٢). وكذلك جزم به الحافظ في «الفتح»، وقال: لعله في سؤال سنة اثنتين^(٣).

ونحن نستبعد ما جاء عند ابن سعد وغيره من أن تكون الخطبة وعقد الزواج في رجب سنة (١هـ)، والبناء والزفاف بعيد بدر سنة (٢هـ)، فتكون المدة زهاء (١٥ شهراً)، إذ لم يكن من عادتهم تأخير الزواج عن الخطبة كثيراً، إذا علمنا يسر مستلزمات العرس والزفاف، وأيضاً بالنظر الفاحص للأحاديث ومجريات أحداث الخطبة والزواج التي قدمناها في المبحث السابق؛ مما يشي بتلاحق أمور الزواج وسرعتها وقصر المدة بين الخطبة والزفاف.

(١) طبقات ابن سعد: ٢٢/٨؛ وانظر: سبل الهدى والرشاد: ٤٧٦/١١.

(٢) البداية والنهاية: ٣٤٥/٣.

(٣) الفتح: ٦٦٠/٧ (٣٠٩١)، ٧١٦/٨، أول مناقب فاطمة.

وقال ابن عبد البر وغيره: أنكح رسول الله ﷺ فاطمة علي بن أبي طالب بعد وقعة أُحُد. ونقله عنه النووي والذهبي ولم يتعقباه^(١).

وقد ردّه الحافظ بما جاء في «الصحيحين» عن علي في قصة الشارفَيْن لما ذبحهما حمزة، وكان علي أراد أن يبيني بفاطمة، فهذا يدفع قول من زعم أن تزويجه بها كان بعد أُحُد فإن حمزة قُتل بأُحُد^(٢).

فالصحيح كما تقدم أن بناء علي بفاطمة عليها السلام كان بعد وقعة بدر سنة (٥٢هـ).

٢ - عمرُ الزوجين:

ذكر ابن سعد عن شيخه الواقدي: أن فاطمة كانت يوم بنى بها علي بنت (١٨ سنة)^(٣).

وقال ابن عبد البر وغيره: كان سنّها يوم تزويجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وكانت سن علي إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر^(٤).

(١) الاستيعاب: ٣٦٢/٤؛ تهذيب الأسماء واللغات: ٣٥٢/٢؛ سير أعلام النبلاء: ١١٩/٢.

(٢) الإصابة: ٣٦٦/٤.

(٣) طبقات ابن سعد: ٢٢/٨.

(٤) الاستيعاب: ٣٦٢/٤؛ سير أعلام النبلاء: ١٢٨/٢.

قلت: هذا قالوه بناءً على الاختلاف في تاريخ مولد علي وفاطمة، والراجح أن علياً وُلد قبل البعثة بعشر سنين، وفاطمة قبلها بخمس سنين، ومدة الدعوة بمكة (١٣) سنة، والزَّفاف كان سنة (٢هـ)؛ فيكون سِنُّ علي (٢٥) سنة، وسِنُّ السيدة فاطمة (٢٠) سنة، والله تعالى أعلم.

٣ - سكن السيدة فاطمة قبل الزواج وبعده:

عندما هاجر رسول الله ﷺ نزل على أبي أيوب الأنصاري في داره، وعندما بنى مسجده الشريف اتخذ لنفسه حُجراتٍ صغيرة لتكون سكناً له ولزوجاته الطاهرات، وقد بنى في بداية الأمر حجرتين حيث كانت عنده زوجتان: الأولى سَوْدَة بنت زَمْعة تزوجها بعد وفاة خديجة قبل الهجرة بثلاث سنين، وعائشة بنت أبي بكر وقد دخل بها بعد الهجرة.

وقد كان ﷺ كلما تزوج بواحدة من أمهات المؤمنين بنى لها حجرة على غرار حجرتي سودة وعائشة.

وكان للصحابي الجليل حارثة بن النعمان الأنصاري منازل قرب منزل النبي ﷺ، فكان كلما أحدث رسول الله ﷺ أهلاً تحوّل له حارثة بن النعمان عن منزل بعد منزل، حتى قال النبي ﷺ: «لقد استحييتُ من حارثة بن النعمان مما يتحوّل لنا عن منازلهِ»^(١).

(١) طبقات ابن سعد: ٤٨٨/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٣٨٠/٢.

وكان من جملة تلك الحجرات حجرة لابتني رسول الله صلى الله عليه وآله أم كلثوم وفاطمة، وموقعها الآن في المكان الذي توجد فيه الحواجز الحديدية الأربعة المحيطة بالحجرة النبوية التي تضم القبر الشريف وقبري الشيخين^(١).

وكانت الحجرات متوسطة المساحة دانية السقف مبنية من لبن وجريد النخل ومستورة بمُسوح الشعر.

قال معاذ بن محمد الأنصاري: (سمعت عطاء الخراساني في مجلس فيه عمر بن أبي أنس يقول وهو فيما بين القبر والمنبر: أدركتُ حُجَرَ أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله من جريد النخل على أبوابها المُسوح من شَعَر أسود.

قال معاذ: فلما فرغ عطاء الخراساني من حديثه، قال عمر بن أبي أنس: كان منها أربعة أبيات بلبن، لها حُجَر من جريد، وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة لا حُجَر لها، على أبوابها مُسوح الشعر، وذَرَعْتُ السَّيْر - أي الباب - فوجدته ثلاث أذرع في ذراع^(٢).

وقال داود بن قيس: (رأيتُ الحُجرات من جريد النخل،

(١) فاطمة الزهراء، للدكتور محمد عبده يمانى، ص ١٧٦.

(٢) طبقات ابن سعد: ٤٩٩/١ - ٥٠٠؛ سبل الهدى والرشاد: ٥٠٦/٣ -

٥٠٨. المُسوح: جمع المِسْح، وهو الكساء من الشعر.

مغشاة من خارج بمسوح الشعر. وأظن عَرَضَ البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحواً من ست أو سبع أذرع. وأحزِرُ البيت الداخل عشر أذرع. وأظن سُمِّكَه بين الثمان والسبع، نحو ذلك. ووقفتُ عند باب عائشة فإذا هو مستقبل المغرب^(١). وقال الحسن البصري: (كنتُ أدخلُ بيتَ أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان بن عفان، فأتناول سُقْفَهَا بيدي)^(٢).

•• وعندما تزوجت السيدة فاطمة أصبح لها حجرة هي وزوجها، وهي حجرة صغيرة أيضاً وفيها مكان صلاتها ومحرابها... وفيها المكان الذي بنى فيه عليٌّ بالسيدة فاطمة، وكانت حجرتها خلف بيت أم المؤمنين عائشة^(٣).

وعن عمر بن علي بن عمر بن علي بن الحسين قال: (كان بيت فاطمة في موضع الزُّور مَخْرَجَ النبي ﷺ، وكانت فيه كوة إلى بيت عائشة رضي الله عنها، فكان رسول الله ﷺ إذا قام إلى المَخْرَجِ أَطْلَعَ من الكوة إلى فاطمة فعلم خبرهم)^(٤).

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٥١)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٥٠)؛ وابن سعد: ٥٠١/١، وصححه الألباني.

(٣) فاطمة الزهراء، للدكتور محمد عبده يمانى، ص ١٨١.

(٤) المرجع السابق، ص ١٨٢ - ١٨٣. الزور: مصدر زاره، وجمع زائر أيضاً. انظر الرسم في الصفحة ٣٦٢ في هذا الكتاب.

وأخرج ابن سعد من طريق الواقدي: عن أبي جعفر الباقر قال: (لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة نزل على أبي أيوب سنة أو نحوها. فلما تزوج عليّ فاطمة، قال لعلّي: اطلب منزلاً، فطلب عليّ منزلاً، فأصابه مستأخراً عن النبي صلى الله عليه وآله قليلاً، فبنى بها فيه، فجاء النبي صلى الله عليه وآله إليها فقال: إني أريد أن أحولك إليّ، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: فكلّم حارثة بن النعمان أن يتحوّل عني، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد تحوّل حارثة عنا حتى قد استحييت منه. فبلغ ذلك حارثة فتحوّل، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تحوّل فاطمة إليك، وهذه منازلتي وهي أشقّب بيت بني النجار بك، وإنما أنا ومالي لله ولرسوله، والله يا رسول الله المال الذي تأخذ مني أحبّ إليّ من الذي تدع! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: صدقت، بارك الله عليك. فحوّلها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيت حارثة)^(١).

فكان بيت فاطمة بعد زواجها قريباً جداً من بيت النبي صلى الله عليه وآله ملاصقاً لحجرات أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

وفي آخر هذا الكتاب^(٢) شكلان يوضحان مواضع حجرة فاطمة وحجرات أزواج النبي صلى الله عليه وآله.



(١) طبقات ابن سعد: ٢٢/٨ - ٢٣؛ المنتظم: ٨٧/٣ - ٨٨. أسقّب: أقرب.

(٢) انظر: ص ٣٦٢ - ٣٦٣.

الفصل الثالث

حياة زهد وتقشف وجد واجتهاد وعبادة

تمهيد:

في بيت مكوّن من حجرة واحدة تضم جهازاً بسيطاً وأثاثاً متواضعاً، عاشت السيدة البتول مع زوجها الصحابي الجليل وأولادهما رياحين رسول الله ﷺ وأحبائه وقرّة عينه من الدنيا.

ولم تكن حياة فاطمة مترفة مرفّهة ولا ناعمة ليّنة متبسّطة، بل كانت أقرب إلى الخشونة والتقشف والتقلل من حطام الدنيا ومتاعها ومباهجها وطعامها وشرابها. وهي في ذلك تختلف عن أخواتها الثلاث اللاتي أُتيح لهن في بيت الزوجية حظ وافر من الثراء المادي والتبسط من الدنيا وسعة العيش... فأختها زينب تزوجت من أبي العاص بن الربيع أحد أثرياء مكة وتجار قريش، وأختها رقية وأم كلثوم تزوجت الواحدة بعد الأخرى من عثمان بن عفان وهو من يُضرب المثل بثرائه وكثرة أمواله وعظم تجارته.

أما عليّ فكان قليلَ ذات اليد، لم يتلُ حظاً من المال المكتسب أو الموروث، فأبوه أبو طالب على عظيم مكانته في قومه وعلوّ شرفه فيهم وسيادته عليهم كان قليل المال كثير العيال، وهذا ما حدّا بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله والعباس بن عبد المطلب أن يخفّفا من أعبائه فأخذا اثنين من ولده، وكان علي من نصيب رسول الله صلى الله عليه وآله وعاش في حجره.

وعندما عزم عليّ على خطبة فاطمة لم يجد ما يقدمه صداقاً لها، فباع درعه وأعانه الصحابة على وليمة عرسه. وكان عليه السلام شهم النفس كريم الشمائل، يؤجّر نفسه عند أهل المدينة ويقوم بتنزع الماء وغير ذلك من الأعمال ليكتسب ما يعول به أسرته.

وقد وصف حاله عند زواجه فقال: (لقد تزوّجتُ فاطمة وما لي ولها فراش غير جلد كبش، ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار، وما لي ولها خادم غيرها!).

وعن جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر: (أن عليّاً حين دخل بفاطمة كان فراشهما إهاب كبش، إذا أراد أن يناما قلباه على صوفه، ووسادتهما من آدم حشوها ليف)^(١).

(١) طبقات ابن سعد: ٢٢/٨ - ٢٣. الناضح: البعير الذي يُستقى عليه الماء.

وبلغ من شدة الحال وقلة المال أنه لم يستطع أن يشتري لزوجته خادماً تعينها على شؤون الحياة والبيت والأولاد، والسيدة الزهراء راضية صابرة محتسبة متجملّة بالقناعة، تقوم بشؤون البيت وتطحن بالرحى وتربي الأولاد وترعى أمور الزوج، حتى أضناها التعب! وحزن علي لحالها، وآلمه أكثر أنه ربما كان يمرّ عليهم اليوم واليومان وليس في بيتهم شيء، فيسعى جاهداً ليوفر للأسرة ما يسد الرّمق ويحفظ النفس ويقيم الأود، والأم الرؤوم ترى ذلك فلا يسعها إلا الرضا والافتداء بأبيها العظيم ﷺ، وقد عاشت معه حياة الزهد والكفاف، وكان ﷺ يتعاهدهم بتربيته ورأفته ورحمته، ويشاركهم عيشهم الخشن، ويوجود عليهم بين الحين والآخر إذا وجد سعة.

لقد علّم رسول الله ﷺ أمته دروس الزهد والصبر والقناعة، وكان هو وأزواجه الطاهرات وآل بيته الكرام مضرب المثل في هذا وفي كل فضل.

أولاً: مواقف ونماذج من خشونة عيش فاطمة وأسرتها:

•• عن ابن عباس قال: (خرج أبو بكر بالهاجرة إلى المسجد، فسمع بذلك عمر، فقال: يا أبا بكر ما أخرجك هذه الساعة؟ قال: ما أخرجني إلا ما أجِدُ من حاقّ الجوع، قال:

وأنا والله ما أخرجني غيره. فبينما هما كذلك، إذ خرج عليهما النبي صلى الله عليه وآله، فقال: «ما أخرجكما هذه الساعة؟» قالوا: والله ما أخرجنا إلا ما نجد في بطوننا من حاقّ الجوع، قال: «وأنا والذي نفسي بيده ما أخرجني غيره، فقوموا».

فانطلقوا حتى أتوا باب أبي أيوب الأنصاري، وكان أبو أيوب يدّخر لرسول الله صلى الله عليه وآله طعاماً أو لبناً، فأبطأ عنه يومئذٍ، فلم يأت لحينه، فأطعمه لأهله، وانطلق إلى نخله يعمل فيه، فلما انتهوا إلى الباب خرجت امرأته، فقالت: مرحباً بنبي الله صلى الله عليه وآله وبمن معه، فقال لها نبي الله صلى الله عليه وآله: «فأين أبو أيوب؟» فسمّعه وهو يعمل في نخل له فجاء يشتدّ، فقال: مرحباً بنبي الله صلى الله عليه وآله وبمن معه، يا نبي الله ليس بالحين الذي كنتَ تجيء فيه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «صدقت». قال: فانطلق، فقطع عذقا من النخل فيه من كل التمر والرطب والبُسْر، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «ما أردتَ إلى هذا؟ ألا جئتَ لنا من تمره؟» فقال: يا نبي الله، أحببتُ أن تأكل من تمره ورطبه وبُسْره، ولأذبحنَّ لك مع هذا. قال: «إن ذبحت، فلا تذبحنَّ ذاتَ درّ». فأخذ عناقاً أو جذياً فذبحه، وقال لامرأته: اخبزي واعجني لنا وأنتِ أعلم بالخبز، فأخذ الجذّي فطبخه وشوى نصفه.

فلما أدرك الطعام، وُضِعَ بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، فأخذ من الجذّي فجعلَه في رغيف، فقال: «يا أبا أيوب أبلغ بهذا

فاطمة، فإنها لم تُصَبْ مثلَ هذا منذ أيام! فذهب به أبو أيوب إلى فاطمة^(١) الحديث وله تنمة.

وتأمل هذا الخبر المُعْجِب الذي يَصِفُ حالَ بنت رسول الله ﷺ وريحانتيه الحسن والحسين:

عن فاطمة عليها السلام: (أن رسول الله ﷺ أتاها يوماً، فقال: «أين ابناي؟» يعني حسناً وحُسَيْنًا، قالت: أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقُه ذائقٌ، فقال عليٌّ: أذهبُ بهما، فإنني أتحوِّفُ أن يَكْيا عليك وليس عندك شيء، فذهب إلى فلان اليهودي! فتوجَّه إليه النبي ﷺ، فوجدهما يلعبان في شَرَبَةِ بين أيديهما فَضْلٌ من تمر، فقال: «يا عليٌّ، أَلَا تَقْلِبُ ابْنِيَّ قَبْلَ أَنْ يَشْتَدَّ الْحَرُّ؟» قال عليٌّ: أصبحنا وليس في بيتنا شيء، فلو جلستَ يا رسول الله حتى أجمعَ لفاطمة فَضْلَ تمراتٍ. فجلس رسول الله ﷺ وعليٌّ ينزع لليهودي كل دلو بتمرة، حتى اجتمع لفاطمة فَضْلٌ من تمر، فجعله في خِرْقَةٍ، ثم أقبل، فحمل النبي ﷺ أحدهما وعليٌّ الآخرَ حتى أَقْلَبَهُمَا^(٢).

(١) أخرجه ابن حبان (٥٢١٦)؛ والطبراني في «المعجم الصغير» (١٨٥)؛ قال الحافظ في «تخريج الأذكار»: هذا حديث حسن فيه غرابة. الهاجرة: اشتداد الحر نصف النهار. حاق الجوع: صادقه وشدته. العناق: الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم سنة. أدرك الطعام: أي نضج.

(٢) أخرجه الدولابي في الذرية الطاهرة (١٩٣)؛ والطبراني في «المعجم الكبير»: ٤٢٢/٢٢ (١٠٤٠)؛ وذكره المنذري في الترغيب والترهيب: =

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (أقام رسول الله صلى الله عليه وآله أياماً لم يطعم طعاماً، حتى شق ذلك عليه، فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً، فأتى فاطمة فقال: «يا بُنَيَّةُ، هل عندك شيء آكله فإني جائع؟» فقالت: لا والله! فلما خرج من عندها رسول الله صلى الله عليه وآله، بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم، فأخذته منها فوضعت في جفنة لها وغطت عليها، وقالت: والله لأؤثرن بهذا رسول الله صلى الله عليه وآله على نفسي ومن عندي! وكانوا جميعاً محتاجين إلى شَبْعَة طعام.

فبعثت حسناً - أو حسيناً - إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فرجع إليها، فقالت له: قد أتى الله بشيء فخبأته لك، قال: «هَلُمِّي يا بُنَيَّةُ».

فكشفت عن الجفنة، فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً، فلما نظرت إليها بهت وعرفت أنها بركة من الله تعالى، فحمدت الله تعالى وصليت على نبيه صلى الله عليه وآله، وقدمته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رآه حميد الله تعالى وقال: «من أين لك هذا يا بُنَيَّةُ؟» قالت: يا أبتِ هو من عند الله؛ إن الله يرزق من يشاء بغير حساب! فقال:

= ٢١٠/٤ - ٢١١ وقال: إسناده حسن؛ وكذا حسنه الهيثمي في المجمع؛
٣١٦/١٠ والصالحى في سبل الهدى والرشاد: ٤٩٢/١١. شربة: حوض
يكون في أصل النخلة وحولها، يملأ ماء لتشرب.

«الحمد لله الذي جعلك شبيهةً بسيدة بني إسرائيل، فإنها كانت إذا رزقها الله وَكَلَّ شيئاً فسئلت عنه، قالت: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].»

فبعث رسول الله ﷺ إلى عليٍّ، ثم أكل رسول الله ﷺ وعليٌّ وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبي ﷺ وأهل بيته، حتى شبعوا. قالت: وبقيت الجفنة كما هي، فأوسعت ببقيتها على جميع الجيران، وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً^(١).

وعن علي عليه السلام قال: (مكثنا أياماً ليس عندنا شيء، ولا عند النبي ﷺ، فخرجتُ فإذا أنا بدينار مطروح على الطريق، فمكثت هنيهة أو أمر نفسي في أخذه أو تركه، ثم أخذته لما بنا من الجهد! فأتيت به الضمّاطين فاشتريت به دقيقاً، ثم أتيت به فاطمة فقلت: اعجني واخبزي. فجعلت تعجن، وإن قصّتها لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذي بها، ثم خبزت. فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: «كلوه، فإنه رزق رزقكموه الله وَكَلَّ»).»

وفي رواية: (فأكل منه رسول الله ﷺ وأكل عليٌّ وفاطمة،

(١) أخرجه أبو يعلى؛ وذكره ابن كثير في «تفسيره»: ٤٤٣/١؛ وفي البداية والنهاية: ١١١/٦، وقال: حديث غريب إسناداً ومتناً؛ وهو في سبل الهدى والرشاد: ٨٧/١٠ - ٨٨.

فلما كان بعد ذلك أُنْتُه امرأة تُشُد الدينار، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :
«يا علي، أَدِّ الدينار»^(١).

•• وقد كانت فاطمة وكذلك زوجها علي عليهما السلام راضيين بهذه الحياة زاهدين بزخارفها، لم يتبرّما من ذلك ولم يَسْخَطَا تلك الخشونة من العيش، فقد أَلْفَاها واعتادا عليها، ففاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قد عاشت في كَنَف أبيها دهرأ لم تره يتبسّط من الدنيا وأموال خديجة بين يديه، وكذلك زَهْد بمتاعها عندما أتاه الفيء وجاءه السَّبي؛ فكان يُنفق الصفراء والبيضاء ويبقى على عيشه الخشن! وكذلك عاش علي معه حياته تلك منذ كان طفلاً وإلى أن أَصْهر إليه - فرأيا النبي صلى الله عليه وآله في أحياته مثال الزهد النبيل والتقلل من الدنيا، ولو أراد لنفسه وآل بيته أن تسيلَ الجبال معه ذهباً لكان له ذلك، لكنه آثَرَ الآخرة وما عند الله تعالى.

كان صلى الله عليه وآله يقول: «ما لي وللدُّنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استنَّظَل تحت شجرة، ثم راح وتركها»^(٢).

(١) جاء هذا الحديث من طرق بألفاظ متقاربة عند أبي داود (١٧١٤، ١٧١٥، ١٧١٦)؛ وعبد الرزاق (١٨٦٣٦، ١٨٦٣٧)؛ وأبي يعلى (١٠٧٣)؛ والطبراني في «الكبير» (٥٧٥٩)؛ والبيهقي: ١٩٤/٦، وحسنه بطرقه الألباني وشعيب الأرناؤوط. الضفاطين: الذين يجلبون الميرة والمتاع إلى المدن.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٣٤)؛ وابن ماجه (٤١٠٩)، وغيرهما، وصححه الألباني وشعيب الأرناؤوط.

ودخل عليه الفاروق عمر فرآه مضطجعاً على حصير قد أثر في جنبه، فهملت عينا عمر، فقال له النبي ﷺ: «ما يُبكيك يا ابن الخطاب؟» فقال: يا نبي الله، وما لي لا أبكي؟! وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزائتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذلك قيصر وكيسر في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله ﷺ وصفوته، وهذه خزائتك! فقال ﷺ: «يا ابن الخطاب، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟» فقال: بلى^(١).

وكان لا يحب هذا الطراز من المعيشة لنفسه فحسب، بل كان يحبّه لأهله وعياله، ويؤثّره لهم، فقد ثبت عنه ﷺ: أنه كان يدعو فيقول: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوياً»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (والذي نفس أبي هريرة بيده ما أشبع رسول الله ﷺ أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز جنط حتى فارق الدنيا)^(٣).

وتروي الصديقة عائشة رضي الله عنها فتقول لابن أختها عروة بن

(١) أخرجه مطولاً: البخاري (٢٤٦٨)؛ ومسلم (١٤٧٩)؛ والترمذي (٣٦٠٦)، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٠)؛ ومسلم (١٠٥٥)؛ والترمذي (٢٥١٨)، وغيرهم.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٤)؛ ومسلم (٢٩٧٦)؛ والترمذي (٢٥١٥)، وغيرهم.

الزبير: (والله يا ابن أختي! إن كنا لَنَنْظُرُ إلى الهلالِ ثم الهلالِ ثم الهلالِ، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقَدَ في أبياتِ رسول الله صلى الله عليه وآله نَارًا! قال عروة: يا خالة، فما كان يُعَيِّشُكُمْ؟ قالت: الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ والماءُ!)^(١).

وروى أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (حَجَّ النبي صلى الله عليه وآله على رَحْلٍ رَثٍّ، عليه قَطِيفَةٌ لا تساوي أربعة دراهم، ثم قال: «اللهم حَبِّجْ لا رِيَاءَ فيها ولا سُمْعَةً»)^(٢).

ثانياً: السيدة البتول وواجباتها الكثيرة وأعمالها الشاقة:

مع خشونة العيش وقلة ذات اليد، كان الزوجان الكريمان يعملان وَيَجِدَّان ويجهدان ويكدحان داخل البيت وخارجه؛ فعليّ يسعى للرزق وتوفير أدنى متطلبات الحياة لزوجته وأولاده، فيؤجر نفسه وينزع الماء من الآبار ليكسب دراهم معدودة ينفقها على أهله. وزوجته الزهراء يتوجب عليها توفير الخُبز بما يتطلبه من الطحن والعجن والخَبز في ظروف قاسية، كما أنها ترعى حق الزوج وتقوم بشؤونهم، وعندها رباحيتها الصغار ولهم عالمهم الخاص من العطف والحنان والملاعبة والمتابعة حفاظاً على

(١) أخرجه البخاري (٢٥٦٧)؛ ومسلم (٢٩٧٢)، وغيرهما.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٨٩٠)؛ والترمذي في «الشمايل» (٣٢٨)؛ وصححه الألباني بطرقه في «الصحيحة» (٢٦١٧).

صحتهم وحياتهم، زد على هذا مقاساة الحمل والولادة وما يتبعها من واجبات كبار... هذا وزوجها ينشغل في كثير من الأحيان بواجبات الدعوة والجهاد وشهود الغزوات مع رسول الله ﷺ.

كل هذا وفاطمة في أوائل العشرين من عمرها المبارك! أعمالٌ وواجبات ومتطلبات ومستحققات، وهي وحدها في البيت لا بُتية تساعدها ولا خادم تكفيها بعض أعبائها، وأنّى لهم بخادم وزوجها لا يمكنه سوى توفير ما يكفي من ضروريات العيش واستمرار الحياة؟!.

أشفق عليّ من هذه الظروف القاسية على زوجته البتول، فحضرها على أن تطلب من أبيها ﷺ أن يرفقها بخادم وقد جاءه السّبي، فذهبت إليه على استحياء، فتلقت منه الردّ اللطيف اللين، لكنها لم تظفر بما تريد؛ إذ في المسلمين من هو أشدّ منهم حاجة وأكثر فقراً، وفيهم من تطوى بطونهم من الجوع! فصبرت راضية محتسبة حتى يأذن الله بالفرج!.

لنصنع إلى هذا الموقف النبوي (الأبوي) الجليل مع أحبّ بناته إليه وأثر أسباطه عنده الحسن والحسين، وهو يراهم في ظلافة الحياة ومتاعبها ومشقاتها... فلا يملك لهم إلا الكلام الآسي واليد الحانية التي تمسح عن كاهل الزهراء وبنيتها مشقات العيش ولأواء الحياة.

عن علي عليه السلام : (أن رسول الله صلى الله عليه وآله لَمَّا زَوَّجَهُ فَاطِمَةَ بَعَثَ معه بِخُمَيْلَةٍ وَوَسَادَةٍ مِنْ أَدَمَ حَشَوُهَا لَيْفًا، وَرَحِيئِينَ وَسِقَاءَ وَجَرَّتَيْنِ، فَقَالَ عَلِيٌّ لِفَاطِمَةَ ذَاتَ يَوْمٍ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَنَوْتُ حَتَّى لَقَدْ اسْتَكَيْتُ صَدْرِي، قَالَ: وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ أَبَاكَ بِسَبِيٍّ، فَادْهَبِي فَاسْتَخْدِمِيهِ، فَقَالَتْ: وَأَنَا وَاللَّهِ قَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجَلَّتْ يَدَايَ! فَأَتَتْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله، فَقَالَ: «مَا جَاءَ بِكَ أَيُّ بُنْيَةٍ؟» قَالَتْ: جِئْتُ لِأَسْلَمَ عَلَيْكَ. وَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ تَسْأَلَهُ، وَرَجَعْتُ. فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ قَالَتْ: اسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ.

فَأَتَيْنَاهُ جَمِيعًا، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ سَنَوْتُ حَتَّى اسْتَكَيْتُ صَدْرِي، وَقَالَتْ فَاطِمَةُ: قَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجَلَّتْ يَدَايَ، وَقَدْ جَاءَكَ اللَّهُ بِسَبِيٍّ وَسَعَةٍ، فَأَخْدَمْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمَا وَأَدْعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوِي بَطُونَهُمْ، لَا أَجِدُ مَا أُنْفِقُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ أَبِيعُهُمْ وَأُنْفِقُ عَلَيْهِمْ أَثْمَانَهُمْ»، فَارْجِعَا.

فَأَتَاهُمَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وَقَدْ دَخَلَ فِي قَطِيفَتَهُمَا، إِذَا غَطَّتْ رُؤُوسَهُمَا تَكْشَفَتْ أَقْدَامُهُمَا، وَإِذَا غَطَّتْ أَقْدَامَهُمَا تَكْشَفَتْ رُؤُوسُهُمَا، فَتَارَا، فَقَالَ: «مَكَانُكُمَا» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمَا بِخَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟» قَالَا: بَلَى، فَقَالَ: «كَلِمَاتٌ عَلَّمْنِيهِنَّ جَبْرِيلُ، فَقَالَ: نَسَبُحَانَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَتَحْمَدَانِ

عشرًا، وتكبران عشرًا، وإذا أويثما إلى فراشكما فسبّحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبرًا أربعًا وثلاثين».

قال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ. قال: فقال له ابن الكوّاء: ولا ليلة صفيين؟! فقال: قاتلكم الله يا أهل العراق، نعم، ولا ليلة صفيين! ^(١).

وفي رواية: قال عليّ لابن أعبد: (ألا أحدثك عني وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟ وكانت أحب أهله إليه، وكانت عندي، فجرت بالرحى حتى أثرت بيدها، واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها، وقمت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت القدر حتى دكنت ثيابها، وأصابها من ذلك ضرر! فسمعنا أن رقيقاً أتى بهم النبي ﷺ، فقلت: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك، فأتته، فوجدت عنده حداثاً، فاستحييت فرجعت...) الحديث ^(٢).

وقد سلك عليّ شتى السبل ليخفف عن زوجته الجليلة

(١) أخرجه البخاري (٣١١٣)؛ ومسلم (٢٧٢٧)؛ والنسائي في «الكبرى»

(٩١٢٧)؛ وأبو داود (٥٠٦٢)؛ والترمذي (٣٧٠٧)؛ وأحمد (٨٣٨)

واللفظ له. سنوت: استقيت. مبلت اليد: تخرن جلدها وتعجر وظهر فيها ما يشبه البثر، من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٩٨٨) و(٥٠٦٣)؛ وعبد الله بن أحمد في زوائده على

المسند (١٣١٢)؛ وحسنه أحمد شاكر، وضعفه الألباني وشعيب الأرناؤوط. قلت: يشهد له الحديث السابق وأحاديث أخرى.

أعباء أعمالها، ومن ذلك أنه لجأ إلى أمّه لتحمل عن زوجته بعض أعبائها، وكذلك كان بعض الصحابة يقدمون معونتهم في مواقف جليلة تعبّر عن إعظامهم آل النبي صلى الله عليه وآله، والرغبة الصادقة في راحتهم وتيسير شؤون حياتهم.

عن أبي البختري قال: قال عليّ لأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم: اكفي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الخدمة خارجاً: سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وتكفيك العمل في البيت: العجن والخبز والطحن^(١).

وروى عمار بن عُمارة: عن أنس بن مالك: (أن بلالاً بطأ عن صلاة الصبح، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «ما حبّسك؟» فقال: مررتُ بفاطمة وهي تطحن والصبّي يبكي، فقلت لها: إنّ شئتِ كفيتكِ الرّحاً وكفيتني الصبيّ، وإنّ شئتِ كفيتكِ الصبيّ وكفيتني الرّحاً، فقالت: أنا أرفقُ بابني منك. فذاك حبّسني. قال: «فرحمتها رحمك الله»^(٢).



(١) الاستيعاب: ٣٦٣/٤؛ سير أعلام النبلاء: ١٢٥/٢؛ سبل الهدى والرشاد:

٤٩١/١١، وقال شعيب الأرئوط: رجاله ثقات.

(٢) أخرجه أحمد: ١٥٠/٣ - ١٥١ (١٢٥٠٨)، وقال الهيثمي في (المجمع:

٣١٦/١٠): رجاله ثقات، إلا أن أبا هاشم عماراً لم يسمع من أنس.

الفصل الرابع

تربية نبوية حانية جليلة ورعاية دائمة

أولاً: النبي ﷺ يربي آل بيته على الصبر والزهد والعبادة والذكر:

والذي حمل رسول الله ﷺ - وهو الذي ملئ قلبه رقة ورحمة ورأفة - على ذاك الموقف الصعب مع ابنته وصهره؛ أنه ﷺ كان يرى حال فقراء المسلمين وينظر في واقع معاشه مع أزواجه وآل بيته وأحفاده - فيضرب المثل الأعلى في الأسوة الحسنة والرحمة الغامرة والقيام بالمسؤولية على أرفع وجوهها تجاه الأمة كلها...

ففي الوقت الذي أثنى الغنائم وملاً يديه من الفياء وقدم عليه السببي؛ تجده في أبيات أزواجه أمهات المؤمنين الطاهرات لا توقد عندهن نار لإنضاج اللحم، ولا يشبع معهن من خبز البُر! وتأتيه الزهراء - وقد أضناها التعب وبرّحت بها واجبات البيت والزوج والأولاد - تسأله خادماً، فيعتذر إليها بلين من القول، ويُعطي فقراء المهاجرين ويتامى بدر، ويقدم

إلى بيتها مواسياً ومسلّياً لها ولصهره الكريم، ويدخل نفسه الشريفة بينهما في غطاء واحد ليصبّ في فؤاديهما السكينة والطمأنينة، ثم يوجههما إلى المرتبة السامقة، ويعلمهما الأذكار والدعوات، ويترك عليهما الباب ليلاً ليوقظهما فيأخذا بحظّهما من التهجد والقيام، فيكون هو صلى الله عليه وآله القدوة العظمى لأي مسؤول يلي من أمر الأمة شيئاً، ولتكون فاطمة وعليّ مضرب المثل في نزاهة النفس ونظافة اليد وطهارة السيرة لأبناء المسؤولين الذين سيَقفُهم الحق سبحانه بين يديه ليحاسبهم على التّقيّر والقُطْمير وما فعلوه في أموال الأمة، ولن يُفْلِتَهم من ذلك الموقف الرّعب إلا أمانتهم وصدق مسعاهم!.

قال صلى الله عليه وآله لفاطمة وعليّ: «والله لا أُعطيكما وأدع أهل الصُّفّة تظوى بطونهم، ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم»، ثم نفّحهم بما هو خير لهم في آخرتهم، فعلمهم الأذكار أدبار الصلوات وعند الإيواء إلى الفراش والنوم^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أتت فاطمة النبي صلى الله عليه وآله تسأله خادماً، فقال لها: «ما عندي ما أُعطيك» فرجعت، فأتاها بعد ذلك فقال: «الذي سألت أحبّ إليك أو ما هو خيرٌ منه؟» فقال

(١) تقدم الحديث بتمامه: ص ١٢٤ - ١٢٥ من هذا الكتاب.

لها عليٌّ: قولي: لا، بل ما هو خير منه، فقالت. فقال: «قولي: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، مُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»^(١).

وزيادةٌ منه ﷺ في المَوَاسَاةِ والتَّائِيْسِ والمَلَاظِفَةِ أَتَى عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ فِي بَيْتِهِمَا، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمَا أَرَادَا أَنْ يَقُومَا إِجْلَالًا لَهُ ﷺ، فَمَنْعَهُمَا مِنْ ذَلِكَ فَبَقِيََا عَلَى حَالِهِمَا امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ ﷺ، حَتَّى جَلَسَ بَيْنَهُمَا وَعَلَّمَهُمَا ذَاكَ الذِّكْرِ الْجَلِيلِ؛ يَقُولُ عَلِيٌّ:

(فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى مَكَانِكُمَا»، فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ عَلَى صَدْرِي! ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَعْلَمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا؟...» الْحَدِيثُ^(٢).)

وَيُلْحِظُ الْمَرْءُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْمَرْبِيَّ الْأَعْظَمَ ﷺ عَلَى كَثَرَةِ أَعْمَالِهِ وَوَجَابَاتِهِ تَجَاهِ الدَّعْوَةِ وَالْأُمَّةِ وَأُمُورِ النَّاسِ، فَإِنَّهُ قَدْ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٧١٣) (٦٣)؛ وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبَرِيِّ» (٧٦٢٢)؛

وَالْتِّرْمِذِيُّ (٣٧٨٧)؛ وَابْنُ مَاجَهَ (٣٨٣١) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَغَيْرُهُمْ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٣١٨)؛ وَمُسْلِمٌ (٢٧٢٧) وَاللَّفْظُ لَهُ.

أفرغ في أفئدتها أنه مشغولٌ بشأنهما مهتمٌ لحالهما؛ فهَبَّ إليهما في مَخْدَعهما وأعطاهما ذاك المدد الإلهي والزاد النبوي، وعَلَّمهما تلك الرياضة الروحية التي تذلل الصعاب وتخفف المتاعب وتهوّن المشقات، وتعلق الروح والقلب والنفس بالخالق الباري الغني اللطيف الخبير الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، والذي يتبلي عباده المؤمنين بما يُعلي مناقبهم ويرفع منزلتهم.

قال الحافظ: (في الحديث مَنَقَبَةٌ ظاهرة لعلِّي وفاطمة عليهما السلام، وفيه بيان إظهار غاية التعطف والشفقة على البنت والصهر، ونهاية الاتحاد برفع الحِشْمَةِ والحجاب حيث لم يزعجها عن مكانهما فتركهما على حالة اضطجاعهما، وبألغ حتى أدخل رجله بينهما ومكث بينهما حتى علَّمهما ما هو الأولى بحالهما من الذُّكْر عوضاً عما طلباه من الخادم، فهو من باب تلقي المخاطب بغير ما يطلب إيداناً بأن الأهم من المطلوب هو التزود للمعاد والصبر على مشاق الدنيا والتجافي عن دار الغرور)^(١).

ثم ترقى النبي صلى الله عليه وآله وابنته وزوجها إلى مدارج الكمال الإنساني والعبودية الأَوْاهة الخالصة، فكان يتعاهدُهما بالليل

(١) الفتح: ١٤/١٩٣، شرح الحديث (٦٣١٨).

وَيَطْرُقُ عَلَيْهِمَا بَابُهُمَا لِيَشْهَدَا نَفْحَاتِ الْأَسْحَارِ وَيَكُونَا مِمَّنْ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ:

﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾

[السجدة: ١٦].

﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ • وَإِلَاسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

[الذاريات: ١٧ - ١٨].

عن علي بن أبي طالب قال: (دخل عليّ رسول الله ﷺ وعلى فاطمة من الليل، فَأَيَّقَظْنَا للصلاة، ثم رجع إلى بيته، فصلّى هَوِيّاً من الليل، فلم يسمع لنا حسّاً، فرجع إلينا فَأَيَّقَظْنَا، فقال: «قُومَا فَصَلِّيَا»، قال: فجلستُ وأنا أعرك عَيْنِي، وأقول: إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَصَلِّي إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا، إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَتَّعِنَنَا بَعَثْنَا، قال: فوَلَّى رسول الله ﷺ وهو يقولُ - وَيَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى فَخْذِهِ -: «مَا نَصَلِّي إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا! ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]»^(١).

قال الطبري: (لولا ما عَلِمَ النبي ﷺ من عِظَمِ فضل الصلاة في الليل ما كان يُزْعَجُ ابنته وابن عمه في وقت جعله الله

(١) أخرجه البخاري (١١٢٧)؛ ومسلم (٧٧٥)؛ والنسائي في «الكبرى»

(١٣١٣)، والصغرى: ٢٠٦/٣ واللفظ له، وغيرهم.

لَخَلَقَهُ سَكَنًا، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ الآية [طه: (١٣٢)]^(١).

ثانياً: النبي ﷺ يشاركهم عيشهم الخشن، ويعطيهم إذا وجد سعة:

ومع أن رسول الله ﷺ كان يعيش حياة الزهد والكفاف وكذلك أهل بيته، فإنه بعد أن يعطي فقراء المسلمين ومحاوليهم؛ كان يوجد على ذويه بما يُفَضِّل عنده، مساوياً لهم مع عامة الأمة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن فاطمة ناولت رسول الله ﷺ كسرةً من خبزٍ شعيرٍ، فقال: «هذا أولُ طعام أكله أبوك من ثلاثة أيام»)^(٢).

وعن أنس أيضاً: (أن النبي ﷺ أتى فاطمةً بعبدٍ قد وهبه لها، قال: وعلى فاطمة ثوبٌ إذا قَتَعَتْ به رأسها لم يَبْلُغ رجليها، وإذا غَطَّتْ به رجليها لم يَبْلُغ رأسها، فلما رأى

(١) الفتح: ١٨/٤ (١١٢٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٣٢٢٣)، وقال الشيخ شعيب: حديث حسن، وإسناده منقطع.

النبي ﷺ ما تلقى، قال: «إنه ليس عليك بأس، إنما هو أبوك وغلامك»^(١).

وعن علي رضي الله عنه قال: (أُهِدِيَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُلَّةٌ سِيْرَاءٌ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيَّ، فَلَبِسْتُهَا فَأَتَيْتُهُ، فَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ: «إِنِّي لَمْ أَرْسِلْ بِهَا إِلَيْكَ لِتَلْبَسَهَا»! وَأَمَرَنِي فَأَطَرْتُهَا بَيْنَ نِسَائِي). وفي رواية: (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَصْنَعُ بِهَا؟ أَلْبَسُهَا؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ اجْعَلْهَا خُمُرًا بَيْنَ الْقَوَاطِمِ»)^(٢).

والقواطم أربع؛ هن: فاطمة بنت النبي ﷺ، وفاطمة بنت أسد أم علي، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب، وفاطمة بنت شيبه بن ربيعة امرأة عقيل.

ثالثاً: رسول الله ﷺ يترفع بآل بيته عن التبسط من الدنيا:

وكان دأب النبي ﷺ أن يعيش هو وأزواجه وأهل بيته على هدي واحد من الزهد والقناعة وعدم التبسط من الدنيا، والنظر

(١) أخرجه أبو داود (٤١٠٦)؛ والبيهقي: ٩٥/٧؛ والضياء في «المختارة» (١٧١٢)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦١٤)؛ ومسلم (٢٠٧١)؛ وأبو داود (٤٠٤٣)، وغيرهم. سيرة: فيها خطوط من حرير. بين نسائي: المراد زوجته مع أقرابه.

إلى ما عند الله تعالى في الآخرة لأنها خير وأبقى؛ لذا تراه يترفع بأهل بيته عن بعض المباحات من زينة ورياش، ويكره لهم التجمل بها، لأنه يرى في المسلمين مَنْ لا يجد ضروريات المعاش! وهادي الأمة وأهلُه والخليفة وذووه والمسؤول وعشيرته؛ هؤلاء جميعاً مُلزَمون بأن يكونوا قدوة للفقير والمسكين والمحتاج ومن في معناهم...

في ضوء هذا المنهج الرفيع النبيل نفهم النصوص والمواقف التي صدرت من سيدنا رسول الله ﷺ تجاه ابنته وغيرها من أهل بيته عليهم السلام.

ولا عجب إذا رأيت السيدة فاطمة لَمَّاحة الملاحظة شديدة الحساسية عبقرية الفهم والإدراك لأي موقف أو كلمة أو توجيه من أبيها ﷺ؛ لأنها بنت النبوة قد نيط عقلها وفؤادها بنبضات قلب رسول الله ﷺ وحركات شفّتيه وقسمات وجهه الأنور وتصرفاته الحكيمة النبيلة.

•• روى نافع، عن عبد الله بن عمر: (أن رسول الله ﷺ أتى فاطمة فوجد على بابها سيئراً، فلم يدخل عليها، وقلماً كان يدخل إلا بدأ بها، قال: فجاء عليّ فرأها مُهتمة، فقال: ما لك؟ فقالت: جاء إليّ رسول الله ﷺ فلم يدخل عليّ! فأتاه عليّ فقال: يا رسول الله، إن فاطمة اشتدّ عليها أنك جئتها فلم تدخل

عليها، فقال: «وما أنا والدنيا؟! وما أنا والرقم؟!» قال: فذهب إلى فاطمة فأخبرها بقول رسول الله ﷺ، فقالت: فقل لرسول الله ﷺ: فما تأمرني به؟ فقال: «قل لها: تُرسل به إلى بني فلان».

وفي رواية: قال ﷺ: «إني رأيت على بابها سِتراً مَوْشياً، وفي آخرها: «تُرسلني به إلى فلان، أهل بيت بهم حاجة»^(١).

قال الحافظ: (قال المهلب وغيره: كره النبي ﷺ لابنته ما كره لنفسه من تعجيل الطيبات في الدنيا، لا أن ستر الباب حرام. وهو نظير قوله لها لما سألته خادماً: «ألا أدلك على خير من ذلك؟»، فعلمها الذكر عند النوم)^(٢).

وبين حديث آخر سبب مجيء رسول الله ﷺ إلى بيت فاطمة رضي الله عنها؛ فقد روى سفيان مولى رسول الله ﷺ: (أن رجلاً أضاف علي بن أبي طالب، فصنع له طعاماً، فقالت فاطمة: لو دعونا رسول الله ﷺ فأكل معنا. فدعوه، فجاء، فوضع يده على عضادتي الباب، فرأى القرام قد ضرب به في ناحية البيت، فرجع. فقالت فاطمة لعلي: الحق فأنظر ما رجعه، فتبعته،

(١) أخرجه البخاري (٢٦١٣)؛ وأبو داود (٤١٤٩)؛ وأحمد (٤٧٢٧)

وغيرهم. موشياً: مزخرفاً. الرقم: أي عليه النقش والوشي.

(٢) الفتح: ٥٧/٧ (٢٦١٣).

فقلت: يا رسول الله، ما رَدَّكَ؟ قال: «إنه ليس لي - أو: لنبيٍّ - أن يدخل بيتاً مُزَوَّقاً»^(١).

فنرى - والله أعلم - أن الحديثين وقعا لقصة واحدة، وذلك أن فاطمة عليها السلام تلتزم بأمر النبي صلى الله عليه وآله ولا تتهاون في ذلك، ومن المستبعد جداً أن يقع ذلك مرتين ولو في زمنين متباعدين، فصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وخاصة أهل بيته أطوعُ الخلق لأوامره وتوجيهاته.

•• وارتقى المربي الأعظم والقدوة العليا بابنته إلى أرفع منازل الزهد بزخرف الدنيا، وإيثار الآخرة، حتى كره لها وليئها ما يُباح لنساء المسلمين وأولادهم!

نعم (كانت فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من أحبِّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكنَّ هذا الحبَّ العظيم لم نلمسه في صورة الثياب الراقية وأدوات الزينة والمجوهرات الثمينة الغالية)^(٢).

لقد كانت الزهراء تتحلَّى بقلادة من ذهب كما تفعل مثيلاتها من عامة نساء المسلمين وبناتهم، وهو شيء أباحه الإسلام للمرأة، ولم يكن يخطر ببال فاطمة أن ذلك يُغضب أباه، فيلقاها صلى الله عليه وآله ويهشُّ لها وتهشُّ له على عادتهما، لكنَّ ما

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٥٥)؛ وابن ماجه (٣٣٦٠)؛ وأحمد (٢١٩٢٢)

وغيرهم، وحسنه الألباني وشعيب الأرناؤوط. القرام: الستر الرقيق.

(٢) الرسالة المحمدية، ص ١٨٤.

إِنْ تَقَعُ عَيْنُهُ عَلَى سِلْسِلَةِ الذَّهَبِ حَتَّى تَرَى الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، وَخَيْمَ السَّكُونِ وَالْوُجُومَ عَلَى الْمَوْقِفِ! وَسِرْعَانَ مَا عَرَفْتُ فَاطِمَةَ السَّبَبِ وَسَمِعْتُ التَّوْجِيهَ النَّبَوِيَّ، فَكَانَتْ اسْتِجَابَتَهَا أَسْرَعَ مِنْ سَمَاعِهَا، وَلَبَّتْ رَغْبَةَ أَبِيهَا ﷺ رَاضِيَةً مَحْبُورَةً، وَزَادَ مِنْ سُرُورِهَا مَا رَأَتْهُ عَلَى وَجْهِهِ ﷺ وَمَا سَمِعَتْهُ مِنْ كَلَامٍ جَمِيلٍ.

عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (أَنَّ ابْنَةَ هُبَيْرَةَ دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي يَدِهَا خَوَاتِيمٌ مِنْ ذَهَبٍ يُقَالُ لَهَا: الْفَتْخُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَعُ يَدَهُ بِغُصَّيَّةٍ مَعَهُ يَقُولُ لَهَا: «أَيَسُرُّكَ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ فِي يَدِكَ خَوَاتِيمَ مِنْ نَارٍ؟!» فَأَتَتْ فَاطِمَةَ فَشَكَّتْ إِلَيْهَا مَا صَنَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: وَانْطَلَقْتُ أَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَامَ خَلْفَ الْبَابِ، وَكَانَ إِذَا اسْتَأْذَنَ قَامَ خَلْفَ الْبَابِ. قَالَ: فَقَالَتْ لَهَا فَاطِمَةُ: انْظُرِي إِلَى هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الَّتِي أَهْدَاهَا إِلَيَّ أَبُو حَسَنٍ. قَالَ: وَفِي يَدِهَا سِلْسِلَةٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، بِالْعَدْلِ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَفِي يَدِكَ سِلْسِلَةٌ مِنْ نَارٍ؟!» ثُمَّ عَذَمَهَا عَذْمًا شَدِيدًا، ثُمَّ خَرَجَ وَلَمْ يَقْعُدْ. فَأَمَرَتْ بِالسِّلْسِلَةِ فَبِيعَتْ، فَاشْتَرَتْ بِمَنْيْهَا عَبْدًا فَأَعْتَقَتْهُ. فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَبَّرَ وَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّى فَاطِمَةَ مِنَ النَّارِ»^(١).

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٢٣٩٨) وَاللَّفْظُ لَهُ؛ وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبَرِيِّ» (٩٣٧٨)، وَفِي «الصَّغَرِيِّ»: ١٥٨/٨؛ وَالطُّحَاوِيُّ فِي «شَرْحِ الْمَشْكَلِ» (٤٨١٢) وَغَيْرُهُمْ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

قال العلامة شعيب الأرناؤوط: (ويُحمل النهي في هذا الحديث على أن ذلك كان قبل نزول فرائض الزكاة، أو على أن المنع من لبسه للتباهي والتفاخر، أو على أنه فيما لم تُؤدَّ زكاته، أو على خوف الافتتان به والانشغال عن أمور الدين. وما يخص فاطمة عليها السلام فلائنه عليها السلام كان يأخذ أهل بيته بالعزيمة وبما هو خير وأفضل^(١)).

نقول: ودليل جواز لبس النساء للذهب وأنه عليها السلام كان يأخذ أهل بيته بالعزيمة؛ ما رواه عتبة بن عامر: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمنع أهله الحلية والحريز، ويقول: «إِنْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَ حِلْيَةَ الْجَنَّةِ وَحَرِيرَهَا، فَلَا تَلْبَسُوهَا فِي الدُّنْيَا»^(٢)).

ويؤكد رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك في موقف آخر، حيث يرى على ريحانتيه الحسن والحسين حلية من فضة، فيتمعر وجهه من ذلك وينزعها عنهما ويُرسل بها إلى أهل بيت من فقراء المدينة، ويدّخر لأهل بيته ما عند الله في الآخرة فهو خير وأبقى.

(١) شرح مشكل الآثار: ٣٠٢/١٢، هامش.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٩٣٧٤)، وفي «الصغرى»: ١٥٦/٨؛

وأحمد (١٧٣١٠)؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (٤٨٣٧)؛ وابن

حبان (٥٤٨٦) وغيرهم، وصححه الألباني وشعيب الأرناؤوط.

روى ثوبان مولى النبي ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة، وأول ما - أو: من - يدخل عليها إذا قدم فاطمة، فقدم من غزاة له، وقد علقت مسحاً - أو: سترأ - على بابها، وحلت الحسن والحسين قلوبين من فضة، فقدم فلم يدخل! فظننت أنه إنما منعه أن يدخل ما رأى، فهتكت الستر، وفككت القلبين عن الصبيين وقطعته منهما، فانطلقا إلى رسول الله ﷺ وهما يبكيان، فأخذ منهما، وقال: «يا ثوبان، اذهب بهذا إلى آل فلان - قال: أهل بيت بالمدينة - إن هؤلاء أهل بيتي أكره أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا. يا ثوبان، اشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج»^(١).

رابعاً: رعاية دائمة وحب غامر موصول من النبي ﷺ لابنته وأولادها:

•• ورسول الله ﷺ مع أعماله العظيمة وواجباته الكثيرة ومشاغله بأمور الدولة والدعوة والأمة، فإن فاطمة وأولادها لا يغيبون عن فكره وقلبه، فلا يمرُّ نهار ولا ليل إلا ويأتيهم

(١) أخرجه أبو داود (٤٢١٣)؛ وأحمد (٢٢٣٦٣) وغيرهما، وضعفه الألباني وشعيب الأرنؤوط. المسح: كساء معروف. العصب: سنّ دابة بحرية يُتخذ منها الخرز وغيره. العاج: عظم سن الفيل.

ويرعاهم ويتعاهدهم ويتفقد شؤونهم وينفحهم من رحمته
ونبله وكريم أخلاقه وتوجيهاته، ويشمهم ويُقبّلهم ويداعبهم
ويعلمهم. وكانوا هم كذلك على جانب عظيم من التواصل
معه والارتباط به والإكبار لجنابه الشريف، مما لم تر البشرية
له مثيلاً في سلوك إنسان.

وهو ﷺ رسول الأمة وحاكم الدولة وقائد الجيوش
وخطيب الجمعة وإمام الناس في الصلاة والداعية إلى الله
ومعلم أمور الإسلام ومستقبل الوفود وأمين بيت المال... ومع
كل هذا لا ينسى يوماً واحداً أو ليلة واحدة فاطمة والحسين،
بل قد جعل لهم ركناً من قلبه واهتماماته ورعايته وأولوياته!
وهو ركن مقدّم يبدأ منه وينتهي به في سفره وإقامته وذهابه
وإيابه.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه : (أن رسول الله ﷺ كان يمرُّ
بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر، يقول:
«الصلاة يا أهل البيت؛ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» [الأحزاب: ٣٣])^(١).

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٨٤)؛ وأحمد (١٣٧٢٨)؛ والطحاوي في «شرح
المشكل» (٧٧٤)؛ والحاكم: ١٥٨/٣ وصححه، وسكت عليه الذهبي،
وقال الترمذي: حسن غريب.

- وعن إبراهيم بن قيس، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أن النبي ﷺ كان إذا سافر كان آخر الناس عهداً به فاطمة، وإذا قدم من سفر كان أول الناس به عهداً فاطمة رضي الله عنها)^(١).

- ولما أنجبت فاطمة أولادها الثلاثة واحداً بعد الآخر، وكان علي يسمي كل واحد منهم: (حزباً)، فغير النبي ﷺ أسماءهم، وسمّاهم: الحسن والحسين ومحسن^(٢).

وكان يؤذن في أذن كل واحد منهم عند ولادته؛ فعن أبي رافع قال: (رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة)^(٣).

- ويروي أسامة بن زيد فيقول: (طرقت النبي ﷺ ذات ليلة في بعض الحاجة، فخرج النبي ﷺ وهو مُشْتَمِلٌ على شيء لا أدري ما هو، فلما فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مُشْتَمِلٌ عليه؟ فكشفه، فإذا هو حسن وحسين على وركيه،

(١) أخرجه الحاكم: ١٥٦/٣، وإبراهيم بن قيس: ضعفه أبو حاتم، وذكره البخاري فلم يجرحه، وذكره ابن حبان في «الثقات»، ويعتضد الحديث برواية سابقة: ص ١٣٩ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٢) انظر ما تقدم: ص ٤٤ - ٤٥ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٠٥)؛ والترمذي (١٥٩٤) وقال: حديث حسن

صحيح، وحسنه الألباني.

فقال: «هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أُحِبُّهُمَا فَأُحِبُّهُمَا وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُمَا»^(١).

- وقال بُرَيْدَةُ بن الحُصَيْب: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله يَخْطُبُنَا، إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْتُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مِنَ الْمَنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيِّينِ يَمْشِيَانِ وَيَعْتُرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا»^(٢).

- وعن أنس بن مالك قال: (دخلنا - وربما قال: دخلتُ - على رسول الله صلى الله عليه وآله والحسن والحسين يتقلبان على بطنه، قال: ويقول: «رَيْحَانَتِي مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ»^(٣)).

•• وتأمل هذه المواقف الجليلة من نبي الرحمة صلى الله عليه وآله، والتي لا يَبْلُغُهَا أَرْحَمُ الْأَبَاءِ بِأَبْنَائِهِمْ فِي بَيْتِهِمْ فَضْلاً عَنْ أَنْ تَكُونَ فِي مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ، بَلْ وَفِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَبَيْنَ يَدَيْ أَنْبَلِ جِيلٍ عَرَفَتْهُ الْبَشَرِيَّةُ وَهُوَ جِيلُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم!:

(١) أخرجه الترمذي (٤١٠٣)؛ وابن حبان (٦٩٦٧)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود (١١٠٩)؛ والترمذي (٤١٠٨)؛ والنسائي في «الكبرى» (١٧٤٣)، وغيرهم، وصححه الألباني وشعيب الأرناؤوط.

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨١١١) و(٨٤٧٦)، وسنده صحيح.

- عن عبد الله بن شدّاد، عن أبيه شداد بن الهاد الليثي رضي الله عنه قال: (خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشِيِّ، وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى، فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَيَّ صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا. قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي. فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ، قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَيَّ صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلَّتْهَا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ! قَالَ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعْجِلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ!»^(١).

- عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمْصُ لِسَانَهُ، أَوْ قَالَ: شَفَّتَهُ - يَعْنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - وَإِنَّهُ لَنْ يُعَذِّبَ لِسَانٌ أَوْ شَفَتَانِ مَصَّهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ!)^(٢).

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٧٣١)، وفي «الصغرى»: ٢٢٩/٢؛ وأحمد (١٦٠٣٣)؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (٥٥٨٠)؛ والحاكم: ١٦٥/٣ - ١٦٦ وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني وشعيب الأرناؤوط.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٨٤٨)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

- وروى سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: (لقد قُذْتُ بنبي الله صلى الله عليه وآله والحسن والحسين بغلته الشهباء، حتى أَدْخَلْتُهُمْ حَجْرَةَ النبي صلى الله عليه وآله، هذا قُدَّامَهُ وهذا خَلْفَهُ) ^(١).

وأخبار النبي صلى الله عليه وآله مع أحبابه أولاد فاطمة كثيرة جليلة، قد ذكرنا هنا ما يفي بالغرض، وسنفصل ذلك بإسهاب في ترجمتي الحسن والحسين إن شاء الله تعالى.



(١) أخرجه مسلم (٢٤٢٣)؛ والترمذي (٢٩٨٠)؛ وابن حبان (٥٦١٨).

العلاقة بين الزوجين الكريمين

أولاً: أحداث عارضة في حياة الزوجين، وعلاج نبوي كريم:

• الحياة الزوجية تجمع بين رجل وامرأة لكل منهما شخصيته ونمط تفكيره وطباعه وأشواقه وملكاته وتطلعاته وخياله وأساليبه في التعامل داخل البيت وخارجه... وللقلوب عالمها وأشواقها وطموحاتها وأمنياتها، وعندما يجتمع القلبان على دين واحد وغاية واحدة، ويجمع بينهما حبُّ الله تعالى، وتحوطهما رعاية النبي ﷺ واهتمامه ومحبته؛ يكون لهذا (البيت الملكي) طابعه المميز وتعامله الفذ وحياته العامة بالحب والتبجيل.

يَبْدُ أن الدهور تتقلب والأيام تتغير، فلا شيء في الحياة يبقى على وتيرة رتيبة وَسَنَن واحدة... وهكذا النفوس والعواطف والطباع والأمانى يعتورها الانبساط والانقباض، وتجيش وتخبو، ويصيبها الشد والجذب، والأخذ والرد؛ فيحدث الاختلاف وتقع المنافرة! وبمقدار ما يكون الزوجان

كبيرين جليلين، تكون الهفوة بينهما كبيرة لا تُطاق لأن كلاً منهما ينظر إلى الآخر بعين الإجلال والإكبار، لدرجة أنه لا يتوقع منه كبوة ولا يخطر بباله منه هفوة... ولكن أيضاً لأنهما جليلان كريمان شريفان؛ سرعاناً ما تذوب تلك الشائبة التي عكّرت صفو عيشهما، وتتلاشى تلك الغشاوة التي اعترضت نور حياتهما.

هكذا كانت حياة البضعة النبوية الطاهرة البتول مع ابن عمّها السباق إلى الإسلام البطل الكريم الشهم النبيل، الذي اشتملت أخلاقه على الحياء والسماحة والعفو مع الأغراب؛ فكيف تكون مع الأحباب؟!.

والأجمل من ذلك كله أن هذا البيت السعيد كان يجدّ دوماً عين النبوة تحرسه، وقلبه ﷺ معلقاً به أبداً، ويده الحانية تلمس حياة الزوجين وتزيل ما يعلّق بها من غبار الحياة، ورعايته ورحمته وعطفه ولطفه وأنسه وعدالته تحيط ذاك البيت وتتخلله في كل صغيرة وكبيرة، فتراه بيتاً مثاليّاً، مع ما يعتوره من منغصات لا تخلو منها هذه الحياة!.

والأمثلة ووقائع الحياة تضيء هذا الجانب الخطير من حياة الزهراء مع زوجها عليّ رضي الله عنهما وأرضاهما.

- تأمل هذا الموقف النبيل والتربية الرفيعة، حيث يعلم

رسول الله ﷺ بأن خلافاً ما وقع في بيت فاطمة، وقد غاضبها عليٌّ وترك البيت وأوى إلى المسجد، فيجيء المربي الأعظم ﷺ إلى صهره يؤانسّه ويداعبه ويسكّن من غضبه ويدلّله ويناديه بكنية لطيفة التصقّت بعليٍّ وأحبّها ما لم يحبّ غيرها من اسمه وكُنّاه.

عن سهل بن سعد قال: (جاء رسول الله ﷺ بيتَ فاطمة فلم يجد عليّاً في البيت، فقال: «أين ابنُ عمك؟» قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقلّ عندي! فقال رسول الله ﷺ لإنسان: «انظر أين هو؟» فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقدٌ. فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شِقِّه وأصابه ترابٌ، فجعل رسول الله ﷺ يمسحُه عنه ويقول: «قُمْ أبا تُراب، قُمْ أبا تُراب!»^(١)).

يقول الحافظ في فوائدها هذا الحديث: (قال ابن بطّال: فيه أن أهل الفضل قد يقع بين الكبير منهم وبين زوجته ما طبع عليه البشَرُ من الغضب، وقد يدعوه ذلك إلى الخروج من بيته، ولا يُعاب عليه. قلت^(٢): ويَحْتَمِلُ أن يكون سببُ خروج

(١) أخرجه البخاري (٤٤١)؛ ومسلم (٢٤٠٩)، وغيرهما. فلم يقل: من

القبيلة، وهو نوم نصف النهار.

(٢) القائل هو الحافظ ابن حجر.

عليّ خشيةً أن يبدو منه في حالة الغضب ما لا يليق بجناب فاطمة عليها السلام، فَحَسَمَ مادة الكلام بذلك إلى أن تَسْكُنَ فوراً الغضب من كلّ منهما. وفيه كرمٌ خُلِقَ النبي ﷺ لأنه توجّه نحو عليّ ليرضّاه، ومسح التراب عن ظهره ليسطه، وداعبه بالكنية المذكورة المأخوذة من حالته، ولم يُعَاتِبْهُ على مغاضبته لابتته مع رفيع منزلتها عنده؛ فيؤخذ منه استحبابُ الرفق بالأصهار وتركُ معاتبتهم إبقاءً لمودّتهم، لأن العتاب إنما يُخْشَى ممن يخشى منه الحقد لا ممن هو مُنَزَّه عن ذلك^(١).

ونذكر هنا ما يسألُ القارئ ويضحكه من السخف الذي يذكره الرافضة في سبب تكنية النبي ﷺ صهره عليّاً بأبي تُراب:

روى أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي المعروف بالصدوق، عن أبيه، عن علي بن إبراهيم بسنده، عن عباية بن ربيعي قال: (قلتُ لعبد الله بن العباس: لِمَ كُنِيَ رسولُ الله ﷺ عليّاً أبا تُراب؟ قال: لأنه صاحبُ الأرض، وحجّةُ الله على أهلها بعده، وبه بقاؤها، وإليه سكونها! ولقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعدَّ الله تبارك وتعالى لشيعة عليّ من الثواب والزُلفى والكرامة؛ قال:

(١) الفتح: ٧٥٠/١٣ - ٧٥١، شرح الحديث (٦٢٠٤).

يا ليتني كنت تراباً [قال في الهامش: في أكثر النسخ: ترابياً] أي: يا ليتني كنت من شيعة علي، وذلك قول الله ﷻ: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾ [النبا: ٤٠] ^(١).

•• وعليّ ﷺ كان فارساً مغواراً من أفذاذ المجاهدين الأشداء في ميادين الوغى، ومن هذه صفاته يكون فيه شدة - وقد لا تعني الغلظة والجفاء - وربما تبدر منه بعض مظاهرها في بيته مع زوجته، فكان سراعاً ما يفى ويرجع إلى لطفه ووداعته معها، ويعتذر إليها ويقسم ألا يفعل شيئاً تكرهه، تكرمة لها ولعشرتها، وإعظماً لمقام أبيها ﷺ، الذي كان سراعاً ما يتدخل بينهما فيزيل ما علق بماء القلوب لتعود صافية مثلاًثة.

- يقول عمرو بن سعيد: (كان في عليّ على فاطمة شدة، فقالت: والله لأشكونك إلى رسول الله! فانطلقت، وانطلق عليّ بآثرها، فقام حيث يسمع كلامهما، فشكت إلى رسول الله غلظ عليّ وشدته عليها).

فتلطف النبي ﷺ في إرضاء ابنته ورعاية خاطرها، وهمس في فؤادها بأن ترفق بزوجها وتصبّر على ما قد يبدر منه؛ فيقول لها: (يا بنية، اسمعي واستمعي واعقلي: إنه لا إثمرة بامرأة لا تأتي هوى زوجها وهو ساكت).

(١) معاني الأخبار، لابن بابويه القمي، ص ١٢٠.

ويسمع عليّ هذا الكلام، ويرى إكبار النبي ﷺ له؛ فتتوارى الشدة وتَنطِق الرجولة والشهامة والوفاء، فيقول عليّ: (فَكَفْتُ عما كنت أصنعُ، وقلت: والله لا آتي شيئاً تكرهينه أبداً!)^(١).

- ومرة أخرى ينشَب بين الزوجين سوءُ تفاهم، ويجري بينهما كلام يعكّر صفوَ حياتهما، فيُسرع النبي (الأب) ﷺ لإطفاء شرر الخلاف، ويُصلح ما بينهما بحكمته ولُطفه بأسلوب تربوي عملي ينبض بالحياة الشاخصة، ويبقى درساً رائعاً للأمة... يروي حبيب بن أبي ثابت فيقول: (كان بين عليّ وفاطمة كلامٌ، فدخل رسول الله ﷺ، فألقى له مثلاً فاضطجع عليه، فجاءت فاطمة فاضطجعت من جانب، وجاء عليّ فاضطجع من جانب، فأخذ رسول الله ﷺ بيد عليّ فوضعها على سُرّته وأخذ بيد فاطمة فوضعها على سُرّته، ولم يَزَلْ حتى أصلح بينهما، ثم خرج! قال: فقليل له: دخلت وأنت على حال وخرجت ونحن نرى البُشرَ في وجهك! فقال: وما يَمْنَعُني وقد أصلحتُ بين أحبّ اثنين إليّ؟!)^(٢).

- وكان علي عليه السلام يريد من زوجه وأهل بيته أن يكونوا دائماً على سبيل الجدِّ والاجتهاد والصرامة والزهد في السَّراء

(١) طبقات ابن سعد: ٢٦/٨.

(٢) طبقات ابن سعد: ٢٦/٨؛ الإصابة: ٣٦٨/٤. المِثَال: الفِراش الخَلَق.

والضراء، حتى إنه لينكر على زوجته أن رآها قد تبسّطت باليسير من زينة الدنيا في لباسها:

جاء في (حديث جابر الطويل) الذي يصف فيه (حَجَّة النبي ﷺ)؛ قال جابر: (وقدم عليّ ﷺ من اليمن بُذُن النبي ﷺ، فوجد فاطمة ﷺ ممن حلّ ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت، فأنكر عليّ ذلك عليها، وقال: مَنْ أَمَرُكِ بهذا؟ فقالت: أبي. فكان علي يقول بالعراق: ذهبْتُ إلى رسول الله ﷺ محرّشاً على فاطمة في الأمر الذي صنَعْتُهُ، مُستفتياً لرسول الله ﷺ في الأمر الذي ذَكَرْتُ عنه، فأخبرته أنني أنكرت ذلك عليها، فقالت: أبي أمرني بهذا، فقال: «صَدَقْتُ، صَدَقْتُ!»^(١)).

•• ومن جميل الأحداث ولطيف المشاعر والتنافس على الخير؛ أن نجد الزوجين الكريمين يتسابقان في تحقيق محبة النبي ﷺ لهما، وكل منهما يسعى ليكون أثيراً عنده أكثر من الآخر لما يعلم من سعادته ﷺ بذلك، ولأنه أيضاً يوثق وشائج الزوجية ويُعلي القدوة الصالحة للأبناء الصغار الذين يدرجون في بيت فاطمة وتحت عيْن جدّهما ﷺ ... فترى فاطمة وعلياً كلّاً منهما يرى أنه أَحَبُّ إلى النبي ﷺ، فما إن يدخل عليهما حتى يستبقا إليه بالسؤال أيهما أَحَبُّ إلى قلبه!.

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨)؛ وأبو داود (١٩٠٥)؛ وابن ماجه (٣٠٧٤).

يقول ابن عباس: (دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على عليّ وفاطمة وهما يضحكان، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وآله سكتا، فقال لهما النبي صلى الله عليه وآله: «ما لَكُما كنتما تضحكان، فلما رأيْتُماني سكتُما؟!» فبادرت فاطمة فقالت: بأبي أنت يا رسول الله، قال هذا: أنا أحبُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منك، فقلتُ: بل أنا أحبُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منك! فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «يا بُنَيَّةُ لكِ رِقةُ الولد، وعليّ أعزُّ عليّ منك»^(١).

وفي رواية: عن أبي هريرة: (أن علي بن أبي طالب قال: يا رسول الله، أئنا أحبُّ إليك أنا أم فاطمة؟ قال: «فاطمةُ أحبُّ إليّ منك، وأنت أعزُّ عليّ منها»^(٢)).

وبهذا الجواب النبوي الحكيم الرقيق يكون قد أسعدَ صهره بحبه ولطفه وإكرامه وإعزازه، وغمر ابنته الزهراء بفيض الحب الأبوي الذي لا يُدانيه حبٌّ، فضلاً عن أنها بقيته صلى الله عليه وآله من بعده هي وذريتها الطاهرة.

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير»: ٦٦/١١ (١١٠٦٣)؛ وقال الهيثمي في (المجمع: ٢٠٢/٩): رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط»؛ وذكره الهيثمي في المجمع: ١٧٣/٩، ٢٠٢ وقال: فيه سلمى بن عقبة لم أعرفه، وبقيه رجاله ثقات.

**ثانياً: حادثة قاسية تهزُّ بيت الزوجية، وموقفٌ نبوي صارم
تكرمةً لابنته (علي يريد الزواج على فاطمة!):**

وقعت بين الزوجين الحبيين أحداثٌ وثارتٌ خلافاتٌ وتسَلَّلتْ مشكلاتٌ، هي شيءٌ طبيعي يحدث في جميع بيوت بني آدم، وكانت جميعها تتلاشى وتذوب بفضل الرعاية النبوية الحكيمة، وما تحلَّى به علي وفاطمة من كريم السمائل التي دفعت بالزوج الجليل أن يقول للسيدة الزهراء: (والله لا آتي شيئاً تكرهينه أبداً)!

لكن علياً عليه السلام عزم على أن يفعل أمراً تكرهه كل زوجة، فضلاً عن فاطمة التي تكرهه أعظم الكره وتألَّم منه أعمق الألم؛ لِمَا احتفَّ بذلك الأمر من أحداث ومواقف مغيظة لقلبها من جهة، وبسبب الآلام والأحزان والمعاناة والابتلاءات التي مرت بها في سني حياتها من جهة أخرى... ذلكم الأمر هو أن علياً زوجها الحبيب أراد أن يتزوج عليها ويأتي إلى بيتها بضرة لها! وليس هذا فحسب، فإن تلك الضرة ليست كغيرها من الضرائر، فهي بنتُ أبي جهل الذي هو من أبغض البشر إلى قلبها وقلب أبيها عليه السلام، وهو عدو الله وعدو رسوله والمؤمنين!.

هذا من أعجب العجب وأكبر المكاره؛ بنتُ رسول الله صلى الله عليه وآله تجتمع مع بنت عدو الله في عصمة رجل واحد، وتعيش معها

في بيت واحد وتحت سقف واحد، هذا ما لا يكون أبداً ولا يتصوره خيالٌ ولا يحتمله عقل ولا قلب!.

•• أبو جهل أحدُ جبابرة قريش الذين ناصبوا رسول الله صلى الله عليه وآله العداء منذ فجر الدعوة وإلى أن قُتل كافراً ببدر، وهو من الذين سَعَوْا في إلقاء سَلَى الْجَزُورِ على ظهر النبي صلى الله عليه وآله وهو ساجد في صلاته. وهو من أكابر المجرمين الذين ضَرَبُوا الحصار على رسول الله صلى الله عليه وآله في عشيرته بني هاشم ثلاث سنين في الشَّعْب، ولمَّا لَقِيَ حَكِيمَ بْنَ حَزَامٍ يحمل الطعام إلى عمته خديجة بنت خويلد تعلق الخبيثُ به ومنَّعه من إيصال الطعام وقال له: (لا تبرح أنت وطعامك حتى أفْضَحَكَ بمكة!).

وهو من المستهزئين بالقرآن، فإنه لمَّا ذَكَرَ الله وَعَلَى شَجَرَةٍ الزقوم تخويفاً بها لهم، قال: يا معشر قريش، هل تدرُونَ ما شَجَرَةُ الزقوم التي يخوفُكم بها محمد؟ قالوا: لا، قال: عَجْوَةٌ يشرب بالزُّبْدِ، والله لئن استمكنَّا منها لنتزقَّمَنَّها تزقُّماً! فأنزل الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ • طَعَامُ الْآثِمِينَ • كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ • كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٦].

ولمَّا نزل قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠]، قال أبو جهل لقريش: ثكَلتكم أمهاتكم! أسمعُ ابنَ أَبِي كَبْشَةَ^(١)

(١) يعني النبي صلى الله عليه وآله، كانت قريش تنسب النبي صلى الله عليه وآله إلى أبي كبشة السعدي حاضن النبي صلى الله عليه وآله وزوج حليمة السعدية.

يخبركم أن خَزَنَةَ جهنم تسعة عشر، وأنتم الدَّهْم - أي العدد - والشجعان، أفيعجز كل عشرة منكم أن يَبيطشوا بواحدٍ منهم؟!.

- وأبو جهل هو الذي جاء في نفر غداة الهجرة النبوية إلى بيت أبي بكر الصديق يسأل عنه وعن رسول الله ﷺ، فخرجت إليهم أسماء ذات النطاقين، فقالوا لها: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: لا أدري والله أين أبي! فرفع أبو جهل يده وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدّها لكمة طرح منها قُرْطُها!.

- وهو الذي جيّش قريشاً لحرب الإسلام بالمدينة، وكان من عتاة المشركين الذين خاضوا القتال ببدر، حتى قتله الله وذهب إلى لعنة الله وغضبه، وجيء برأسه فألقي بين يدي رسول الله ﷺ.

أفتكون بنت هذا المجرم الأشِر العدو للدود للإسلام ونبيه ﷺ والمؤمنين؛ زوجةً لعليّ ﷺ ربيب النبوة، وضرةً لبضعَةِ النبي ﷺ وأحبّ بناته إليه؟!.

يأبى الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنون ذلك، وما كان النبي ﷺ ليقبل هذا، ولا كانت فاطمة تُطيقه أو تحتمله أو تصبر عليه، ولا كان المؤمنون يخطر لهم على بال!.

ونَمَى الخبر إلى الزهراء فاستعر الحزن في فؤادها، وغطى على جميع آلامها التي مرّت بها في رحلة الحياة الشاقة

ومَحَنَها القاسية وابتلاءاتها الكبار... وذهبتْ بنفس مهمومة ورجلَيْنِ مُثْقَلَتَيْنِ، ومَشَتْ خطوات قليلة لكنها شديدة البُطء مديدة الزمن المَثْقَل بالأسى؛ حتى وصلتْ إلى حجرة الأب الرحيم وألقتْ على سمعه كلمات معدودات قد صدعت فؤادها، وتمتت شفاتها بأهات حرّى وعيناها قد اغرورقتا بالدموع: (يزعمُ قومُك أنك لا تغضبُ لبناتِك!)، وقصّت عليه الخبر!

فما لبث رسول الله صلى الله عليه وآله أن قام مغضباً وخرج إلى المسجد، وخطب الناسَ فبيّن منزلة فاطمة من قلبه، وأثنى على صهره أبي العاص بن الربيع في وفائه بمعاملته لابنته زينب وامتدحه في مصاهرته، وأعلن أنه لا يحرم حلالاً لكنه يرفض هذا النكاح مبيناً مبرراته على الأشهاد، وخيّر عليّاً؛ إما أن يترك الجمع بين الزهراء وبنت أبي جهل، أو يطلق فاطمة وينكح تلك!

عن المسور بن مخرمة قال: (إنَّ عليّاً خطب بنتَ أبي جهل، فسمعتُ بذلك فاطمة، فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وآله فقالت: يزعمُ قومُك أنك لا تغضبُ لبناتِك، وهذا عليٌّ ناكحُ بنتَ أبي جهل! فقام رسول الله صلى الله عليه وآله، فسمعتُه حين تشهد يقول: «أما بعد؛ أنكحْتُ أبا العاص بنَ الربيع فحدّثني وصدّقني، وإنَّ فاطمة بضعةٌ منِّي، وإنِّي أكره أن يسوءها، والله لا تجتمعُ بنتُ

رسول الله وبنْتُ عدوّ الله عند رجلٍ واحدٍ». فَتَرَكَ عَلِيٌّ الخِطْبَةَ).

وفي رواية: عن المِسْوَر قال: (سمعتُ رسولَ الله ﷺ يخطبُ الناسَ في ذلكَ على منبره هذا - وأنا يومئذٍ مُخْتَلِمٌ - فقال: «إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي، وَأَنَا أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا». ثُمَّ ذَكَرَ صَهْرًا لَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ، قَالَ: «حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي، وَوَعَدَنِي فَوَفَّى لِي، وَإِنِّي لَسْتُ أَحَرِّمُ حَلَالًا وَلَا أُحِلُّ حَرَامًا، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ أَبَدًا»).

وفي رواية أخرى: قال ﷺ: «إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأذَنُونِي فِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ؛ فَلَا أَدْنُ، ثُمَّ لَا أَدْنُ، ثُمَّ لَا أَدْنُ؛ إِلَّا أَنْ يَرِيدَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلَّقَ ابْنَتِي وَيُنْكِحَ ابْنَتَهُمْ، فَإِنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي يُرِيدُنِي مَا أَرَابَهَا، وَيُوْذِينِي مَا آذَاهَا»^(١).

وقد بيّن رسول الله ﷺ للناس سبب رفضه هذا الزواج، فهذه الضَّرّة هي بنت أبي جهل عدو الله ورسوله، وكلُّ المسلمين يعلمون جرائمه، وآثامه. ثم إن السيدة البتول بَضْعَةٌ

(١) أخرجه البخاري (٣١١٠، ٣٧٢٩، ٥٢٣٠) والروايات الثلاث له؛ ومسلم (٢٤٤٩)؛ وأبو داود (٢٠٦٩، ٢٠٧١)؛ وابن ماجه (١٩٩٩)، وغيرهم.

رسول الله صلى الله عليه وآله ومُضَغَّةٌ منه، فلا يريد أن يزيد من آلامها ومصائبها وأحزانها، وقد عانت ما عانت بمكة وفقدت أمها الحبيبة، ثم أُصِيبَتْ بأخواتها الثلاث واحدة بعد الأخرى، فلم يبقَ لها من تستأنس به مِمَّنْ يخفّف عليها الأمر ممن تُفْضِي إليه بسرّها إذا حصلت لها الغيرة.

كما أنه صلى الله عليه وآله يسوءه ما يسوءها، ويؤذيه ما يؤذيها، ويريبه ما يريبها؛ فيريد أن يدفع عنها كل ما يعكر صفو حياتها ويُقلق نفسها ويؤرّق فؤادها!.

كذلك فإنه صلى الله عليه وآله يتخوف عليها أن تُفتن في دينها فلا تصبر على الغيرة فيقع منها في حق زوجها في حال الغضب ما لا يليق بحالها في الدين^(١).

وأكد النبي صلى الله عليه وآله أنه لا يُحرّم حلالاً ولا يُحلّ حراماً، ولكنه إنما نهى عنه لمصلحة، وقال: «فلا آذنُ ثم لا آذنُ ثم لا آذنُ»، وكرّر ذلك تأكيداً، وفيه إشارة إلى تأييد مدة منع الإذن، وكأنه أراد رفع المجاز لاحتمال أن يُحمل النفس على مدة بعينها، فقال: ثم لا آذنُ، أي: ولو مضت المدة المفروضة تقديراً لا آذنُ بعدها، ثم كذلك أبداً^(٢).

(١) انظر: الفتح: ٦٨٥/١١، شرح الحديث (٥٢٣٠).

(٢) الفتح: ٦٨٤/١١؛ تكملة فتح الملهم: ٩١/٥.

وهو ﷺ كان لا يواجه أحداً بما يُعاب به أو يصريح باسمه على الملأ، لكنه - والله أعلم - إنما جهر بمعاتبة عليٍّ مبالغَةً في رضا فاطمة عليها السلام^(١).

•• أما عليٌّ ﷺ فما الذي جعله يُقدم على هذا الأمر؟ وماذا فعل بعد ذلك الموقف الصلب الصريح من رسول الله ﷺ؟.

كيف هانَ عليه مع قربه القريب من رسول الله ﷺ نسباً ومنزلة وتربية وإسلاماً وقد نشأ وترعرع في حجره، ومع توضحياته الجسام وجهاده البطولي في نصرة النبي ﷺ وفي سبيل الدعوة؟! كيف سهّل عليه أن يروّع قلب الحبيبة بنت الحبيب وأم الحسنين ريحانتي النبي ﷺ وقرّة عينه من الدنيا؟! وكيف يكسر قلبها بزواجٍ مثل هذا هو مَظَنَّةُ أن يحوّل القلوب عن مجراها ويعكّر صفو الحياة بين الزوجين الحبيين؟!.

لم يكن يخطر على بال عليٍّ شيء مما أشار إليه رسول الله ﷺ بحق فاطمة، فهو ﷺ يعلم أن تعدّد الزوجات حلال ولا حرج عليه في أن يتزوج على فاطمة؛ فبنات النبي ﷺ يجوز عليهن ما يجوز على بنات المسلمين، وهو

(١) الفتح: ٦٨٦/٨ (٣٧٢٩).

لا يُلام على ابتلاء الزهراء بضرة، فلها أسوة بعائشة وحفصة وغيرهما، ولا يضُرُّ بنتَ أبي جهل عملُ أبيها، فهي صاحبة قد أسلمت، ولا تَزُرُّ وازرةً وَزَرَ أخرى.

هذا كله قد يكون دار في فكر عليٍّ وقلبه فأقْدَم على ذلك الأمر، لكنه ما إن نَمَى إلى علم فاطمة حتى غَضِبَتْ وغَضِبَ لها أبوها ﷺ، وكان ذلك الموقف العصيب والخطبة الصادمة والرأي القاطع بأنه لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدوِّ الله في بيت واحد عند زوج واحد أبداً.

فماذا فعل عليٌّ الزوج الكريم والمجاهد النبيل ابنُ عمِّ النبي ﷺ وزوج الطاهرة البتول وأبو السَّبطين الحسن والحسين؟.. ألا يقتدي بالنبي الأعظم ﷺ الذي عاش مع السيدة الجليلة خديجة بنت خويلد خمساً وعشرين سنة، ولم يَجْمَعْ إليها ضرة تعكّر عليها صفوَ خاطرها؟!.

ولن يرضى عليٌّ بأن يكون أبو العاص بن الربيع قبل إسلامه أبَرَّ منه ببنت رسول الله ﷺ، ولا أَرْغَى في مصاهرته للنبي ﷺ ذمّاماً ولا أكفَرُ وفاءً؛ وهو ربيبُ النبوة والسَّباق إلى الإسلام...

وحاشاه أن يؤذي فاطمة فيؤذي رسول الله ﷺ والعياذ بالله!.

كل هذا شغل عقل عليّ وقلبه مذ سمع النبي ﷺ يقول: «لا آذنُ، ثم لا آذنُ، ثم لا آذنُ، إلا أن يريد ابنُ أبي طالب أن يطلق ابنتي!».

فهذا مما لا يخطر له ببال، ولا يرضاه بحال، ولا يبتغي بيضعة رسول الله ﷺ بديلاً، ولا يقبل عن الإصهار إليه تحويلاً - لذا ما إن سمع قول النبي ﷺ ذاك وشهد موقفه (حتى ترك عليّ الخطبة)، فما تزوج عليها ولا تسرى حتى ماتت رضي الله عنها وأرضاها.

وأقبل على زوجته الأثيرة يعتذر إليها ويترضاها، ويروي لها ما حدث في المسجد وموقف أبيها ﷺ وغضبه لغضبها، واهتمامه الشديد بالحدث، وضيقه مما قد يلحق بابنته من أذى وحزن وهمّ وغمّ، ثم إنكاره على عليّ أن يجمع في بيته بين بنت رسول الله وبنت عدو الله... فتنفرج أسارير الزهراء وقد اغرورقت عيناها بدموع الفرح، وهيمنَ على قلبها ولسانها الطهرُ الذي تأصل في بيت النبوة؛ اغتباطاً بموقف الأب الرحيم، وعفواً وصفحاً عن الزوج الكريم.

وانقشعت سحابة سوداء ظلمت بيت فاطمة وقتاً ليس بالطويل، وتجدد الودّ والحب والوئام، وتجدد معه فرح عمّ المجتمع المسلم، وزاد آل بيت النبي ﷺ رفعةً وإجلالاً وتكريماً، وحرصاً على أن لا يتسبب أحد بإيذائهم من قريب أو بعيد.

•• والمرأة التي خطبها علي عليه السلام هي جُويرية بنت أبي جهل، وهي صحابية قد أسلمت وبايعت، وقد ترجم لها الحافظ في «الإصابة».

وكانت هذه الواقعة بعد فتح مكة كما جزم به الحافظ في «فتح الباري»^(١)، وزعمت بنت الشاطئ أن المؤرخين صَمَتُوا عن تاريخ الحادثة، ورجَّحتُ أن يكون ذلك سنة (٢هـ)^(٢).

وزعم الشريف المرتضى أن الحديث موضوع!. وكلامه مردود لا قيمة له^(٣).

وأطال بعض الرافضة المعاصرين في رد حديث «الصحيحين»، وادعى التناقض بين الروايات، وطعن على الصحابة عليهم السلام^(٤).



(١) الفتح: ٦٨٦/٨ (٣٧٢٩).

(٢) سيدات بيت النبوة، ص ٤٧٩ - ٤٨٠.

(٣) الفتح: ٦٨٦/٨.

(٤) انظر مثلاً: فاطمة بنت محمد قدوة للنساء، للسيد علي عاشور، ص

١٤٠ - ١٤٩.

أحاديث واهية وموضوعة ومزاعم ومجازفات باطلة

أولاً: أحاديث واهية وموضوعة وردت في موضوع زواج فاطمة:

كُثرت الأحاديث الواهية والموضوعة في مناقب أكابر الصحابة وبخاصة أهل البيت، ولا تكاد تجد فصلاً من فصول حياة علي وفاطمة والحسين إلا ويصادفك ركامٌ من الأخبار الباطلة والموضوعات، هذا في كتب أهل السُّنَّة، أما في مصادر الشيعة فالأمر يفوق الوصف ويتفوق على الخرافة!

ونشير في هذا المبحث إلى طَرَف من الأحاديث الباطلة التي رويت في تضاعيف أخبار زواج فاطمة، وألْتَقِط بعضها من كتب التراجم والرجال:

١ - عن عبد الله بن مسعود قال: قال لنا رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَزُوجَ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيٍّ، ففعلتُ. وسَرَدَ حديثاً طويلاً.

حديث موضوع^(١).

٢ - عن يعقوب بن إسحاق، عن جعفر بن هارون، عن محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: (لَمَّا خُطِبَ عَلِيٌّ فَاطِمَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ لَهَا: أَيُّ بُنَيَّةٍ، إِنْ ابْنَ عَمِّكَ عَلِيًّا قَدْ خُطِبَ، فَمَاذَا تَقُولِينَ؟ فَبَكَتْ، ثُمَّ قَالَتْ: كَأَنَّكَ يَا أَبُةَ إِنَّمَا أَذْخَرْتَنِي لِفَقِيرٍ قَرِيشٍ! فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا تَكَلَّمْتُ فِي هَذَا حَتَّى أَدْنِيَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ السَّمَاءِ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: رَضِيتُ بِمَا رَضِيَ اللَّهُ لِي وَرَسُولِهِ)^(٢).

حديث باطل، فيه يعقوب: كَذَاب، وجعفر: مَتَّهَم، وقال ابن كثير: مُنْكَر.

٣ - عن عبد الرحمن بن محمد ابن أخت عبد الرزاق، حدثنا توبة بن علوان، حدثنا شعبة عن أبي حمزة، عن ابن

(١) ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات»: ٤١٥/١ - ٤١٦؛ والسيوطي في «اللائل المصنوعة»: ٣٩٦/١؛ وابن عَرَّاق في «تنزيه الشريعة»: ٤١٠/١؛ والألباني في «الضعيفة» (١٨٤٥)، وغيرهم. وأخطأ الهيثمي في «المجمع»: ٢٠٤/٩؛ والصالح في «سبل الهدى والرشاد»: ٤٧٧/١١؛ فقالا: رجاله ثقات!.

(٢) تاريخ ابن عساكر «ترجمة علي»: ٢٣٠/١ - ٢٣١؛ البداية والنهاية: ٣٤٣/٧.

عباس قال: (لَمَّا زُفَّتْ فَاطِمَةُ إِلَى عَلِيِّ كَانِ النَّبِيُّ ﷺ أَمَامَهَا، وَجَبْرِيلُ عَنْ يَمِينِهَا، وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِهَا، وَسَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ خَلْفَهَا يَسْبِّحُونَ اللَّهَ وَيَقْدِّسُونَهُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ!)^(١).

كذب موضوع. قال الذهبي في ترجمة «توبة بن علوان» من «الميزان»: هذا كذبٌ ضراح. وقال ابن عَرَّاق: فيه توبة بن علوان وعنه عبد الرحمن بن محمد ابن أخت عبد الرزاق، وأحدهما وضعه.

٤ - عن أبي هريرة قال: (قالت فاطمة عليها السلام: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَوَّجْتَنِي مِنْ عَلِيٍّ بِنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ فَقِيرٌ لَا مَالَ لَهُ؟! فَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ، أَمَا تَرْضِينَ أَنْ اللَّهُ وَعَلَيْكَ أَطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَاخْتَارَ رَجُلَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا أَبُوكَ وَالْآخَرُ بَعْلُكَ؟!)^(٢).

قال الذهبي: موضوع.

٥ - وإليك هذا الخبر من أهم مصادر الشيعة وهو (الكافي) للكليني، والذي هو عندهم بمنزلة (صحيح البخاري) عند أهل السنة، وأستغفر الله تعالى من المقابلة بين ضياء النبوة المتلألئ في (أحاديث البخاري) وظلمات الاختلاق والافتراء في (أحاديث الكافي).

(١) ميزان الاعتدال: ٣٦١/١؛ تنزيه الشريعة: ٤١٢/١.

(٢) المستدرک: ١٢٩/٣؛ تاريخ ابن عساكر «ترجمة علي»: ٢٤٨/١ - ٢٥٠.

روى الكليني بسنده: عن علي بن جعفر قال: (سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذ دخل عليه مَلَكٌ له أربعة وعشرون وجهاً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: حبيبي جبرائيل لم أرك في مثل هذه الصورة! قال المَلَك: لستُ بجبرئيل يا محمد! بعثني الله وَعَلَيْكَ أَنْ أَزُوجَ النور من النور، قال: مَنْ مَمَّن؟ قال: فاطمة من علي. قال: فلما وَلَّى المَلَك إذا بين كَتَفَيْهِ: محمدٌ رسول الله، عليٌّ وصيه! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْذُ كَمْ كُتِبَ هَذَا بَيْنَ كَتَفَيْكَ؟ فقال: مَنْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ آدَمَ بَائِثِينَ وَعِشْرِينَ أَلْفَ عَامٍ^(١).

ثانياً: مزاعم وتقولات ومجازفات:

ومثل ما شوّهت الأحاديث الباطلة والأخبار الموضوعة سيرة الزهراء الناصعة، كذلك أشهّم في الإساءة إلى تلك السيرة العطرة كثرة الآراء الباطلة والمجازفات الساقطة من طائفة كبيرة - على مرّ التاريخ - من المصنّفين والمؤلفين والكتاب ومن يُسمّى بالباحثين؛ الذين جمعوا الغث والسمين وأبدوا (اجتهادات واستنتاجات) هي أخرى بأن توصف بالمزاعم والمجازفات... وألمح هنا إلى أمثلة من ذلك:

(١) أصول الكافي: ٢٧٦/١، باب مولد الزهراء، حديث (أ).

●● تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن في وصف العلاقة بين علي وفاطمة - وكان علي في حَجَر النبي ﷺ منذ صغره -:
(وكانت - فاطمة - تحسُّ ابنَ العم عليَّ بن أبي طالب قريباً منها في المنزل الجديد، وتلمَّحُه يحوم حول أبيها ﷺ وفي نفسه أمرٌ يكتمه لا يريد أن يُفصح عنه، وعلى لسانه كلمات يُمسكها قبل أن تمس شفتيه. على أن فاطمة لم تكن بالتّي يخفي عليها سرُّ ابن العم، فمنذ بلغت سنَّ الزواج وهي تحس بإلهام فطرتها ووحى قلبها أن علياً متعلّق بها غير منصرف عنها ولا راغب في سواها من بنات المسلمين!)^(١).

وهو كلام مرسل وإنشاء أديب لا أساس له من النقل، ولا يقبله عقل يعرف - والمؤلفة تعرف - حق المعرفة طُهر المجتمع الذي عاش فيه أولئك السادة فضلاً عن بيت النبوة! فكيف يصح تصور تلك (العلاقات القلبية) بين علي وفاطمة، ولا يعلم ما في القلوب إلّا علام الغيوب.

ومثل هذا الكلام قد شاهدناه في عصرنا في البيئات المتفسخة من (علاقات الإعجاب المتبادل) بين الشاب والفتاة، والتعبير عن ذلك بالإشارة والكلمة وغير ذلك، وهذا لا يُقبل البتّة ولا يُتصوّر حدوث مثله في مجتمع (جيل النبوة)!.

(١) سيدات بيت النبوة، ص ٤٦٣.

- وتحدثت الدكتورة عن أن فاطمة قد أغلقت قلبها عن فكرة الزواج، ثم تغير مزاجها عند زواج أبيها عليه السلام بالسيدة عائشة، وكان علي ينتظر تلك الفرصة السانحة منذ سنين، تقول: (والواقع أن علياً كان يتلَبَّث حتى تحين فرصة موافاة مُسَعِّفة، يستطيع فيها أن يطمع في قبول الزهراء الانتقال من بيت أبيها إلى بيت الزوجية. وطال انتظاره بضع سنين، حتى إذا دخل عليه السلام بعائشة الحبيبة، خامرَ علياً الرجاء في تحقيق رغبته، لكن ظل مُحجماً فترة، لا يدري بمَ يُمهرها، وليس في يده مال، ثم زاد إحجامه حين بلغه أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد طلبا يدَ الزهراء، فردَّهما أبوها عليه السلام في رفق بالغ) ^(١).

وهذا الانتظارُ المزعوم (بضع سنين)، وربطُ خطبة فاطمة بزواج عائشة، إنما هو مجرد تخرُّصات لا أساس لها من الحقيقة، بل تردُّها الأخبار الصحيحة التي أوردناها في قصة زواج علي بفاطمة.

- والأعجب من ذلك زعمُها بأن الصحابة في رغبتهم الزواج بينات رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا لا يرون أنفسهم أكفاء لمصاهرته، فتذكر تهيبُ الناس عن التقدم من بيت النبوة للتشرف بالإصهار إليه صلى الله عليه وآله، والناس بعد البعثة: إما كافر

(١) سيدات بيت النبوة، ص ٤٦٥، و٤٦٣ - ٤٦٤.

لا يفكر في مصاهرته، وإما مسلم؛ تقول: (وقد عرفنا موقف المسلمين من نبهم وإلى أي مدى كانوا يُجِلُّونه ويعظّمونه ويفتدونه بالمُهَج والأرواح، فغير مستغرب ألا يروا أنفسهم كُفْئاً لمصاهرته، وأن يَعْضُّوا الطَّرْفَ عن «أم أبيها» الزهراء إجلالاً وتهيباً. ولا يرد على هذا بأن عثمان رأى في نفسه كُفْئاً لرقية، فهو على موضعه في قريش بعامه، ثراءً وشرفاً وجاهاً، إنما طمع في الزواج من بنت النبي ﷺ، بعد أن طَلَّقَهَا ابْنُ أَبِي لَهَب كِيداً وحقدًا، وليس الأمر كذلك مع الزهراء)^(١).

وهو كلام باطل ما كُنَّا نَحْبُ أن تسقط المؤلفة الفاضلة فيه، فإن مثل هذا الكلام هو من التقوُّلِ على رسول الله ﷺ، وحاشاه أن ينظر إلى أصحابه الكرام بمثل هذه المقاييس، وهو الذي تمنى أن تكون له بنت ثالثة حتى يزوّجها من ذي النورين بعد وفاة زوجه أم كلثوم! كما أن هذا التوصيف غريب على الصحابة ولم يخطر لهم على بال، ولا قاله أحد منهم ولا أحد من علمائنا من بعدهم، ولا علاقة له البتة بإجلال النبي ﷺ وإعظامه وافتدائه بالأرواح... فلا ندري ما الذي أوحى به إلى المؤلفة غفر الله لها!.

●● ومثل هذا الكلام الأخير يشبه ما تزعمه الرافضة،

(١) سيدات بيت النبوة، ص ٤٦٩.

وإن كان هؤلاء ذهبوا به بعيداً جداً؛ فروى الكليني بسنده: عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال: (لولا أن الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين عليه السلام^(١) لفاطمة، ما كان لها كفء على ظهر الأرض من آدم ومن دونه)^(٢).

ورواه ابن بابويه القمي، عن علي عليه السلام: (أن جبريل هبط على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد، إن الله جل جلاله يقول: لو لم أخلق علياً عليه السلام؛ لما كان لفاطمة ابنتك كفء على وجه الأرض آدم فمن دونه)^(٣)!.

وهو إفك مفترى على الله ورسوله وآل بيته، قاتل الله من افتراه ووضع، فهذا يعني أن علياً عليه السلام أفضل من الأنبياء والمرسلين، والعياذ بالله تعالى!.

وللرافضة أقوال وروايات أخطر من هذا بكثير، سنذكر بعضاً منها في هذا الكتاب في المواضع المناسبة، وإنما نوردها لنبين حقيقة مذهب القوم في حقائق الإسلام وعقائده وآل البيت الأطهار، ونحمد الله تعالى على ملازمة السنة.



(١) أي: علي بن أبي طالب.

(٢) أصول الكافي: ٢٧٦/١، باب مولد الزهراء، حديث (١٠).

(٣) عيون أخبار الرضا: ٢٢٥/١؛ الشيعة وأهل البيت، ص ١٣٣.

الباب الرابع

شمائل الزُّهراءِ وأخلاقها وعبادتها

- شمائلها وأخلاقها.
- عبادتها وأذكارها ورغبتها بالآخرة.



جاء في وصف السيدة فاطمة عليها السلام: أنها أشبه الناس برسول الله ﷺ في كلامه وحديثه وهديه ودلّه وسَمْتِه^(١)، والدّلّ والهَديّ والسَّمْت عبارة عن الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار وحُسن السيرة والطريقة والاستقامة والشمائل الكريمة، وحسبك بهذا جلالة ورفعة وسموًا!.

فالزهراء وُلدت لأكرم إنسان وأعظم نبي في كل ما جمّله الله به من الأخلاق الرفيعة والصفات الحميدة والشمائل البديعة والأعمال المجيدة. وأمّها السيدة الطاهرة خديجة أفضل نساء الأمة وإحدى أفضل نساء أهل الجنة وإحدى الكاملات من نساء العالمين.

فورثت فاطمة من أبويها خصال الخير والفضيلة والتُّبَل والطهارة والاستقامة والزهد والكرم ومثيلاتها من أزكى شمائل عباد الله وأتقاهم وأنقاهم.

(١) انظر ما تقدم: ص ٤١ من هذا الكتاب.

وإذا كان الوصف الرفيع الذي ثبت بالنقل الصحيح من أناس شهود مقربين وفي أعلى درجات المصداقية والشهادة بالحق - مثل: عائشة أم المؤمنين وأنس بن مالك - قد وصفوا السيدة البتول بأن هديها ودلّها وسمّتها مثلُ رسول الله ﷺ؛ فإن هذا يكفي لتكوين صورة متكاملة عن شمائلها وأخلاقها وعبادتها، ولو كانت النصوص في هذا الباب قليلة؛ فالزهراء قبسٌ من ذاكم الضياء النبوي المتلألئ والنور العميم والخلق الرفيع والشمائل المحمدية التي هي مضرِبُ المثل في العالمين وتاج أخلاق النبيين عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام.

ورثت فاطمة تلکم الشمائل الجليلة والأخلاق الرفيعة والعبادة المتبتلة، ورضعت من ثديي الطاهرة خديجة وغذيت بهدي النبوة واستظلت بظلال القرآن، وعاشت غدوات جبريل وروحاته ونزوله في بيت أبيها ﷺ، وترعرعت في كل ساعات حياتها تحت عين النبوة الممتزجة بالأبوة، وسارت مع الدعوة منذ مشرق شمسها، وكبرت معها في سنّها ووعيتها وتديّنها، ساعة فساعة ويوماً فيوماً وحديثاً فحديثاً في الفترة المكية ثم المدنية، فنبتت كشجرة طيبة أصلها في محضن النبوة وفرعها في سماء الأخلاق والعبادة، واستحقت بذلك كلّ تلك البشرى

الربانية التي نزل بها الوحي الأمين ورَدَدَتْهَا شَفْتَا الصَّادِقِ
المصدوق: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وللعقل والقلب والخيال الصادق أن يتصور شمائل فاطمة
وأخلاقها وعبادتها وهي بنت رسول الله ﷺ؛ وخلقها مثل خلقه
وهديها مثل هديه ودلها مثل دله وسَمَّتها مثل سَمِّته!
فرسول الله ﷺ خلاصة الاصطفاء من البشر، ومُصَاصَةُ الْخَيْرِ
في أنبل الناس، ومنبَعُ الْكَمَالِ الْأَعْظَمِ في دوحَةِ الْإِنْسَانِيَةِ،
وابنُّهُ الزَّهْرَاءُ قَبَسٌ مِنْ ذَاكُمُ الْهَدْيِ الْفَرِيدِ الرَّفِيعِ.

كانت رضي الله عنها وأرضاها صابرة دَيِّنة خَيْرَةً صَيِّئَةً
قَانِعَةً شَاكِرَةً لِلَّهِ، زَاهِدَةً عَابِدَةً صَادِقَةً تَلَاءَةً لِكِتَابِ اللَّهِ، جَرِيئَةً
النَّفْسِ جَلِيلَةَ الْقَدْرِ، نَبِيلَةَ الْخِصَالِ كَرِيمَةَ الْفِعَالِ، مُضْرِبَ
الْأَمْثَالِ لِلْبَنَاتِ الْبَارَةِ وَالْأُمِّ الرُّؤُومِ وَالزَّوْجَةِ الْوَفِيَّةِ وَالْمَرْبِيَّةِ
الْعَظِيمَةِ وَالسَّيِّدَةِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي جَمَعَتْ خِصَالَ الْخَيْرِ وَمَكَارِمَ
الْأَخْلَاقِ وَجَلَائِلِ الْأَعْمَالِ.

وَصَدَّقَ شَاعِرُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدٌ إِقْبَالَ حَيْثُ يَقُولُ فِي شَمَائِلِ
الزَّهْرَاءِ وَأَخْلَاقِهَا وَعِبَادَتِهَا:

هِيَ أَسْوَةٌ لِلْأَمْهَاتِ وَقُدْوَةٌ يَتَرَسَّمُ الْقَمَرُ الْمَنِيرُ خُطَايَاها
لَمَّا شَكَا الْمَحْتَاجُ خَلْفَ رَحَابِهَا رَقَّتْ لَتِلْكَ النَّفْسِ فِي شَكْوَاهَا

أَعْطَتْهُ مَا أَدَّخَرُوا لِفِطْرِ صِيَامِهِمْ^(١) يَا سَحْبُ أَيْنَ نَدَاكَ مِنْ جَدَّوَاهَا
نُورٌ تَهَابَ النَّارُ قُدْسٌ جَلَالُهُ وَمُنَى الْكَوَاكِبِ أَنْ تَنَالَ ضِيَاهَا
جَعَلْتُ مِنَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ غِذَاءَهَا وَرَأْتُ رِضَا الزَّوْجِ الْكَرِيمِ رِضَاهَا



فَمَهَا يَرْتَلُ آيَ رَبِّكَ بَيْنَمَا يَدُهَا تُدِيرُ عَلَى الشَّعِيرِ رَحَاهَا
بَلَّتْ وَسَادَتْهَا لَأَلِي دَمْعُهَا مِنْ طَوْلِ خَشْيَتِهَا وَمِنْ تَقْوَاهَا
جَبْرِيلُ نَحْوَ الْعَرْشِ يَرْفَعُ دَمْعَهَا كَالظَّلِّ يَرُوي فِي الْجَنَانِ رُبَاهَا
لَوْلَا وَقُوفِي عِنْدَ شَرِّهِ الْمَصْطَفَى وَحُدُودِ شَرْعَتِهِ وَنَحْنُ فِدَاهَا
لَمْضِيَّتُ لِلتَّطَوَّافِ حَوْلَ ضَرْيَحِهَا وَغَمَرْتُ بِالْقُبَلَاتِ طِيبَ ثَرَاهَا^(٢)



(١) ورد هذا الشطر في القصيدة: (جادت لتنقذه برهن خمارها)، وغيره كما أثبتناه الدكتور الفاضل فاروق حمادة، ليكون متفقاً مع ما ورد في الخبر. انظر كتابه: الدوحة النبوية، ص ٦٣.

(٢) ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة، لسيد عبد الماجد الغوري: ٢٣٥/١؛ وإقبال الشاعر والفيلسوف والإنسان، بقلم حميد مجيد هدو، ص ١٣٨ - ١٣٩.

الفصل الأول

شمائلها وأخلاقها

أولاً: حياؤها وعفتها وصيانتها نفسها:

من أجمل ما تتحلى به المرأة المسلمة الحياء والعفاف وصيانة النفس والسمعة عن الدنيا والشبهات وسفاسف الأمور وما يخدش السيرة ويستجلب كلام الناس ويلفت عيون المجتمع على ما لا يليق... وقد حققت النساء المسلمات في عصر الرسالة وعهد الخلافة الراشدة أرفع وأنبل ما تصبو إليه الإنسانية في الطهر والعفاف والحياء، وفي أعلى تاج هؤلاء بنات سيدنا رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين اللاتي زكاهن الله سبحانه في محكم آيات الكتاب العزيز.

جاء في قصة زواج فاطمة من حديث أسماء بنت عميس: أن النبي ﷺ دخل بيت صهره عليّ ونضح عليه الماء ودعا له، ثم دعا فاطمة، فقامت إليه تعثر في مِرْطَها من الحياء^(١).

وعندما أجهَدَتْها الأعمال الكثيرة، وجاء سَبْيُي إلى رسول الله ﷺ، رَجَّأها عليّ أن تنال من ذلك خادماً تُعينها،

(١) تقدم مطولاً: ص ١٠٤ - ١٠٥، حاشية (١)، في هذا الكتاب.

وَحَضَّهَا عَلَى أَنْ تَذْهَبَ إِلَى أَبِيهَا ﷺ لَعَلَّهَا تَظْفِرُ بِمَا يُخَفِّفُ عَنْهَا مِنْ أَعْبَائِهَا... فَتَشَجَّعَتْ لِلْأَمْرِ، لَكِنَّمَا مَا إِنَّ دَخَلَتْ بَيْتَ النُّبُوَّةِ حَتَّى عَقَدَ الْحَيَاءُ لِسَانَهَا وَأَحْجَمَتْ عَنْ مَرَادِهَا مَعَ جَرَأَةِ نَفْسِهَا وَدَالَّتْهَا عِنْدَ النَّبِيِّ الْأَبِ الرَّحِيمِ ﷺ، وَعَادَتْ إِلَى بَيْتِهَا دُونَ أَنْ تُفْصَحَ عَمَّا تَعَانِي مِنْهُ!.

جاء في حديث طويل أوردهنا بتمامه: (قال عليّ لفاطمة ذات يوم: والله لقد سَنَوْتُ حَتَّى لَقَدْ اشْتَكَيْتُ صَدْرِي، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ أَبَاكَ بِسَبْيِي، فَادْهَبِي فَاسْتَخْدِمِيهِ. فَقَالَتْ: وَأَنَا وَاللَّهِ قَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجَلَّتْ يَدَايَ! فَأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا جَاءَ بِكَ أَيُّ بُنَيَّةٍ؟» قَالَتْ: جِئْتُ لِأَسْلَمَ عَلَيْكَ، وَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ تَسْأَلَهِ وَرَجَعْتُ. فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ قَالَتْ: اسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ!)^(١).

وَبَلَغَ مِنْ حَيَاتِهَا وَصِيَانَةِ نَفْسِهَا أَنَّهَا أَرَادَتْ الْمَبَالِغَةَ فِي السَّتْرِ وَهِيَ (مَيْتَةٌ مُوسَّدةٌ فِي نَعْشِهَا)، وَأَنْ تُمَيِّزَ عَنِ الرِّجَالِ، فَكَلَّمَتْ السَّيِّدَةَ الْجَلِيلَةَ أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسَ، فَوَصَفَتْ لَهَا مَا رَأَتْهُ بِالْحَبْشَةِ، فَأَعْجَبَ فَاطِمَةَ ذَلِكَ، وَأَوْصَتْ أَسْمَاءَ بِأَنْ تَفْعَلَهُ بِهَا، فَحُمِلَتْ فَاطِمَةُ إِلَى قَبْرِهَا وَقَدْ غُطِيَ النُّعْشُ بِسِتْرِ؛ فَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ غُطِيَ نَعْشُهَا فِي الْإِسْلَامِ^(٢).

(١) مسند أحمد (٨٣٨)، وانظر ما تقدم: ص ١٢٤ - ١٢٥ في هذا الكتاب.

(٢) الاستيعاب: ٣٦٦/٤ - ٣٦٧؛ وسيأتي الخبر بتمامه: ص ٣٤١ - ٣٤٢ في هذا الكتاب.

ثانياً: زهدا وتقشفها:

وكان زهد فاطمة وخشونة عيشها على سَنَنِ أبيها ﷺ؛
 زهدَ الأشراف النبلاء الذين لا يأبهون بزخارف الدنيا مع
 اقتدارهم عليها.

وقد ذكرنا أمثلة كثيرة وكلاماً طويلاً عن ذلك في الفصل
 السابق، وأجملُ ما يلخّص هذا الجانب المشرق من كريم
 شمائل الزهراء هو يُسَرُّ مهرها الذي بلغ نحو (٥٠٠ درهم)،
 ووليمة عرسها التي شارك في إعدادها الأنصار وغيرهم،
 وجهاز بيتها وأثاثه الذي احتوى على: فراش حشوه ليف
 الإذخر، ووسادة من جلد حشوها ليف أيضاً، وقَطِيفة ذات
 خَمَل، وجلد كبش وحصير ومنشفة ومنخل ورحيَّين وسِقَاء
 وجَرَّتَيْن وقَدَح وعطر وطيب، وكانت فاطمة مع زوجها
 يفتريشان نصف تلك القطيفة يلتحفان بالنصف الآخر، في
 بيت مكوّن من حجرة واحدة مساحتها ثلاثة أمتار في مثلها،
 وفُرشت أرضها بالرمْل الناعم!.

وكانت مع زوجها وأولادها يأكلون الطعام الجَشَب،
 وربما عاشوا على قليل من التمر، وأحياناً لا يجدونه فيسعى
 عليّ ليعمل ويوفر للأسرة الكريمة ما يسدُّ الرَّمَق، حتى إنه
 وجد يوماً (ديناراً لُقْطة) ففرح واشترى به دقيقاً ودخل على

الزهراء، فعجنت وخبزت وأكلوا جميعاً وأكل معهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولما تزينت فاطمة بسلسلة ذهبية أهداها لها زوجها، ورآها النبي صلى الله عليه وآله، فغضب لذلك وأمرها أن تبيعها وتنفق ثمنها على بعض محاييح المدينة.

وتراها تفعل كل ما يرغب به النبي صلى الله عليه وآله من أعمال الخير ولزوم مسالك الزاهدين، فعندما رأى سِتْراً على بابها لم يدخل بيتها، فارتاعت لذلك وأخبرت زوجها، فذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله، فأمرها أن ترسل به إلى أهل بيت محتاجين.

ثالثاً: صدق حديثها وتواضعها:

تروي إحدى أمهات المؤمنين الطاهرات، وكانت من أقربهن إلى فاطمة في سِنِّها وبيتها ومعاشها، تلکم هي الصديقة عائشة رضي الله عنها، فتقول: (ما رأيتُ أحداً قطُّ أصدق من فاطمة إلا أن يكون الذي وَلَدَها صلى الله عليه وآله)^(١).

وحسبك بهذا الوصف جلالة.

ومن أصدق آيات تواضعها عليها السلام ما كانت تقوم به من أعمال في بيتها؛ حيث تَكُنُّسه حتى تغبر ثيابها، وتستقي الماء لأسرتها،

(١) أخرجه أبو يعلى (٤٧٠٠)؛ والحاكم: ١٦٠/٣ - ١٦١ وصححه، ووافقه الذهبي.

وتطحن بالرحى، وليس لها خادم؛ وهي بنت رسول الله ﷺ وسليلة الشرف وأم الأشراف النبلاء، ولقد أثنى عليها في ذلك زوجها فقال: (إِنهَا جَرَّتْ بِالرَّحَى حَتَّى أَثَّرَ فِي يَدِهَا، وَاسْتَقَتَّ بِالْقِرْبَةِ حَتَّى أَثَّرَ فِي نَحْرِهَا، وَكَنَسَتْ الْبَيْتَ حَتَّى اغْبَرَّتْ ثِيَابُهَا)^(١).
 إِنَّمَا أَخْلَاقُ النَّبُوَّةِ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ وَغَيْرُهَا: (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ)^(٢).

رَابِعًا: حَفَظَهَا السِّرُّ:

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ، لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً، فَأَقْبَلْتُ فَاطِمَةَ تَمْشِي مَا تُحْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا رَأَاهَا رَحَّبَ بِهَا فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي»، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ - أَوْ: عَنْ شِمَالِهِ - ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بِكَاءٍ شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ! فَقُلْتُ لَهَا: خَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسَّرَّارِ ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ؟! فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهَا: مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ أَفْشِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(١) سنن أبي داود (٢٩٨٨)؛ وقد مرَّ مطولاً بتمامه: ص ١٢٤ - ١٢٥ في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢١٧)؛ وانظر ما تقدم: ص ٤١، حاشية (٢)، في هذا الكتاب.

سِرَّه! قالت: فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله قلت: عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ لَمَّا حَدَّثْتَنِي مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؟ فقالت: أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ؛ أَمَّا حِينَ سَأَرْتَنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى فَأَخْبَرْتَنِي «أَنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارِضُهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنِّي لَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نَعَمَ السَّلَفُ أَنَا لَكَ»، قالت: فَبَكَيْتُ بِكَائِي الَّذِي رَأَيْتُ. فلما رَأَى جَزَعِي سَأَرْتَنِي الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، أَمَّا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ: سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟» قالت: فَضَحِكْتُ ضَحْكِي الَّذِي رَأَيْتُ ^(١).

وحفظ السرَّ خَصْلَةً جَلِيلَةً جَمِيلَةً وَبِخَاصَّةٍ فِي الْمَرْأَةِ؛ لِتَصُونَ خُصُوصِيَّاتِ بَيْتِهَا وَأَسْرَارِ زَوْجِهَا، وَالزَّهْرَاءُ تَطْوِي جَوَانِحَهَا فِي هَذَا الْمَوْقِفِ عَلَى سِرِّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ وَهْنِ زَوْجَاتِهِ الطَّاهِرَاتِ، وَقَدْ تَعَلَّمَتْ هَذِهِ الصِّفَةَ فِي بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَخَاصَّةً فِي أَيَّامِ الْفَتْرَةِ الْمَكِّيَّةِ حَيْثُ الْاسْتِسْرَارُ بِالْدَّعْوَةِ. وَنَرَاهَا تُفْصَحُ عَنْ ذَلِكَ السِّرِّ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله لَزَوَالِ مَا قَدْ يُحْذَرُ مِنْهُ، وَلَأنَّهُ مِنْ بَابِ نَشْرِ الْعِلْمِ وَعَدَمِ كِتْمَانِهِ.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٣)؛ ومسلم (٢٤٥٠)؛ والترمذي (٤٢١٠)؛ والبيهقي (٣٩٦٠)؛ وأحمد (٢٤٤٨٣) و(٢٦٤١٣)، وغيرهم.

خامساً: صبرها الجميل:

ومن أنبل الأخلاق وأكرم الشمائل التي تربّت عليها السيدة فاطمة: الصبرُ الجميل بكل أصنافه ودرجاته، فقد رأت في أبيها ﷺ أصدقَ أنموذجٍ يخطر ببال بشرٍ يتمثل أرفع درجات الصبر والمصابرة وتحمل المشاق ولأواء الحياة... فسمعت القرآن يشيد بالصبر ويثني على الصابرين ويشهرهم بثواب عظيم بغير حساب! وَرَطَبَتْ سَمْعَهَا كَلِمَاتُ الْأَبِ الرَّحِيمِ الصَّبُورِ وهو يقول: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى النَّاسُ عَلَى قَدَرٍ دِينِهِمْ؛ فَمَنْ نَحُخَ دِينُهُ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَمَنْ ضَعُفَ دِينُهُ ضَعُفَ بَلَاؤُهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُهُ الْبَلَاءُ حَتَّى يَمْشِيَ فِي النَّاسِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(١)!

فاقتفت أثره ﷺ فكانت من أطيب ثمار النبوة والتربية الصالحة المتفردة في الصبر وكلّ خصال الخير والفضل، وتحمل فدائح الابتلاء وثقل المصائب التي نزلت بها وبأبويها وأهلها والمقربين إليها؛ فلم تنل الملمات من صبرها، ولا خدشت المشقات عزيמתها، ولا نالت الأحداث الجسام من

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٦١)؛ وابن ماجه (٤٠٢٣)؛ والنسائي في «الكبرى»

(٧٤٣٩)؛ وأحمد (١٤٨١)، وغيرهم، وقال الترمذي: حسن صحيح،

وصححه أحمد شاكر والألباني.

إيمانها ويقينها وثباتها شيئاً، فكانت الأنموذج الأمثل للبت والأخت والزوجة والأم رضي الله عنها وأرضاها.

- لقد صبرت على الأذى العنيف الحقود الكفور الذي وقع على أبيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وهي تراه يدعو الناس للتوحيد ونبذ الشرك، فيقَابِلُ بالعناد والصدِّ والردِّ والسخرية والهَمْز واللَّمز من دهاقنة الشرك وسَفِلة القوم! وشهدتهم وقد أَلْقَوْا على ظهره (سَلَى الجُزُور) وهو في صلاته ساجد صابر يرجو لهم الهداية، فواجهتهم بالتوبيخ والتأنيب والسبِّ والشتم، ثم أزالَتِ الأذى عنه صلى الله عليه وآله.

- ودخلت مع أبيها وأمها وأهلها في حصار آثم ظالم ضربته عليهم قريش ثلاث سنين، فخرجت منه مع أبيها أشدَّ مضاءً وأقوى عزيمة، كالذهب لا تزيده فتنة النار إلا صفاءً ونقاءً ولمعاناً لطيب معدنه.

- وصبرت على قسوة الفراق وقد هاجر النبي صلى الله عليه وآله مع صاحبه أبي بكر إلى المدينة، وتركها مع أخواتها تحت وطأة المجابهة القاسية من عُنْاة قريش، ومضت في طريقها صابرة محتسبة في هجرتها إلى المدينة، حيث بعث رسول الله صلى الله عليه وآله من يحملهن إليه، في سفر شاق طويل يقارب (٥٠٠ كم)! ولم يكفِ ذلك بل تعرَّض لهن بعض أنذال المشركين فنَحَسَ

بالزهراء وأختها الجمل، فسقطتا على جلامد الأرض، وهو عمل بائس خسيس، ولم يُمهلهُ القدر طويلاً حتى نزل بهذا الوغد ما يستحقه من عقوبة فأهدر النبي ﷺ دمه يوم فتح مكة، فقتل فيها بعد ثمانين سنين!.

- ومن صنوف الابتلاء التي نزلت بالسيدة البتول: وفاة الأحبة، وهو أمرٌ جَلَلٌ يُضني القلب ويشتت العقل؛ فلقد فَقَدَتْ أُمُّهَا وَيَا لَهَا مِنْ أَمٍّ رَوُّوم، ثم فَقَدَتْ أخواتها الحبيبات واحدة بعد الأخرى: رقية وأم كلثوم وزينب، كما فَقَدَتْ إخوتها الثلاثة: القاسم وعبد الله وإبراهيم! وقد عَبَّرَ النبي ﷺ عن بعض أحزانه فقال عندما مات ابنه إبراهيم: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ»^(١).

- وقد توالَت عليها المصائب وتكاثرت الأحزان، فتجلدت للأحداث الحازبة وصبرت عليها وصابرتها، وزادها أَلَمًا ولوعة حزنٌ أبْيها ﷺ على فلذات كبده وهو يفقدهم ثم يدفنههم واحداً بعد الآخر، فما زادها ذلك إِلَّا تَجَمُّلاً بالصبر احتساباً للأجر واقتداءً بالمربي الأعظم سيد الصابرين ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٣)؛ وغيره؛ وقد تقدم بتمامه: ص ٥٢ في هذا الكتاب.

- ونزل بها لون آخر من الابتلاء والمِحَن، فها هي ذه ترى أباه صلى الله عليه وآله يواجه قريشاً في «غزوة أُحُد»، فيتكالب عليه بعض المجرمين يريدون نفسه الشريفة، حتى نالوا منه شيئاً من الأذى فسقط في الحفرة وكُسرت رِباعِيتهُ ودُمِيت وَجَنَتاه، فما كان أغيظَ لقلبها من موقف كهذا! وأقبلت عليه تمسح عنه الدم وتداوي جراحه الطاهرة، وقلبها الصبور يعتصر كمداً وهي تسمعه صلى الله عليه وآله يقول: «كيف يُفْلِحُ قومٌ فعلوا هذا بِنبيِّهم صلى الله عليه وآله وهو يدعُوهم إلى ربِّهم؟!» فتأتيها الطمأنينة وقد نزل على قلبه صلى الله عليه وآله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]^(١).

- ولم تكن حياتها ومعاشها أقلَّ ابتلاءً أو أخفَّ محنةً، فلقد صبرت طويلاً على شَطَف العيش وخشونة الحياة وقسوة الأعمال وكثرة الأعباء، حتى أضنى ذلك جسمها، وتقرَّحت يداها وآلمها نحرُها؛ فما تبرَّمت ولا تضرَّجت ولا نَدَّ من لسانها ما يزعج زوجها أو يُقلق الأب أو يُغضب الرب، بل كانت في غاية الرضا عن الله ورسوله، وحسن التبعل للزوج والحنو على الأولاد.

- بَيِّدَ أن المحنة الكبرى التي أثقلت كاهلها وهاضت جناحها وفطرت قلبها؛ أنها فَقَدَت ما تبقى لها من أهلها وأعز

(١) أخرجه مسلم (١٧٩١)؛ والنسائي في «الكبرى» (١١٠١١)؛ والترمذي (٣٢٤٧، ٣٢٤٨)؛ وأحمد (١١٩٥٦)، وغيرهم. وانظر ما تقدم:

أحبابها، حيث استجاب أبوها الحبيب ﷺ لنداء ربه وغادر هذه الحياة الفانية ولحق بالرفيق الأعلى، وسمعت الزهراء الكلمة الفاجعة: مات رسول الله ﷺ!.

وقد كان ﷺ أخبرها أن أجله قد اقترب فارتاعت لذلك وبكت بين يديه، لكن عندما جاءت سكرة الموت ووقعت كلمة الحق؛ نزل بقلبي الرقيق ما فوق طاقة البشر، فمن يصبر على فراق رسول الله ﷺ؟! إنهم أولئك الأخيار من خُلص عباد الله ومُصاصة الصابرين، والزهراء واحدة من ذاك الطراز الفذ!.

يروى خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك رضي الله عنه طرفاً من المشهد المروّع فيقول: (لَمَّا تَغَشَّى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْكَرْبُ، كَانَ رَأْسُهُ فِي حَجَرٍ فَاطِمَةُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَآ كَرْبَاهُ لِكَرْبِكَ الْيَوْمَ يَا أَبَتَاهُ! فَرَفَعَ رَأْسَهُ ﷺ وَقَالَ: «لَا كَرْبَ عَلَيَّ أَبْيَكْ بَعْدَ الْيَوْمِ يَا فَاطِمَةُ». فَلَمَّا تَوَفَّى، قَالَتْ فَاطِمَةُ: وَآ أَبْتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، وَآ أَبْتَاهُ مِنْ رَبِّهِ مَا أَذْنَاهُ، وَآ أَبْتَاهُ إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ مَاوَاهُ، وَآ أَبْتَاهُ إِلَى جَبْرِيلَ أَنْعَاهُ. قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا دَفِنَاهُ، مَرَرْتُ بِمَنْزِلِ فَاطِمَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَنَسُ! أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التراب؟! ^(١)).

(١) أخرجه البخاري (٤٤٦٢)؛ وابن ماجه (١٦٣٠)؛ وأحمد (١٣٠٣١) و(١٣١١٧)؛ وابن حبان (٦٦٢٢) واللفظ له. وسيأتي ذلك مفصلاً: ص ٢٩١ - ٢٩٥، في هذا الكتاب.

سادساً: جرأتها وقوة نفسها:

ومن السمات الجليلة والخصال الأصيلة التي تَأَصَّلَتْ في فطرة فاطمة وظهرَتْ في مواقفها وأعمالها: شجاعتُها وجرأتُها وقوة نفسها أمام الأحداث القاسية والمشاهد الصعبة، ويعبِّر عن ذلك موقفُها الجريء وهي تجابه عُتاة قريش الذين آذوا النبي صلى الله عليه وآله، وهي لا تزال فتاة غُضَّة في مقتبل عمرها.

فعندما أجمع نفرٌ من رجال قريش على أن يُلقوا (فَرَّثَ الجَزور ودمها وسَلَّها) على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ساجد في صلاته، وعلمت فاطمة بالخبر؛ أسرعَتْ إليه وألقت الأذى عنه، وأقبلت على أولئك العُتاة تسبُّهم وتشتتمهم^(١).



(١) تقدم الخبر مفصلاً: ص ٦٦ - ٦٩ في هذا الكتاب.

عبادتها وأذكارها ورغبتها بالآخرة

من نافلة القول أن نذكر في سيرة السيدة البتول أنها كانت على هَدي أبيها رسول الله ﷺ في عبادته وأذكاره وخشيته وتعلق قلبه بالآخرة، وهو ﷺ كان يحب لأُمته الخير والمسابقة إلى العبادة الخالصة والإكثار من النوافل والأذكار على كل حال، وغني عن البيان أنه أكثر حرصاً على أن يكون أهله مبرزين في هذا الجانب، ليرتقوا أعلى درجات الكمال والفوز بالآخرة، وليكونوا قرة عين له، وأيضاً أسوة للأمة جميعاً.

- لذا تراه ﷺ شديد الحرص على أن تنال فاطمة مع زوجها قسطاً طيباً من النوافل والطاعات وبخاصة قيام الليل والتهجد مع المستغفرين بالأسحار، ويشهد لذلك ما قدمناه من حديث عليّ قال: (دخل عليّ رسول الله ﷺ وعلى فاطمة من الليل، فأيقظنا للصلاة، قال: ثم رجع إلى بيته فصلّى هَوِيّاً من الليل، قال: فلم يسمع لنا حسّاً، قال: فرجع إلينا فأيقظنا وقال: قُوما فَصَلِّيا^(١)).

(١) مسند أحمد (٧٠٥)؛ وانظر ما تقدم: ص ١٣١ حاشية (١) في هذا الكتاب.

- ولما جاءته فاطمة تسأله أن يعطيها خادماً تُعينها على أعباء الحياة وشؤون البيت والأولاد، ردّها ردّاً جميلاً وأبدلها ما هو خير لها، وعلمها جملة من الأذكار الطيبة والأدعية الجليلة، فقال لها ولزوجها عليّ: «ألا أخبركما بخير مما سألتُماني؟» قالا: بلى، فقال: «كلماتٌ علمَنيهنَّ جبريل عليه السلام، فقال: تسبّحانِ في دُبر كل صلاةٍ عشراً، وتَحْمَدانِ عشراً، وتُكَبِّرانِ عشراً. وإذا أويئتما إلى فراشكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين، واخمدَا ثلاثاً وثلاثين، وكَبِّرَا أربعاً وثلاثين». قال: فوالله ما تركتهنَّ منذ علمَنيهنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله، قال: فقال له ابن الكوّاء: ولا ليلةً صفيين؟ فقال: قاتلكم الله يا أهل العراق، نعم ولا ليلةً صفيين! ^(١).

ولا شك أن الزهراء عليها السلام قد لازمت تلك الأذكار حياتها عملاً بوصية أبيها صلى الله عليه وآله وطمعاً فيما عند الله من الأجر العظيم.

- وعلمها صلى الله عليه وآله أيضاً أذكارةً أخرى، فقال لها: «قولي: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، مُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؛ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ

(١) مسند أحمد (٨٣٨)؛ وتقدم الخبر بتمامه: ص ١٢٤ - ١٢٥ في هذا الكتاب.

الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء،
اقض عنا الدين وأغننا من الفقر»^(١).

- وقد كانت فاطمة عليها السلام مقيمة على ربها راغبة في
الآخرة وبما أعدّه الله سبحانه لعباده الصالحين، وظهر ذلك
منها في مناسبات كثيرة ومواقف جليلة مع توجيهات
أبيها عليه السلام، وتراها لراحة الذكاء حديدة الفهم لما تراه
منه عليه السلام وهو يُعرض عن هذا الفعل أو يكره ذلك الأمر...

ومن الأمثلة على هذا عندما جاء عليه السلام بيتها فوجد على
الباب سِتْراً فرجع، فارتاعت لذلك وأرسلت زوجها ليستبطن
السبب، وما إنْ علّمتْ به حتى أرسلت بذلك السّتر إلى أناس
يحتاجونه.

وهكذا فعلت عندما كره عليه السلام لها أن تلبس السلسلة الذهبية - مع
كون ذلك مباحاً - فخلعتُها من جيدها وتصدقت بثمنها على
المحتاجين؛ طاعة للنبي عليه السلام ورغبة بالأجر والثواب عند الله تعالى^(٢).



(١) سنن ابن ماجه (٣٨٣١)؛ وانظر ما كتبناه: ص ١٢٨ - ١٢٩ في هذا
الكتاب.

(٢) تقدم تفصيل ذلك: ص ١٣٤ - ١٣٨ في هذا الكتاب.

الباب الخامس

علمُ فاطمةَ ، ومصحفُها ولوحُها
المزعومانِ

• علمها.

• مصحفُ فاطمة ولوحُها.



الفصل الأول

علمها

تلقت السيدة فاطمة القرآن غصّاً طريّاً من فم أبيها ﷺ، وأخذت عنه السنن الشريفة، ولا شك أنها حملت من ذلك علماً جمّاً وإن لم ترو لها كتب السُنَّة إلا التَّزْرَ اليسير، بسبب تقدم وفاتها وعدم تصدرها لنشر العلم، بخلاف ما جرى لأُم المؤمنين عائشة وأُم المؤمنين أم سلمة وغيرهما ممن روي عنه الكثير.

وتجلى فقهها في مواقفها في الفترتين المكيّة والمدنيّة، ورعايتها لحقّ أبيها ﷺ وقيامها بواجبات الزوجية ورعاية الأولاد وتربيتهم.

وقد ذكرها ابن حزم في رسالته «أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم»: في طبقة المُقلِّين الذين أخذ عنهم الفقه من الصحابة.

وذكرها أيضاً في رسالته الأخرى «أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد»، وجعلها في قسم (أصحاب الثمانية

عشر)، أي أنها روت (١٨) حديثاً. منها حديث واحد في «الصحيحين» هو إخبارها بموت النبي صلى الله عليه وآله وأنها أول أهله لحوقاً به.

روت عن النبي صلى الله عليه وآله.

وروى عنها: زوجها علي بن أبي طالب، وابنها الحسين بن علي، وأنس بن مالك، وسلمى أم رافع زوج أبي رافع، وعائشة أم المؤمنين، وأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله، وحافدتها فاطمة الصغرى بنت الحسين بن علي مرسلًا.

وحديثها في الكتب الستة.



الفصل الثاني

مصحف فاطمة ولوحها

ما كنت أرغب بكتابة هذا المبحث في كتابي عن البضعة النبوية السيدة المبجلة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها، لولا أن (الكتب المعتمدة عند الإمامية الاثني عشرية) تنص صراحة لا موارد فيها عن (وجود هذا المصحف بين أيديهم)، هذا أمر.

وأمر آخر هو اغتزاز الدُّهْماء بمثل (هذا المصحف) والزعم بأن حجمه ثلاثة أمثال (المصحف الشريف) الذي تواتر بين أيدي مليارات المسلمين مشافهةً وتدويناً (في الصدور وفي السطور) منذ عهد الخليفة الراشدي العظيم عثمان بن عفان وإلى يومنا هذا.

وأمر ثالث لا يقلّ عن سابقه أهمية وخطورة وهو قوة شوكة الرفض في هذه السنين العجاف!.

هذا وعموم الإمامية - والإمامية تمثل عظم الشيعة في هذا العصر، وقد طغى عليها طابع الرفض - تبع لجمهور علمائهم،

منذ (عصر التأسيس) وإلى عصرنا، الذين يقولون (بتحريف القرآن الكريم)، وضَمَّنُوا ذلك في كتبهم المعتمدة، وصنَّف آخرون منهم كتباً مستقلة تجمع أطراف ما تفرَّق من (روايات تحريف القرآن)، والتي زادت (حسب علمهم!) على ألفي رواية!.

لمثل هذه الأمور، ولتقديم (زاد مختصر) يُضيء جوانب هذه (الرَّندقة) ويكشف عَوَارِها؛ أكتب هذه الأسطر القليلة في هذا الكتاب.

أولاً: مصحف فاطمة:

يُعتبر الكليني أحد أهم أئمة الشيعة الاثني عشرية الذين يرجعون إليه ويعتمدون قوله ومروياته، وكتابه (الكافي) أصح كتاب من كتبهم الأربعة المعتمدة في الرواية عندهم، ومنزلته عندهم بمنزلة (صحيح البخاري) عند أهل السنة، ومما قالوا فيه: (هو أجَلُ الكتب الأربعة الأصول المعتمد عليها، لم يُكتب مثله في المنقول من آل الرسول، لثقة الإسلام محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المتوفى سنة ٣٢٨هـ)^(١).
(و) هو أجَلُ الكتب الإسلامية وأعظم المصنفات الإمامية،

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، لآغا بزرك الطهراني: ٢٤٥/١٧.

والذي لم يعمل للإمامية مثله، قال المولى محمد أمين الأستراباذي في محكي فوائده: سمعنا عن مشايخنا وعلمائنا أنه لم يُصنّف في الإسلام كتاب يوازيه أو يُدانيه^(١).

وذكر الخوانساري أن المحدث النيسابوري قال في (الكافي) بعد أن أننى على مؤلفه الكليني: (وكتابه - الكافي - مستغن عن الإطراء، لأنه رضي الله كان بمحضر من نوابه عليه السلام^(٢))، وقد سأله بعض الشيعة من النائية تأليف كتاب «الكافي» لكونه بحضرة مَن يُفادِضه ويُذاكره مَن يثق بعلمه، فألف وصنّف وشنّف. وحكي أنه عرض عليه^(٣) فقال: كافٍ لشيعتنا^(٤).

فالكافي عند شيوخ الرافضة في أعلى درجات الصحة، لأن مصنفه الكليني كان معاصراً للسفراء الأربعة الذين يدعون الصلة بمهديهم الغائب المنتظر، ولهذا كان التحقيق من صحة مدوناته أمراً ميسوراً له لأنه يعيش معهم في بلد واحد هو بغداد^(٥).

(١) الكنى والألقاب، للعباس القمي: ٩٨/٣؛ مستدرک الوسائل، للطبرسي: ٥٣٢/٣.

(٢) يعني: الإمام الثاني عشر الغائب المزعوم!.

(٣) أي: على الإمام.

(٤) روضات الجنات، للخوانساري: ١١٦/٦. وانظر: الشيعة والقرآن، ص ٢٨ - ٢٩.

(٥) تفسير الصافي، للفيض الكاشاني - المقدمة السادسة، ص ٥٢؛ أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٢٦٢/١.

وقد أطلنا التعريف بهذا الكتاب لنعلم قيمة الأخبار التي جاءت فيه عند الرافضة واعتمادهم لها.

١ - تقول إحدى روايات الكافي عن «مصحف فاطمة»:

(عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومئة، وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام، قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: إن الله تعالى لما قبض نبيّه ﷺ، دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله ﻋَﻠَﻴْﻬِﻲ، فأرسل الله إليها ملكاً يسألني غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام^(١) فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كل ما سمع، حتى أثبت من ذلك مصحفاً. قال: ثم قال: أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون)^(٢).

فتفيد هذه الرواية بأن الغرض من هذا المصحف أمر يُخَصُّ فاطمة وحدها؛ وهو تسليتها وتعزيئها بعد وفاة

(١) هو علي بن أبي طالب.

(٢) أصول الكافي: ١٣٧/١، الحديث (٢)؛ وهو في: بصائر الدرجات،

ص ١٩١ - ١٩٢؛ وبحار الأنوار: ٤٤/٢٦.

أبيها ﷺ، وأن موضوعه: (علمُ ما يكون) وما ندري كيف تكون تعزيتها بإخبارها بما يكون؛ وفيه - على ما تنقله الشيعة - قتلُ أبنائها وأحفادها، وملاحقة المحن لأهل البيت؟!.

ثم كيف تُعطى فاطمة (علمُ ما يكون) و(علمُ الغيب)، وفي الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْمَرْتُ مِنْ أَلْحَرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فهل هي أفضل من رسول الله ﷺ؟! ^(١).

ويقولون: إن مصحفهم هذا ثلاثة أضعاف القرآن؛ ففي (الكافي) و(بصائر الدرجات) حديث طويل في ذِكر العلم الذي أودعه رسول الله ﷺ عند أئمة الشيعة - علي بن أبي طالب فمن بعده - كما يزعمون، عن أبي بصير، عن جعفر الصادق أبي عبد الله عليه السلام قال: (وإنَّ عندنا لمُصْحَفُ فاطمة عليها السلام، وما يُدرِيهم ما مصحفُ فاطمة! قال - أبو بصير -: قلتُ: وما مصحفُ فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحفٌ فيه مثْلُ قرآنكم هذا ثلاثَ مراتٍ، والله ما فيه من قرآنكم حرفٌ واحدٌ، إنما هو شيءٌ أَمْلَأَهُ اللهُ عليها وأوحى إليها!) ^(٢).

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية: ١٩٢/٢ - ١٩٣.

(٢) أصول الكافي: ١٣٦/١ «باب فيه ذكر الصحيفة والجُفَر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام»؛ بصائر الدرجات، ص ١٨٦، والجملة الأخيرة من النص زيادة منه.

وقد روى الكليني عن هذا المصحف (آيات) أو زيادات كثيرة، وروى غيره أيضاً؛ عن أبي بصير، عن أبي عبد الله جعفر الصادق قال: (بينما رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالس، إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام...) إلى أن قال جعفر الصادق: (ثم أتى الوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ بُولَايَةِ عَلِيِّ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ». قال: قلتُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ، إِنَّا لَا نَقْرُؤُهَا هَكَذَا! فقال: هَكَذَا والله نزل بها جبرائيل على محمد صلى الله عليه وآله، وهكذا هو والله مُثَبَّتٌ في مصحف فاطمة عليها السلام^(١).

٢ - وفي كتاب (دلائل الإمامة) لمحمد بن جرير بن رستم الطبري الرافضي^(٢)، وهو من الكتب المعتمدة عند الإمامية^(٣):
- روايات تصف (مصحف فاطمة) بأن فيه: (خبر ما كان

(١) أصول الكافي: ٢٥١/١، باب فيه نُكْتُتْ وَنُتِفَ مِنَ التَّنْزِيلِ فِي الْوَلَايَةِ؛ الوافي، للفيض الكاشاني: ٩٣٢/٣ - ٩٣٣، حديث (١٦٢١)؛ دلائل الإمامة، لمحمد بن جرير بن رستم الطبري، ص ٢٩.

(٢) هو غير الإمام المجتهد المفسر المؤرخ محمد بن جرير بن يزيد الطبري المتوفى سنة (٣١٠هـ).

(٣) قال المجلسي فيه: من الكتب المعتبرة المشهورة، أخذ منه جملة من تأخر عنه كالسيد ابن طاووس وغيره، ومؤلفه من ثقات رواتنا الإمامية. بحار الأنوار: ٣٩/١ - ٤٠.

وما يكون إلى يوم القيامة. وفيه خبر سماء سماء، وعدد ما في السماوات من الملائكة وغير ذلك. وعدد كل من خلق الله مرسلًا وغير مرسل، وأسماءهم، وأسماء من أرسل إليهم، وأسماء من كذب ومن أجاب. وأسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين، وصفة كل من كذب، وصفة القرون الأولى وقصصهم، ومن ولي من الطواغيت ومدة ملكهم وعددهم، وأسماء الأئمة وصفتهم، وما يملك كل واحد واحد... وفيه أسماء جميع ما خلق الله وآجالهم. وصفة أهل الجنة وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء وهؤلاء. وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما أنزلت، وعلم الإنجيل كما أنزل، وعلم الزبور. وعدد كل شجرة ومدرة في جميع البلاد!)^(١).

وتبيّن رواية (دلائل الإمامة) صفة نزول هذا المصحف على خلاف ما جاء في الرواية السالفة عن (الكافي) التي تنص على (أن عليّ بن أبي طالب كتب ما سمعه من المَلَك حتى أثبت بذلك مصحفًا)، تقول رواية (الدلائل):

إنه نزل جملة واحدة من السماء بواسطة ثلاثة من الملائكة وهم (جبرائيل وإسرافيل وميكائيل... فهبطوا به وهي قائمة تصلي،

فما زالوا قياماً حتى قَعَدَتْ، ولَمَّا فرَغَتْ من صلاتها سَلَّمُوا عليها وقالوا: السلام يُقرِّئك السلام، ووضعوا المصحف في حَجْرها).

فقالت: لله السلام ومنه السلام وإليه السلام، وعليكم يا رسلَ الله السلام. ثم عرجوا إلى السماء. فما زالت من بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرأه حتى أتت على آخره.

(ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع مَنْ خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة!)^(١).

٣ - مصير (مصحف فاطمة) بعد وفاتها:

وتوضح الرواية السابقة أن هذا المصحف انتقل إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام، ثم إلى ابنه الحسن، ثم إلى الحسين، وهكذا إلى بقية الأئمة الاثني عشر، حتى وصل إلى الإمام المنتظر عندهم:

(قلتُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ، فلمن صار ذلك المصحف بعد مضيِّها؟ قال: دَفَعْتُهُ إلى أمير المؤمنين، فلما مضى صار إلى الحسن، ثم إلى الحسين، ثم عند أهله حتى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر...) ^(٢).

(١) دلائل الإمامة، ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) دلائل الإمامة، ص ٢٧ - ٢٨. وانظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية:

وصاحب الأمر، وصاحب الزمان، وقائم آل محمد: كلها
تعني (إمامهم الغائب) المنتظر المزعوم!.

ثانياً: لوح فاطمة:

وفي الكتب المعتمدة عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية
شيء آخر هو (لوح فاطمة)، وهو غير (مصحف فاطمة)؛ ذلك
أن مصحفها نزل بعد وفاة رسول الله ﷺ بواسطة المَلَك، وكتبه
عليّ من فم المَلَك وسلّمه لفاطمة، أو أنه نزل جملةً واحدةً
بواسطة ثلاثة من الملائكة كما قدمنا.

أما (لوح فاطمة) فإنه نزل على رسول الله ﷺ فأهداه لابنته
فاطمة، وهذا نص ما جاء في كتبهم:

(عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال
أبي^(١) لجابر بن عبد الله الأنصاري: إن لي إليك حاجة، فمتى

(١) هو محمد بن علي بن الحسين المعروف بالباقر، والد أبي عبد الله
جعفر الصادق. وقد ذكر في لوح فاطمة أسماء الأئمة الاثني عشر، وهم:

١ - علي بن أبي طالب.

٢ - الحسن بن علي.

٣ - الحسين بن علي.

٤ - علي بن الحسين زين العابدين.

٥ - محمد بن علي بن الحسين الباقر.

يَخْفُ عَلَيْكَ أَنْ أَخْلَوْ بِكَ فَأَسْأَلُكَ عَنْهَا؟ فَقَالَ لَهُ جَابِرُ: أَيَّ الْأَوْقَاتِ أَحَبَّبَتْهُ. فَخَلَا بِهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ فَقَالَ لَهُ: يَا جَابِرُ، أَخْبِرْنِي عَنِ اللُّوحِ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِي يَدِ أُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ، وَمَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ أُمِّي أَنَّهُ فِي ذَلِكَ اللُّوحِ مَكْتُوبٌ؟ فَقَالَ جَابِرُ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنِّي دَخَلْتُ عَلَى أُمِّكَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَيَّئْتُهَا بِوِلَادَةِ الْحُسَيْنِ، وَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهَا لَوْحاً أَخْضَرَ ظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنْ زُمُرْدٍ، وَرَأَيْتُ فِيهِ كِتَاباً أبيضَ شِبْهَ لَوْنِ الشَّمْسِ، فَقُلْتُ لَهَا: بِأَبِي وَأُمِّي يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا هَذَا اللُّوحُ؟ فَقَالَتْ: هَذَا لَوْحٌ أَهْدَاهُ اللَّهُ إِلَى رَسُولِهِ ﷺ؛ فِيهِ اسْمُ أَبِي وَاسْمُ بَغْلِي وَاسْمُ ابْنِي وَاسْمُ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ وَلَدِي، وَأَعْطَانِيهِ أَبِي لِيَشْرِنِي بِذَلِكَ. قَالَ جَابِرُ: فَأَعْطَانِيهِ أُمُّكَ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَقَرَأْتُهُ وَاسْتَنْسَخْتُهُ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: فَهَلْ لَكَ يَا جَابِرُ أَنْ تَعْرِضَهُ عَلَيَّ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَمَشَى مَعَهُ

= ٦ - جعفر بن محمد بن علي الصادق.

٧ - موسى بن جعفر الكاظم.

٨ - علي بن موسى الرضا.

٩ - محمد بن علي بن موسى الجواد.

١٠ - علي بن محمد بن علي الرضا.

١١ - الحسن بن علي العسكري.

١٢ - محمد بن الحسن وهو الغائب المنتظر.

أبي إلى منزل جابر، فأخرج صحيفةً من رَقٍّ فقال: يا جابرُ، انظرُ في كتابك لأقرأ عليك، فنظر جابرُ في نسخته، فقرأه أبي فما خالفَ حرفٌ حرفاً، فقال جابر: فأشهدُ بالله أني هكذا رأيته في اللوح مكتوباً: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيّه ونوره وسفيره وحجابه ودليله، نزل به الروحُ الأمين من عند رب العالمين، عَظَّمَ يا محمدُ أسمائي واشكُرْ نعمائي ولا تجحدُ آلائي، إني أنا الله لا إله إلا أنا قاصمُ الجبارين، ومُديِلُ المظلومين، ودَيّانُ الدين...، ثم ذكر اختيار الله تعالى للأئمة الاثني عشر الذين تعتقد بهم الإمامية الاثنا عشرية^(١).

ثالثاً: وقفة تأمل ونقد:

لن نخوض في نقد أسانيد ومتون تلك النصوص، فأسانيدُها مراسيل منقطعات ومُعْصَلات، وكثير من رجالها

(١) أصول الكافي: ٣١٧/١ - ٣١٨، باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم؛ الوافي، للفيض الكاشاني، المجلد الأول: ٧٢/٢، أبواب العهود بالحجج والنصوص عليهم صلوات الله عليهم؛ الاحتجاج، للطبرسي: ٨٤/١ - ٨٧؛ إكمال الدين، لابن بابويه القمي، ص ٣٠١ - ٣٠٤؛ الاستنصار، للكراجكي، ص ١٨. وانظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٢٠٣/٢ - ٢١١.

موضع ضَعْف أو جهالة أو تُهمة، ومتونها تناقض عقائد الإسلام وكيالاته ومبادئه وأصوله وفروعه... ولكننا نقف وقفات فاحصة أمام حقائق واضحة:

١ - أرسل الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وآله رسولاً للناس كافة، وجعله خاتم رسله، ونزل عليه القرآن الكريم وجعله خاتم الكتب السماوية والشاهد عليها والمبين تحريفها؛ فكيف يخضُّ الله تعالى فاطمة - أو غيرها - فينزل عليها الملائكة بمصحف هو (ثلاثة أضعاف) القرآن الكريم؟ وأين علم النبي صلى الله عليه وآله بذلك؟ هل أخفى الله عنه عن أفضل رسله (كرامة!) لأحب بناته إليه؟ لماذا لا يُسعد ربه ويُبشِّر به بإكرام فاطمة بهذا (المصحف الكبير المزعوم)، ثم يقوم صلى الله عليه وآله بإخبار عامة الأمة لتعرف لفاطمة عليها السلام مكانتها وتقديرها حق قدرها؟!.

٢ - في محكم آيات الكتاب العزيز: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ومصحف فاطمة المزعوم (ثلاثة أضعاف القرآن)، وكل ما فيه هو زيادة على القرآن؛ حيث يصفه أبو عبد الله جعفر الصادق بقوله: (ما فيه من قرآنكم حرف واحد)؛ ففيه مثلاً كما زعموا: (خبر ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماء سماء، وأسماء من يدخل الجنة ومن يدخل النار، وعلم ما أنزل من

القرآن والتوراة والإنجيل والزيور...، وهذا يناقض الثابت المعلوم من الدين بالضرورة أن الإسلام قد كُمل بتمام نزول القرآن العظيم.

٣ - أنزل الله وحياً وكُتِبَ على الرجال دون النساء، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ﴾ [يوسف: ١٠٩، النحل: ٤٣]، والنصوص التي يوردها الرافضة تناقض هذه الآيات المحكمة، تقول روايتهم عن مصحف فاطمة: (والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنما هو شيء أملاه الله عليها وأوحى إليها).

٤ - إن هذا (المصحف) وذاك (اللوح) قد وُجِدا - زعموا - في حياة السيدة فاطمة، أي في أول عهد أبي بكر الصديق، فلماذا يبقى (هذا العلمُ الجَمُّ الغزير) مكتوماً عن عامة الأمة، ولا تجهر به فاطمة ولا يجهر به عليٌّ على ملاء من الناس وهو الصحابي التقي النقي الورع الجريء الشجاع الذي لا يهاب جيشاً يقف له؟! والسيدة الزهراء قد جاءت إلى أبي بكر تطالبه بميراثها من أبيها ﷺ وهو من أعراض الدنيا، فلماذا لا تُعلن ما خُصَّت به من (المصحف واللوح) أمام الخليفة والصحابة وتبيّن لهم ما فيهما، وأنها وزوجها وذريتها والأوصياء هم أهل الله وخاصته؟! هل كان متاع زائل عند

السيدة فاطمة أهم من الوحي والمصحف واللوح المزعومين؟! لا يظن أحدٌ مثلَ هذا بفاطمة إلا أن يكون فقد عقله!.

ثم إن علياً عليه السلام قد ولي الخلافة؛ فلماذا لم يجهر بذلك في أيام خلافته ودار إمارته (الكوفة)، ولمَ لم ينشره ويعلمه الناس كما نشر علمه وفقهه وحديثه عن النبي صلى الله عليه وآله؟! بل لماذا لم يناضل دون الجهر به في عهد أبي بكر وعمر وعثمان وقد كان مقدماً عندهم ومستشاراً لهم؟! وهو قد قاتل في حروب الجمل وصفين والنهروان لأمر هي أقل بكثير من (الوحي والمصحف واللوح)!.

هذه أسئلة كبيرة نضعها بين يدي العقلاء، وأمام الذين رووا ورؤجوا تلك الأخلوقات التي لا يقبلها من عنده دين وعقل ومروءة وإنصاف!.

٥ - إن القرآن العظيم محفوظ في الصدور ومكتوب في السطور، وتناقله ملايين المسلمين عبر القرون جيلاً بعد جيل، ما تغير منه حرف ولا نقص ولا زاد، وهو ظاهر منشور بين أيدي الناس وفي كل الأزمان والأقطار، فلماذا يبقى (مصحف فاطمة ولوحها) مكتومين عند أناس مخصوصين مزعومين؟!

إن القرآن جاء شريعة حياة، والمفروض أن يكون (المصحف واللوح) هذان من هذا القبيل، فلماذا لا يُشاعان

ويُنشران بين عامة الأمة على مرِّ الأجيال ليعملوا بما فيهما
ويطيعوا أوامر الوحي المزعوم؟!.

٦ - إن القرآن الكريم زكَّى أهلَ البيت، ورسول الله ﷺ
أوصى بهم وأثنى عليهم، وقد نقلت كتب أهل السُّنَّة ذلك كله
بالأسانيد الصحيحة، وأثبتوا حديث الثقلين وحديث الغدير،
فلماذا يسكت رسول الله ﷺ - وحاشاه من هذا، ونعوذ بالله من
أن نقول ذلك أو نصدِّقه - عن نشر (لوح فاطمة) على أصحابه،
ولا ينوّه بمنزلة فاطمة من (الوحي) وأنه نزل عليها أو سينزل؟!.

٧ - إن الصحابة رضي الله عنهم الأمناء على الوحي قد كتبوا القرآن
بين يدي رسول الله ﷺ وحفظوه ووعوه، ثم جمعوه في
مصحف واحد في خلافة أبي بكر، ثم نسخوه ووزعوه على
الأمصار في عهد عثمان، واعتنوا به بما لا نظير لمثله؛ حتى
إنهم نقلوا للأمة اختلافهم في رسم بعض الكلمات مثل
(التابوت)، وحفظوا حديث النبي ﷺ في كل شيء حتى في
تبشُّمه ﷺ وجلسته ومشيته ونومه ويقظته وآدابه في دخول
الخلاء وما دون ذلك، كما حفظوا ونقلوا للأمة حديثه ﷺ في
أهل البيت عامة وخاصة - فأين هم عن ذاك الأمر الجليل
(المصحف واللوح المزعومين) هل علموا بهما؟! هذا محال؛
إذاً لكانوا أشهروهما! أم إنهم لم يعلموا بهما، وقد كَتَمَ

رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم ذلك، وهو المأمور بالبلاغ للأمة كافة! والقول بتخصيص بعض الأمة بمصحف ولوح ووصية هو طعن بالقرآن الكريم وطعن على الرسول صلى الله عليه وآله، ولا يقول بهذا إلا زنديق أشير!

٨ - و(لوح فاطمة) الذي تزعم الرواية أن عند محمد بن علي الباقر (نسخة منه) عارضها وضبطها على (نسخة جابر بن عبد الله)، كيف لم يعلم بها سوى جابر وهو صحابي جليل، لكن هناك جمهرة من الصحابة كانوا أخص منه بالدخول على رسول الله صلى الله عليه وآله وألصقهم به؛ فأين علمهم بذلك؟! أين علم أمهات المؤمنين، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان صاحب السر، وأنس خادمه، وأبي هريرة ملازمه؟! بل وأين الشيخان أبو بكر وعمر اللذان كانا السمع والبصر له صلى الله عليه وآله وكان يفخر بهما ويقول: «أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، جئت أنا وأبو بكر وعمر، دخلت أنا وأبو بكر وعمر، خرجت أنا وأبو بكر وعمر»؟!.

٩ - ثم إن الرواية تزعم للسيدة فاطمة أنها (مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطيور والوحش والأنبياء والملائكة)! وهذا لم يكن لأفضل الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله، أفكانت أفضل من أبيها صلى الله عليه وآله حتى

شَمَلَ حَقُّ التَّكْلِيفِ بِطَاعَتِهَا كُلَّ مَنْ ذَكَرَ بِمَا فِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ؟!
سُبْحَانَكَ هَذَا بَهْتَانٌ عَظِيمٌ!.

١٠ - وأخيراً: إن مثل هذه الروايات والتقوليات فيها هدمٌ للإسلام وهزءٌ بالعقل وزرارة على العقلاء: ففيها الطعن على صاحب الرسالة واتهام له بكتمان التبليغ، ومناقضة للقرآن والقول بتحريفه ونقصانه، وتخوين للصحابة رضي الله عنهم واتهام لهم وزرارة عليهم. وفيه تغييبٌ للعقول وتمسكٌ بالأوهام والخرافات، فما قيمة دين (كتابه لا يُعرف ولا يُنشر ولا يُعمل به) و(حامله غائب منتظر)، والأوامر والنواهي والتوجيهات تأتي عن طريق أئمة مفترضين بواسطة نائب الإمام الولي الفقيه؟!.

فالحمد لله على نعم القرآن المحفوظ والإسلام الصحيح والعقل السليم.



الباب السادس

مناقب فاطمة ومنزلتها

- مناقبها.
- منزلتها ومكانتها في قلب النبي ﷺ.
- منزلتها عند الأئمة.

• • •

الفصل الأول

مناقبها

السيدة البتول فاطمة الزهراء بنتُ سيد الخلق ﷺ وبَضَعَتْهُ
وَأَحَبُّ بناته إليه، وإحدى سيدات نساء الأمة ونساء العالمين
ونساء أهل الجنة؛ مناقبها غزيرةٌ وفضائلها كثيرةٌ ومنزلتها رفيعةٌ
رفيعةٌ، أَوْجَبَ النبي ﷺ على المؤمنين محبتها، فكانت عندهم
- جيلاً بعد جيل - في سويداء قلوبهم ونبضات أفئدتهم،
وتقرَّبوا إلى الله بمحَبَّتِها ومَحَبَّةِ أولادها، وتسمية أبنائهم
باسمها وبألقابها، وتحدَّثوا بسيرتها ودوَّنوا مناقبها ونشروا
فضائلها؛ إعظاماً وإجلالاً لها وتيمناً بها وإقراراً لعين نبيِّهم
أبيها ﷺ.

•• عن علي بن أبي طالب قال: (زارنا رسول الله ﷺ فَبَاتَ
عندنا، والحسن والحسين نائمان، فاستسقى الحسن، فقام
رسول الله ﷺ إلى قِربة لنا فجعل يعصرها في القَدَحِ ثم يسقيه،
فتناوله الحسين ليشربَ فَمَنَعَهُ وبدأ بالحسن، فقالت فاطمة:
يا رسول الله، كأنه أحَبُّهما إليك؟ فقال: «لا، ولكنه استسقى

أول مرة»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني وإيساك وهذين وهذا الرائد - يعني علياً - يوم القيامة في مكان واحد»^(١).

- وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (مرض رسول الله صلى الله عليه وآله، فجاءت فاطمة فأكبّت على رسول الله صلى الله عليه وآله، فسارّها فبكت، ثم أكبت عليه فسارّها فضحكّت! فلما توفي النبي صلى الله عليه وآله سألتها فقالت: لَمَّا أَكَبْتُ عَلَيْهِ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ مَيِّتٌ مِنْ وَجَعِهِ ذَلِكَ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ أَكَبْتُ عَلَيْهِ فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَسْرَعُ أَهْلَ بَيْتِي بِهِ لُحُوقاً وَأَنِّي سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلَّا مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَضَحِكْتُ)^(٢).

- وعن عبد الرحمن بن أبي نُعم، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فاطمةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٧٩٢)؛ والطيالسي (١٩٠)؛ وابن أبي عاصم في السُّنة (١٣٢٢)؛ والطبراني في «الكبير»: ٣١/٣ - ٣٢ (٢٦٢٢)؛ وصححه أحمد شاكر، والألباني في الصحيحة (٣٣١٩).

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٤٥٩)؛ وابن حبان (٦٩٥٢)؛ وابن أبي شيبه: ٥٢٧/٧، وحسنه شعيب الأرناؤوط، وله روايات أخرى؛ انظر ما تقدم: ص ١٨١ - ١٨٢ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٣) أخرجه أحمد (١١٧٤١)؛ والحاكم: ١٥٤/٣؛ وصححه، ووافقه الذهبي؛ وصححه الألباني في الصحيحة (٧٩٦)، وصحيح الجامع الصغير (٤١٩٠).

- وعن عبد الله بن عباس قال: (خَطَّ رسولُ الله ﷺ في الأرض خُطوطاً أربعةً ثم قال: «تَدْرُونَ ما هَذَا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ»^(١)).

- وروى زُرُّ بْنُ حُبَيْشٍ، عن حذيفة بن اليمان قال: (سَأَلْتَنِي أُمِّي: مِنْذُ مَتَى عَهْدُكَ بِالنَّبِيِّ ﷺ؟ فَقُلْتُ لَهَا: مِنْذُ كَذَا وَكَذَا، فَنَالَتْ مِنِّي وَسَبَّتَنِي! فَقُلْتُ لَهَا: دَعِينِي فَإِنِّي آتِي النَّبِيَّ ﷺ فَأُصَلِّي مَعَهُ الْمَغْرِبَ، وَلَا أَدْعُهُ حَتَّى يَسْتَغْفَرَ لِي وَلِكَ. فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، فَصَلَّيْتُ إِلَى الْعِشَاءِ، ثُمَّ انْفَتَلَ وَتَبِعْتُهُ، فَعَرَضَ لَهُ عَارِضٌ فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ، فَاتَّبَعْتُهُ، فَسَمِعَ صَوْتِي فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» فَقُلْتُ: حَذِيفَةُ، فَقَالَ: «مَا لَكَ؟» فَحَدَّثْتُهُ بِالْأَمْرِ، فَقَالَ: «عَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَلَا مُمَّكَ، أَمَّا رَأَيْتَ الْعَارِضَ الَّذِي عَرَضَ لِي قَبْلُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «هُوَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَهْبِطْ إِلَى الْأَرْضِ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يَسَلَّمَ عَلَيَّ، وَبَشَّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيَدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٢)).

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦٨)؛ والنسائي في «الكبرى» (٨٢٩٩)؛ والطحاوي في

«شرح المشكل» (١٤٨)؛ وابن حبان (٧٠١٠)؛ والحاكم: ٥٩٤/٢ و١٦٠/٣

وصححه، وأقره الذهبي؛ وصححه الحافظ في الفتح: ٢٩٨/٨ (٣٤٣٢).

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٢٤٠)؛ والترمذي (٤١١٥)؛ وأحمد =

- وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خيرُ نساءِ العالمين: مريمُ بنتُ عمران، وخديجةُ بنتُ خُوَيْلِد، وفاطمةُ بنتُ محمد صلى الله عليه وآله، وآسيةُ امرأةُ فرعون»^(١).

•• وقفة مع هذه الأحاديث وأي أولئك السيدات أفضل:

- جاء في حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كَمَلَ من الرجال كثيرٌ، ولم يَكْمُل من النساءِ إلا آسيةُ امرأةُ فرعونَ، ومريمُ بنتُ عمرانَ، وإنَّ فضلَ عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثريدِ على سائرِ الطعام»^(٢).

وجاء من طريق آخر صحيح بزيادة «خديجة»؛ فروى شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أبيه قرة بن إياس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كَمَلَ من الرجال كثيرٌ، ولم يَكْمُل من النساءِ إلا ثلاثٌ: مريمُ بنتُ عمرانَ، وآسيةُ امرأةُ فرعونَ، وخديجةُ بنتُ خويلد، وفضلُ عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثريدِ على سائرِ الطعام»^(٣).

= (٢٣٣٢٩)؛ وبأخصر منه عند الحاكم: ١٥١/٣ وصححه، ووافقه الذهبي.

(١) أخرجه الترمذي (٤٢١٦)؛ وأحمد (١٢٣٩١)؛ وابن حبان (٦٩٥١)

و(٧٠٠٣)، وغيرهم، وصححه الألباني وشعيب الأرناؤوط.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤١١)؛ ومسلم (٢٤٣١)؛ والترمذي (١٩٣٩)، وغيرهم.

(٣) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ١٢٩/٣ وقال: هذا إسناد صحيح إلى

شعبة وبعده.

- ويؤب الإمام البخاري في «كتاب الأنبياء» من صحيحه فقال: (٤٥ - باب: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ وساق الآيات [٤٢ - ٤٤] من سورة آل عمران، ثم أسند: عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: سمعتُ علياً عليه السلام يقول: سمعتُ النبي صلى الله عليه وآله يقول: «خيرُ نساءها مريمُ بنتُ عمران، وخيرُ نساءها خديجة».

وعند الإمام مسلم: من رواية أبي كُرَيْبٍ، عن أبي أسامة ووكيع وغيرهما، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: سمعتُ عبدَ الله بن جعفر يقول: سمعتُ علياً بالكوفة يقول: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: «خيرُ نساءها مريمُ بنتُ عمران، وخيرُ نساءها خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ». قال أبو كُرَيْبٍ: وأشار وكيعٌ إلى السماء والأرض ^(١).

فهذان الحديثان يدلّان على أفضلية مريم وآسية وخديجة على من سواهن، والآية الكريمة يدلّ عمومها على أفضلية مريم على جميع النساء.

والحديث المتقدم: «أفضلُ نساءِ أهل الجنة: خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ، وفاطمةُ بنتُ محمد...» يضيف السيدة فاطمة، وأن

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٢)؛ ومسلم (٢٤٣٠)؛ والترمذي (٤٢١٥)،

أَفْضَلَ النِّسَاءِ أَرْبَعٌ. وَالحديث الآخر: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة» بإطلاق، لكن قيده الحديث الآخر: «أخبرني أنني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران».

فهذه الأحاديث يبدو عليها التعارض، والجمع بينها سهل، قد تكلم فيه علماؤنا من المفسرين وشرّاح الحديث ومصنّفي التراجم:

قال الحافظ: («خير نسائها»): أي خير نساء أهل الدنيا في زمانها، وقد رواه النسائي من حديث ابن عباس بلفظ: «أفضل نساء أهل الجنة»، فعلى هذا فالمعنى خير نساء أهل الجنة مريم، وفي رواية: «خير نساء العالمين»، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا طِفْلُكَ عَلَى نِسَاءٍ الْعَالَمِينَ﴾، وظاهره أن مريم أفضل من جميع النساء^(١).

وقال في موضع آخر: (وجاء ما يفسر المراد صريحاً؛ فروى البزار والطبراني من حديث عمار بن ياسر رفعه: «لقد فضّلت خديجةً على نساء أمتي كما فضّلت مريم على نساء العالمين»، وهو حديث حسن الإسناد)^(٢).

(١) الفتح: ٢٩٧/٨، شرح الحديث (٣٤٣٢)؛ وانظر: تكملة فتح الملهم: ٧٣/٥ - ٧٤.

(٢) الفتح: ٧٦٦/٨، شرح الحديث (٣٨١٥).

وقال أيضاً: «(وخيرُ نسائها خديجة): أي نساء هذه الأمة، قال القاضي أبو بكر ابن العربي: خديجة أفضلُ نساء الأمة مُطلقاً لهذا الحديث. وقد تقدم^(١) في آخر قصة موسى حديثُ أبي موسى في ذِكرِ مريم وآسية؛ وهو يقتضي فضلَهما على غيرهما من النساء، ودلَّ هذا الحديث على أن مريم أفضلُ من آسية، وأن خديجةَ أفضلُ نساء هذه الأمة^(٢)».

وقال الحافظ في شرح مناقب السيدة فاطمة: (وأقوى ما يُستدلُّ به على تقديم فاطمة على غيرها من نساء عصرها ومن بعدهن؛ ما ذكر من قوله ﷺ أنها «سيدة نساء العالمين إلا مريم»، وأنها رُزئت بالنبي ﷺ دونَ غيرها من بناته؛ فإنهن مُتنَّ في حياته فكنَّ في صحيفته، ومات هو في حياتها فكان في صحيفتها).

ثم استشهد بحديث فاطمة من طريق آخر عند الطبري في «تفسيره»، وأن النبي ﷺ قال لفاطمة: «أحسبُ أنني مَيِّتٌ في عامي هذا، وإنه لم تُرَزَّ امرأةٌ من نساء العالمين مثلَ ما رُزئتِ، فلا تكوني دونَ امرأةٍ منهن صبراً»، فبكيَتْ، فقال: «أنتِ سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم»، فضَحِكْتُ. قال الحافظ: (وأصل الحديث في الصحيح دون هذه الزيادة)^(٣).

(١) يعني: حديث البخاري الذي ذكرناه قريباً برقم (٣٤١١).

(٢) الفتح: ٢٩٨/٨.

(٣) الفتح: ٧١٦/٨، شرح الحديث (٣٧٦٧). رُزئت: أُصيبت.

ومن هنا يمكن القول بأن أفضل النساء مُطلقاً مريم، ثم خديجة وفاطمة وآسية، ولا يمكن الجزم بتقديم فاطمة على أمّها خديجة لما تقدم من نصوص.

وهذا يجعل كلام العلامة محمد تقي العثماني وجيهاً حيث يقول: (وأما كونها - أي فاطمة - سيدة نساء المؤمنين، مع ما ورد من فضل خديجة وعائشة عليهما السلام؛ فالراجح عندي أنه لا مانع من تعدّد السيادة باعتبارات مختلفة)^(١).
والله تعالى أعلم.



(١) تكملة فتح الملهم: ٩٥/٥.

الفصل الثاني

منزلتها ومكانتها في قلب النبي ﷺ

تبوأ الزهراء البتول منزلة سامقة عند أبيها ﷺ لا تدانيها منزلة واحدة من بناته، فكانت أحبَّهن إليه، وقد عبَّر عن ذلك في مناسبات عديدة. وأعلن ﷺ على الملأ أنها بضعة منه، يُسعد ما يسعدها، ويؤلمه ويغضبه ما يؤلمها ويغضبها. وكان إذا قدمت إليه قام لها وقبَّلها وأجلسها مكانه. وزاد من حبه لها أنها أنجبت ريحانتيه الحسن والحسين اللذين امتدت منهما الذرية الطاهرة، وتحدث بذلك لأصحابه الكرام، فأقروا عينه بإجلال ذريته، واحتفلوا بجمع الأحاديث الواردة في مناقبهم ورووها للناس، فتناقلوها جيلاً بعد جيل.

- عن أم المؤمنين عائشة قالت: (أقبلت فاطمة تمشي ما تُخطى مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً، فلما رآها رَحِبَ بها فقال: «مرحباً بابنتي»، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله).

وفي رواية: (وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها

فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا^(١).

- وعن المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: «إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُرِيدُنِي مَا أَرَابَهَا، وَيُؤْذِنُنِي مَا آذَاهَا».

وفي رواية: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ: «إِن فَاطِمَةَ مَضْغَةٌ مِنِّي، مِنْ أَغْضِبِهَا أَغْضِبُنِي»^(٢).

- وعن أسامة بن زيد: أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ اخْتَلَفُوا مَنْ مِنْهُمْ أَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ صلى الله عليه وآله فَقَالُوا: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ: مَنْ أَحَبَّ النَّاسُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «فَاطِمَةُ» قَالُوا: نَسْأَلُكَ عَنِ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أُمَّا أَنْتَ يَا جَعْفَرُ فَيُشْبِهُ خَلْقِي خَلْقَكَ، وَيُشْبِهُ خُلُقَكَ خُلُقِي....») الْحَدِيثُ^(٣).

(١) الرواية الأولى لمسلم (٢٤٥٠) (٩٨)؛ والثانية للترمذي (٤٢١٠). وقد

تقدم الحديث بتمامه: ص ١٨١ - ١٨٢ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٢) الروايتان للنسائي في «السنن الكبرى» (٨٣١٢) و(٨٤٦٧)؛ وتقدم مطولاً: ص ١٥٦ - ١٥٧ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٣) أخرجه أحمد (٢١٧٧٧)؛ والطبراني في «الكبير»: ١٢٣/١؛ والحاكم: ٢١٧/٣ وصححه، ووافقه الذهبي؛ وقال الهيثمي في (المجمع: ٢٧٥/٩): رواه أحمد وإسناده حسن. وأخرج فضلاً منه: النسائي في «الكبرى» (٨٤٧٠)؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (٤٧٤٧)، وحسنه شعيب هنا.

- وفي قصة (المرأة المخزومية) التي سُرقت وأراد أسامة بن زيد الشفاعة لها؛ حدّث محمد بن رُمح المصري قال: أخبرنا الليث بن سعد، عن ابن شهاب الزُّهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟! ... وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

قال محمد بن رُمح: سمعتُ الليث بن سعد يقول: قد أعاذها الله وَعَلَيْكَ أَنْ تَسْرَقَ، قد أعاذها الله وَعَلَيْكَ أَنْ تَسْرُقَ، وكلُّ مسلم ينبغي له أن يقول هذا^(١).

وتلك المرأة التي سرقت من بني مخزوم، واسمها على الصحيح: فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد، بنت أخي أبي سلمة بن عبد الأسد الصحابي الجليل الذي كان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ^(٢).

قال الحافظ: (وإنما خَصَّ ﷺ فاطمة ابنته بالذكر: لأنّها أعزُّ أهله عنده، ولأنه لم يبقَ من بناته حينئذٍ غيرها، فأراد المبالغة في إثبات إقامة الحد على كل مكلف، وتزكّ المحابة

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤٧) واللفظ له؛ وأخرجه دون كلام ابن رمح: البخاري (٦٧٨٨)؛ ومسلم (١٦٨٨)؛ وأبو داود (٤٣٧٣)، وغيرهم.

(٢) الفتح: ٣٤٨/١٥، شرح الحديث (٦٧٨٨).

في ذلك، ولأن اسم السارقة وافق اسمها عليها السلام فانسب أن يضرب المثل بها^(١).

- وبلغ من دالة السيدة فاطمة عند أبيها عليها السلام ومنزلتها منه؛ أن بعض نساء الطاهرات تودّ أن إليها وطلبن منها أن تكلم النبي صلى الله عليه وآله بشأن أم المؤمنين عائشة وحبّه لها وإعظامه لشأنها!.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وآله فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مِرْطِي، فأذن لها، فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألك العدل في ابنة أبي فحافة! وأنا ساكتة، قالت: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «أَيُّ بَنِيَّةٍ، أَلَسْتَ تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ؟» فقالت: بلى، قال: «فَأَجِبِي هَذِهِ!» قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله، فرجعت إلى أزواج النبي صلى الله عليه وآله فأخبرتهن بالذي قالت وبالذي قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلن لها: ما تُرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ، فارجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقولِي له: إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدُنَاكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي فُحَاةٍ، فقالت فاطمة: وَاللَّهِ لَا أَكَلُمُهُ فِيهَا أَبَدًا) الحديث^(٢).

(١) الفتح: ٣٥٧/١٥ (٦٧٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٨١)؛ ومسلم (٢٤٤٢)؛ والنسائي في «الكبرى» (٨٨٤١)، وغيرهم. ومعنى (يسألك العدل في ابنة أبي فحافة): أي =

قال الحافظ في فقه الحديث وفوائده: (فيه ما كان عليه أزواج النبي ﷺ من مهابته والحياء منه حتى راسلته بأعز الناس عنده فاطمة)^(١).



= يسألك التسوية بينهن في محبة القلب، وليس مرادهن بالعدل ما يقابله الظلم والجور.

(١) الفتح: ٢٣/٧ (٢٥٨١).

الفصل الثالث

منزلتها عند الأمة

•• لأهل البيت عامة وللسيدة فاطمة خاصة منزلة رفيعة جليلة ثابتة أصيلة في أفئدة المسلمين من لدُن عصر النبوة وجيل الصحابة الكرام عليهم السلام، وهي مستمرة مطّردة عبر العصور جيلاً بعد جيل إلى زماننا وهكذا إلى قيام الساعة.

والصحابه رضوان الله عليهم هم خير من يعرف حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وحقّ ذريته الطاهرة من الإجلال والتكريم والمحبة والرعاية؛ عملاً بتوجيهات القرآن الكريم والتزاماً بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وإقراراً لعينه. وعلى هذا جرت الأمة الإسلامية عبر السنين، ما تنكّبه مسلم ولا تجافى عنه من يؤمن بالله واليوم الآخر.

ولا يوجد اليوم مسلم واحد على وجه الأرض يخطر بباله فضلاً عن أن يُكِنّ في نفسه أدنى بغضاء أو انحراف عن الطاهرة البتول بضعة الرسول صلى الله عليه وآله، ومواقف المسلمين وكتبهم وأدبياتهم وواقعهم يشهد بذلك، وقد اشتهر عندهم جميعاً تسمية أبنائهم وبناتهم بأسماء علي وفاطمة وولديهما الحسن والحسين.

بَيِّدَ أن الأمر الذي يجب التنبه له والتأكيد عليه أن أهل السُّنَّةَ يحُبُّونَ فاطمة وغيرها من أهل البيت الأطهار الحبِّ الشرعي الذي ارتضاه الله سبحانه وأَصْلَه ورَسَخَه النبي ﷺ الذي ثبت عنه أنه قال: «لا تُظَرُّونِي كما أَطَرَّتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(١).

وقال ﷺ: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها!». فلا يجوز المغالاة في حُبِّها والتمسكُ بالأخبار الموضوعة والأكاذيب السَّمِجَة التي حُشِرَتْ في فضلها. كما لا يجوز البتَّة تأويل بعض الآيات القرآنية التي يزعم الزاعمون أنها جاءت في فضلها وتقدُّمها على جميع نساء العالمين حتى في (طبيعتها خلقتها) وأنها من (طينة خاصة). ولا يُقبل أيضاً اختلاق الأسماء المعبَّدة لها مثل (عبد الزهراء)، وغير ذلك مما لم يرد فيه نص ولا يقبله عقل.

إن أهل السُّنَّةَ هم أولى بفاطمة وأهل البيت من غيرهم من المبتدعة الضالة، فهم الذين يسرون على جادة السُّنَّةَ في محبة فاطمة وإجلالها وإنزالها في سويداء قلوبهم، دونما غلوٍّ أو انحراف؛ كالذي وقعت فيه الرافضة وأدَّعوا اختصاصهم بفاطمة وأهل البيت ومحبتهم لهم، وضلُّوا في ذلك ضلالاً مبيناً بعيداً أوصلهم إلى ادعاء صفات لفاطمة وعلي والحسين هي فوق صفات الملائكة

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥)؛ وأحمد (١٥٤) من حديث عمر الفاروق.

المقرّبين، وزعموا لهم أنهم من (طينة غير طينة البشر)، وأنهم منزّهون عن الخطأ، وأنهم مطّلعون على السرائر وعلم الملكوت ما كان وما سيكون... فوصلوا بهم إلى درجة المعصومين، بل فيهم أشياء من صفات الألوهية والعياذ بالله تعالى!.

●● جاء في حديث ميراث النبي صلى الله عليه وآله: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لعليّ وفاطمة: (والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله أحبّ إليّ أن أصل من قرابتي)^(١).

وروى ابن عمر، عن أبي بكر رضي الله عنه قال: (ارقبوا محمداً صلى الله عليه وآله في أهل بيته)^(٢).

وسياّتي المزيد من مواقف الصديق وأقواله في إجلال فاطمة وأهل البيت؛ في الباب التاسع.

وروى أسلم مولى عمر، عن عمر بن الخطاب: أنه دخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: (يا فاطمة، والله ما رأيت أحداً أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منك، والله ما كان أحدٌ من الناس بعد أبيك صلى الله عليه وآله أحبّ إليّ منك)^(٣).

(١) هذا طرف من حديث طويل أخرجه البخاري وغيره، سياّتي بتمامه: ص

٣٠١ - ٣٠٣، ٣١٤ في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١٣) و(٣٧٥١).

(٣) أخرجه الحاكم: ١٥٥/٣، وصححه، وقال الذهبي: غريب عجيب.

وزاد الفاروق عمر من إجلال آل البيت وحبه لهم وتعلقه بهم؛ أنه سعى للاتصال بهم بسبب فأصهر إلى عليّ وفاطمة وتزوج ابنتهما أم كلثوم، وخرج على المهاجرين فقال: ألا تهنوني؟! فقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ فقال: بأم كلثوم بنت علي وبنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ^(١)!

- وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (ما رأيت قط أحداً أفضل من فاطمة غير أبيها ﷺ)^(٢).

- وتأمل هذا الموقف الجليل من الصحابي المسور بن مخرمة، الذي يؤكد الالتزام العجيب برغبة النبي ﷺ بأن لا يساء لفاطمة عليها السلام حتى بعد وفاتها؛ فيحرص المسور على أن لا يتسبب في إزعاج أو انقباض بنات فاطمة! روى عبيد الله بن أبي رافع، عن المسور: (أنه بعث إليه حسن بن حسن^(٣) يخطب ابنته، فقال له: قل له فليلقني في

(١) تقدم الخبر بتمامه: ص ٤٨ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٢) مجمع الزوائد: ٢٠١/٩، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في «الأوسط» وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح؛ وذكره الحافظ في الإصابة: ٣٦٦/٤ وصححه إلى عمرو بن دينار، راويه عن عائشة.

(٣) هو الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وزوجته: فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، أي بنت عمه، وتكون جدتها وجدته: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام. انظر: نسب قريش، ص ٥١.

العَتَمَةُ. قال: فَلَقِيْهِ، فحمدَ اللهَ المسوِّرُ وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعدُ؛ وإيُّمُ الله ما من نسبٍ ولا سبٍ ولا صهرٍ أَحَبَّ إِلَيَّ من نَسَبِكُم وسبِّكُم وصِهْرهم، ولكنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال: «فاطمةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يَقْبِضُنِي ما يَقْبِضُها وَيَبْسُطُنِي ما يَبْسُطُها، وإنَّ الأنسابَ يومَ القيامةِ تنقطعُ غيرَ نَسَبِي وسَبِّي وصِهْرِي»، وعندك ابنتها ولو زَوَّجْتُكَ لَقَبَضَها ذلك! فانطلق عاذراً له^(١).



(١) أخرجه أحمد (١٨٩٠٧)؛ والحاكم: ١٥٨/٣ وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه شعيب الأرناؤوط دون قوله: «وإنَّ الأنساب...» فهو حسن بشواهد. قوله: (العتمة) أي: صلاة العشاء.

الباب السابع

أهل البيت الأطهار عليهم السلام

- النصوص الواردة في مناقب أهل البيت.
- وقفات وتوضيحات.
- الانحراف والعلو الضال في محبة فاطمة وأهل البيت.



الفصل الأول

النصوص الواردة في مناقب أهل البيت

ثبتت تزكية أهل البيت عليهم السلام في الكتاب العزيز، واشتملت كُتُب السُّنَّة على أحاديث كثيرة صحيحة جليلة في مناقبهم، وروى ذلك جماعة من الصحابة الكرام ونشروها بين الناس، وتناقلها أهل السُّنَّة طبقةً بعد طبقة، وهو لون من روائع حُبِّهم لأهل البيت الأطهار؛ عملاً بأوامر الكتاب والسُّنَّة، والتزاماً بالطريقة الشرعية الصحيحة في حُبِّهم وإجلالهم دونما غلوٍّ ولا شَطَطٍ ولا انحراف كما وقع ممن ضلوا عن جادة الحق واتبعوا أهواءهم.

أولاً: حديث الكساء:

١ - روت الصَّدِيقَةُ عائشة أم المؤمنين قالت: (خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتِ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌُّّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] ^(١).

(١) أخرجه مسلم (٢٤٢٤)؛ والبغوي في «شرح السُّنَّة» (٣٩١١). مِرْطٌ: كساء. مُرَحَّلٌ: موشى منقوش عليه صور رجال الإبل.

٢ - وعن أم سلمة قالت: (في بيتي أنزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، قالت: فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين؛ فقال: «هؤلاء أهل بيتي» قالت: فقلت: يا رسول الله، أما أنا من أهل البيت؟ قال: «بلى إن شاء الله»^(١).

٣ - وعن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله قال: (نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيت أم سلمة، فدعا النبي صلى الله عليه وآله فاطمة وحسناً وحسيناً فجعلهم بكساء، وعلي خلف ظهره فجعله بكساء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». قالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: «أنت على مكانك، وأنت إلى خير»^(٢).

٤ - وعن شداد أبي عمّار قال: (دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا علياً، فلما قاموا قال لي: ألا أُخبرك

(١) أخرجه البغوي (٣٩١٢) والطحاوي في «شرح المشكل» (٧٦٨)؛ والحاكم: ١٤٦/٣ وصححه، ووافقه الذهبي؛ وصححه البغوي في «شرح السنة»، وقال شعيب: لا بأس بإسناده.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٨٣) و(٤١٢١)؛ وأحمد (٢٦٥٩٧) والطحاوي في «شرح المشكل» (٧٧١)، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

بما رأيْتُ من رسول الله ﷺ؟ قلتُ: بلى، قال: أتيتُ فاطمةَ رضي الله عنها
أسألُها عن عليٍّ، قالت: توجَّهَ إلى رسول الله ﷺ، فجلستُ
أنتظرُه، حتى جاء رسول الله ﷺ ومعه عليٌّ وحسنٌ وحسينٌ رضي الله عنهم،
أخذ كلَّ واحدٍ منهما بيده حتى دخل، فأدنى علياً وفاطمة
فأجلَسهما بين يديه، وأجلَس حسناً وحسيناً كلَّ واحدٍ منهما
على فخذيه، ثم لفَّ عليهم ثوبه، أو قال: كساءً، ثم تلا هذه
الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا﴾، وقال: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، وَأَهْلُ بَيْتِي أَحَقُّ».

زاد في رواية: (قال واثلة: فقلتُ من ناحية البيت: وأنا
يا رسول الله من أهلك؟ قال: «وأنت من أهلي»، قال واثلة: إنها
لمن أَرَجى ما أَرْتَجى)^(١).

•• ومعنى قوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾:

قال ابن تيمية: لفظ ﴿الرِّجْسَ﴾ أصله القذر، ويُراد به:
الشرك، كقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠].

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٨٨)؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (٧٧٣)؛ وابن
حبان (٦٩٧٦)؛ والحاكم: ١٤٧/٣؛ والبيهقي في «السنن»: ١٥٢/٢،
وغيرهم، والرواية الأولى لأحمد والثانية لابن حبان، وصححه الحاكم
وأقره الذهبي، وصححه شعيب الأرناؤوط.

ويُراد به: الخبائث المحرّمة كالمطعومات والمشروبات، كقوله:
﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ
يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ
فَسَقًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ
رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠]، وإذهاب ذلك إذهابٌ لكُلِّه،
ونحن نعلم أن الله أذهبَ عن أولئك السادة الشرك والخبائث.

ولفظ ﴿الرَّجَسَ﴾ عام يقتضي أن الله يريد أن يُذهبَ جميعَ
الرجس، فإن النبي صلى الله عليه وآله دعا بذلك.

وأما قوله صلى الله عليه وآله: «وَطَهَّرْهُمْ تَطْهِيرًا» فهو سؤال مُطلق بما
يُسَمَّى طهارة.

فدعاء النبي صلى الله عليه وآله بأن يُطَهَّرْهُمْ تَطْهِيرًا، كدعائه بأن يزيّجهم
ويُطَيِّبهم ويجعلهم متقين، ونحو ذلك... وقد يكون من تمام
تطهيرهم صيانتهم عن الصدقة التي هي أوساخ الناس.

وبالجملة فالتطهير الذي أَرادَه الله، والذي دعا به
النبي صلى الله عليه وآله؛ ليس هو العصمة بالاتفاق، فإن أهل السُنَّة عندهم
لا معصوم إلا النبي صلى الله عليه وآله ^(١).

(١) منهاج السُنَّة النبوية: ٤/ ١١٠ - ١١٢، مقتطفات.

ثَانِيًا: حَدِيثُ الثَّقَلَيْنِ:

١ - روى يزيد بن حَيَّانَ وَحُصَيْنُ بن سَبْرَةَ وَعُمَرُ بن مُسْلِمٍ، عن زيد بن أَرْقَمَ قال: (قَامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يوماً فِينَا خطيباً بمَاءٍ يُدْعَى حُمَاءً بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعِظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي». فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدٌ؟ أَلَيْسَ نَسَائُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نَسَائُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ بَعْدَهُ. قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمُ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ. قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرْمُ الصَّدَقَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ^(١).

وفي رواية: عن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِن تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِثْرَتِي

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨) واللفظ له؛ والنسائي في «الكبرى» (٨١١٩)؛ والبغوي (٣٩١٣)؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (٣٤٦٤)، وغيرهم.

أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(١).

وفي رواية أخرى: عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم قال: (لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع، ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن، ثم قال: «كأنني قد دُعيتُ فأجبتُ، إني قد تركتُ فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»)^(٢).

٢ - وعن جابر بن عبد الله قال: (رأيتُ رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواءِ يخطب، فسمعته يقول: «يا أيها الناس، إني تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلُّوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي»)^(٣).

٣ - وعن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تاركٌ

(١) أخرجه الترمذي (٤١٢٢)، وانظر: الحاشية السابقة.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٠٩٢)؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (١٧٦٥)؛ والحاكم: ١٠٩/٣؛ وصححه شعيب الأرناؤوط، والألباني في الصحيحة: ٣٣٠/٤ (١٧٥٠). وانظر ما كتبه عن (حديث الغدير) في كتابي «علي بن أبي طالب».

(٣) أخرجه الترمذي (٤١٢٠)؛ والطبراني في «الكبير» (٢٦٨٠)؛ وقال الترمذي: حسن غريب، وصححه الألباني وشعيب الأرناؤوط.

فيكم خَلِيفَتَيْنِ: كتابُ الله حبلٌ ممدودٌ ما بين السماء والأرض،
أو ما بين السماء إلى الأرض، وعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وإِنَّهُمَا لَنْ
يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»^(١).

٤ - وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس، إني قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به فلن تضلُّوا بعدي؛ الثَّقَلَيْنِ، وأحدهما أكبرُ من الآخر: كتابُ الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»^(٢).

٥ - وعن علي بن أبي طالب: أن رسول الله ﷺ قال: «إني تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلُّوا: كتابُ الله؛ سَبِيَّهُ بيدِ الله وسَبِيَّهُ بأيديكم، وأهلُ بيتي»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٢١٥٧٨)؛ وابن أبي شيبة: ٤١٨/٧؛ وابن أبي عاصم في السُّنَّة (٧٥٤) و(١٥٥٤) و(١٥٥٥)؛ وصححه بشواهده الألباني وشعيب الأرناؤوط.

(٢) أخرجه أحمد (١١١٠٤) و(١١٥٦١)؛ وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١٥٥٨) واللفظ له؛ والترمذي (٤١٢٢) وقال: حسن غريب؛ وصححه الألباني وشعيب الأرناؤوط.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١٥٦٣)؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (١٧٦٠)؛ وحسنه شعيب الأرناؤوط، والألباني في «الصحيحة»: ٣٥٧/٤ - ٣٥٨ (١٧٦١).

ثالثاً: أحاديث أخرى في فضائل أهل البيت:

١ - عن سعد بن أبي وقاص قال: (لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ الْآيَةُ [آل عمران: ٦١]؛ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَحَسَناً وَحُسَيْناً فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي»^(١).

٢ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي مِنْ بَعْدِي»^(٢).

٣ - وعن أبي سعيد الخُدْرِيّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُبْغِضُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ رَجُلٌ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»^(٣).



(١) أخرجه الترمذي (٣٢٤٤)؛ وضمن حديث طويل: مسلم (٢٤٠٤)؛
والترمذي (٤٠٥٨)؛ وأحمد (١٦٠٨).

(٢) أخرجه الحاكم: ٣/٣١١ وصححه؛ وحسنه الألباني في «الصحيحة»
(١٨٤٥).

(٣) أخرجه ابن حبان (٦٩٧٨)؛ والحاكم: ٣/١٥٠ وصححه؛ وحسنه شعيب
الأرنؤوط.

الفصل الثاني

وقفات وتوضيحات

أولاً: مفهوم آل النبي ﷺ وأهل بيته، وبطلان مذهب الرافضة في هذا:

•• من خلال النظر في الأحاديث المتقدمة والتدقيق فيها والجمع بين أطرافها مع الآيات الكريمة في سورة الأحزاب؛ من قوله تعالى: ﴿يَنْسَاءَ الَّتِي مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ...﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٠ - ٣٣]؛ يجزم الباحث المنصف البريء من الهوى أن أهل البيت هم أهل بيت رسول الله ﷺ، وأزواجه من آله وأهل بيته على الصحيح من قول العلماء.

فقد ثبت في «الصحيحين»: عن النبي ﷺ: أنه علّم الصحابة الصلاة عليه: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ»^(١).

(١) البخاري (٣٣٦٩)؛ ومسلم (٤٠٧)، أخرجاه من حديث أبي حميد الساعدي.

ولأن امرأة إبراهيم من آلِه وأهل بيته، وامرأة لوط من آلِه وأهل بيته، بدلالة القرآن، فكيف لا يكون أزواج محمد من آلِه وأهل بيته؟! (١).

والآيات الكريمة من سورة الأحزاب توضح ذلك وتؤكد؛ قال تعالى: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحْشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * * وَمَن يَفْعَلْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسَنَّا كَآخِرٌ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا *﴾ [الأحزاب: ٣٠ - ٣٤].

فهذا يدل على أن أزواج النبي صلى الله عليه وآله من أهل بيته، فإن السياق إنما هو في مخاطبتهن. ويدل على أن قوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ عم غير أزواجه، كعلي وفاطمة وحسن وحسين عليهم السلام، لأنه ذكره بصيغة التذكير لما اجتمع

المذكر والمؤنث، وهؤلاء خُصُّوا بكونهم من أهل البيت من أزواجه، فلهذا خَصَّهم بالدعاء لما أدخلهم في الكساء. كما أن مسجد قباء أُسِّس على التقوى، ومسجده ﷺ أيضاً أُسِّس على التقوى وهو أكمل في ذلك، فلما نزل قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨] بسبب مسجد قباء، تناول اللفظ لمسجد قباء ولمسجده ﷺ بطريق الأولى^(١).

(ثم إن كلمة (أهل البيت) تُستعمل في العُرف واللغة للأزواج أولاً وبالذات، ولغيرهم تبعاً. وكذلك وردت هذه الكلمة في زوجة إبراهيم عليه السلام؛ قال تعالى حكايةً عن قول الملائكة لسارة: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

فكانت أزواج النبي ﷺ داخله في أهل البيت أولاً وبالذات، وعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم على سبيل الاحتمال، لأن سياق الآية وإن كان للأزواج فقط، ولكن كلمة (أهل البيت) تحتل العموم، فأراد النبي ﷺ أن يتأكد هذا العموم في حق عليّ وفاطمة وبنيهما، فدعاهم وجللهم بكساء، لِيُثَبِّتَ لهم ما يثبت لأهل البيت، ودعا لهم بالطهیر،

ولذلك لم يُدخِلْ أُمّ سلمة في الكساء، لكونها داخلةً في أهل البيت قطعاً بدلالة سياق الآية، فلم تكن هناك حاجة إلى الدعاء لاعتدادها في جملة أهل البيت، فقال لها: «أنتِ على مكانك، أنتِ على خير».

فلا شك أن عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ثَبَتَ كونهم من أهل البيت بهذا الحديث^(١) أي: حديث الكساء.

•• واستدل الروافض بحديث الكساء على أن أهل البيت هم عليّ وفاطمة وأولادهما فقط، وعلى أنهم معصومون من الخطأ، لأن الله تعالى أَذْهَبَ عنهم الرِّجْسَ وطَهَّرَهم تطهيراً، وكل من الدَّعَوَيْنِ باطل^(٢).

والحق أن حديث الكساء الذي رواه مسلم وغيره (واضح الدلالة على أن النبي صلى الله عليه وآله جعل بيتَ عليّ وفاطمة عليهما السلام مشمولاً بالآية الكريمة، أو مضافاً إلى بيته الشريف الطاهر تكريماً وتشريفاً وتطهيراً، كذلك وبخاصة أن سيدته هي ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام؛ لأن هذه الآية الكريمة - والآيات

(١) تكملة فتح الملهم: ٥٧/٥. وانظر: شرح مشكل الآثار: ٢٣٥/٢ - ٢٤٨؛

منهاج السُّنَّة: ٥٣٨/٢ - ٥٤٠، ٢١١/٣ - ٢١٢، ١٠٣/٤ - ١١٥؛ الشيعة

وأهل البيت، ص ١٨ - ٢٢.

(٢) تكملة فتح الملهم: ٥٧/٥؛ الشيعة وأهل البيت، ص ٢١ - ٢٢.

السابقة التي صُدِّرت بخطاب النبي ﷺ - نزلت في نساء النبي وبيت النبوة. وغني عن البيان أن بيوت زوجاته بيوته، بل هي في حُكم البيت الواحد في حق صاحبه ﷺ، بالإضافة إلى أنه الأصل في خطابهن والحديث عنهن رضي الله عنهن، بوصفه صاحب البيت. ومن هنا جاء الخطاب بالتأنيث في كل ما يَخْصُهُنَّ من أحكام، في حين جاء خطابُ التطهير بصيغة الجمع المذكور؛ تنوياً بصاحب البيت، ولأنهن يدخلن معه بوصفهن (أهله)؛ علماً بأن الأصل لغة وعرفاً، ومن ثم اصطلاحاً وقرآناً بالطبع، أن يُذكر أهل بيت الرجل اختصاراً بصيغة التذكير، حتى ولو كان الخطاب لزوجته واحدة! قال تعالى: ﴿وَأَمْرَانَهُ قَائِمَةٌ فَصَحَّكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ * قَالَتْ يَنْوِلْنِي أَلَدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ * [هود: ٧١ - ٧٣].

وقال تعالى: ﴿يَنْسَاءَ اللَّتِي لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنَّ أُنْقِيَّتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا *

وَأَذْكُرْتُ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿ [الأحزاب: ٣٢ - ٣٤].

ثم من الذي يقول: إن إضافة السيدة فاطمة عليها السلام وسائر أفراد بيتها عليهم السلام إلى آية التطهير يقتضي إخراج زوجات النبي من هذه الآية؟! وقد نزلت فيهن كما أوضحنا قبل قليل، وكما هو بيّن من الآيات السابقة واللاحقة لآية التطهير!.

بل ما الذي يعنيه هذا الإخراج - إن جاز في عقل عاقلٍ أو دينٍ صاحب مروءةٍ ودينٍ - سوى الإيحاء بأن الرجس قد يلحق بهن! وربما صرّح بهذا بعض الفجرة والمنافقين في حق السيدة عائشة عليها السلام على وجه الخصوص.

ومن بدهيات الاعتقاد عند أهل السُنَّة: تقرير طهارة زوجات النبي صلى الله عليه وآله وأمّهات المؤمنين كافة؛ ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، والله تعالى يقول: ﴿الْحَيِّثُ لِلْحَيِّثِينَ وَالْحَيِّثُونَ لِلْحَيِّثَاتِ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦]؛ فلو كانت الصديقة بنت الصديق أو أي زوجة من زوجات النبي - وحاشاه - خبيثة، لكان النبي صلى الله عليه وآله - وحاشاه - خبيثاً!.

فمن رمى واحدة منهن أو عرّض بها فقد رمى رسول الله صلى الله عليه وآله وعرّض به، بل رمى أمّه هو إن كان يعدّ نفسه

من المؤمنين، وعَزَّ وجهُ الله أن يكون فاعل ذلك من المؤمنين!
وقد قال تعالى في سياق الحديث عن العُصبة التي جاءت
بالإفك، قال محذراً سبحانه: ﴿يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧].

قال القاضي أبو بكر الباقلاني رَحِمَهُ اللهُ: (إن الله تعالى إذا
ذكر في القرآن ما نَسَبَه إليه المشركون سَبَّحَ نفسه لنفسه كقوله:
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ﴾ [البقرة: ١١٦]، وذكر تعالى ما
نَسَبَه المنافقون إلى أم المؤمنين عائشة فقال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾
[النور: ١٦]، سَبَّحَ نفسه في تبرئتها من الشؤ كما سَبَّحَ نفسه في
تبرئة ذاته من السوء، والله المثل الأعلى.

ولهذا قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: إن من رمى السيدة عائشة
فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قُتِل! وقال الإمام ابن
حزم في التعقيب على هذا القول: قول مالك هاهنا صحيح،
وهي رَدَّة تامّة وتكذيبٌ لله تعالى في قطعه ببراءتها^(١).

وقال الحافظ ابن كثير في ترجمة عائشة: (لَمَّا تَكَلَّمَ فِيهَا
أَهْلُ الْإِفْكِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، غَارَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا، فَأَنْزَلَ بِرَأْءِهَا

(١) السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السُّنَّة والشيعة الإمامية، للدكتور عدنان

في عشر آيات من القرآن تُتلى على تعاقب الزمان... وقد أجمع العلماء على تكفير مَنْ قَدَفَهَا بعد براءتها عليها السلام ^(١).

(ولقد ورد في الآية (٣٣) من سورة الأحزاب ذِكرٌ أو لفظُ «أَهْلَ الْبَيْتِ»، وجاء في الآية (٣٤) قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ - وبصيغة المضارعة: ﴿يُتْلَى﴾؛ فسوف يبقين كلهن في بيت النبوة! ولسوف تتلى في بيوتهن، أو في بيت كل واحدة منهن، آياتُ الله وسُنَّةُ رسوله، ولسوف يدخلن في آية التطهير إلى يوم الدين!.

وقد أخرج الإمام البخاري والإمام مسلم: من حديث عائشة عليها السلام قالت: (ما شِيعَ آلُ مُحَمَّدٍ منذُ قَدِمَ المدينة من طعام بُرٍّ ثلاثَ ليالٍ تباعاً حتى قُبِضَ)، وآل محمد هؤلاء في اللسان العربي: هن أهلُ بيته، أو زوجاته اللاتي كُنَّ يعشن معه، أو عِشْنَ معه واخترن الله ورسوله والدار الآخرة) ^(٢).

إنه لمن أبطل الباطل إخراج الأزواج المطهرات من أهل البيت بعدما جعلهن الله تعالى أهل البيت أولاً وبالذات! ^(٣).

(١) البداية والنهاية: ٩١/٨ - ٩٢.

(٢) السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السُّنَّة والشيعة الإمامية، ص ٤٧٨.

والحديث المشار إليه أخرجه البخاري (٥٤١٦)؛ ومسلم (٢٩٧٠).

(٣) تكملة فتح الملهم: ٥٧/٥.

وأيضاً فقد دَلَّ حديثُ الإفك على أن (أمهات المؤمنين الطاهرات) هن أهلُه في المقام الأول؛ فعن عائشة: أن رسول الله ﷺ قام على المنبر، فاستَعَذَر من عبد الله بن أبي، فقال: «يا معشر المسلمين، مَنْ يَغْذِرُنِي من رجلٍ قد بَلَغَ أذاهُ في أهلي؟! والله ما علمتُ على أهلي إلا خيراً! ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ منه إلا خيراً، وما كان يَدْخُلُ على أهلي إلا معي!»^(١).

ثانياً: العِثْرَةُ وحديث الثَّقَلَيْنِ:

قال العلامة التوربشتي، ونقله عنه الإمام علي القاري في «شرح المشكاة»: (عِثْرَةُ الرجل: أهل بيته وَرَهْطُهُ الأَدْنَوْنَ، ولاستعمالهم العِثْرَةَ على أنحاء كثيرة بيَّنَهَا رسول الله ﷺ بقوله: «أهل بيتي»، ليعلم أنه أراد بذلك نسلَه وعصابَتَه الأَدْنَيْنِ وأزواجه)^(٢).

وقال السُّنْدِي في تفسير «عِثْرَتِي»: كأنه ﷺ جعلهم قائمين مقامه، فكما كان في حياته القرآن والنبي، كذلك بعده: القرآن وأهل بيته، لكن قيامهم مقامه في وجوب المحبة والمراعاة

(١) شرح مشكل الآثار (٧٦٤)؛ وهو قطعة من حديث الإفك الطويل الذي

أخرجه البخاري (٢٦٦١)؛ ومسلم (٢٧٧٠)، وغيرهما.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٦٠٠/٥.

والإحسان، لا في العمل بأقوالهم وآرائهم، بل المرجع في العمل: الكتاب والسُّنة^(١).

ويوضح العلامة القاري الحكمة في تأكيد النبي صلى الله عليه وآله على (العِثْرَة الطاهرة) ومنزلتهم من الدين والعلم؛ فيقول: (إن أهل البيت غالباً يكونون أعرفَ بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم: أهل العلم منهم، المطلعون على سيرته، الواقفون على طريقته، العارفون بحكمه وبحكمته، وبهذا يصلح أن يكون مقابلاً لكتاب الله سبحانه كما قال: ﴿وَعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩]^(٢).

وقوله عليها السلام: «وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ»: قال ثعلب: (سُمِّيَا ثَقَلَيْنِ لِأَنِ الْأَخْذَ بِهِمَا ثَقِيلٌ وَالْعَمَلَ بِهِمَا ثَقِيلٌ، قال: وأصلُ الثَّقَلِ أن العرب تقول لكل شيء نفيسٍ خطيرٍ مَصُونٍ ثَقْلٌ، فسمَّاهما ثَقَلَيْنِ إعظاماً لِقُدْرِهِمَا وتَفْخِيماً لَشَأْنِهِمَا)^(٣).

وقوله عليها السلام: «أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي»: (حاصل هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر ثقلين: كتاب الله وأهل بيته، أما

(١) انظر: هامش سنن الترمذي: ٣٣٥/٦، بتحقيق شعيب الأرناؤوط.

(٢) انظر: الحاشية (٢) في الصفحة السابقة، في هذا الكتاب.

(٣) لسان العرب: ٨٨/١١؛ واختصره ابن الأثير في «النهاية»: ٢١٦/١.

وثعلب: هو إمام النحو العلامة المحدث أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم، توفي سنة (٢٩١هـ).

الأول: فقد أمر بالأخذ والاستمسك به، وأما الثاني: فقد أمر بمعرفة قدرهم وفضلهم وأداء حقوقهم. ومن هنا يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: وهذا اللفظ يدلُّ على أن الذي أمرنا بالتمسك به وجعل المتمسك به لا يضلُّ هو كتابُ الله. وهكذا جاء في غير هذا الحديث، كما في صحيح مسلم: عن جابر في حجة الوداع لما خطب يوم عرفة وقال: «وقد تركتُ فيكم ما لن تضلُّوا بعده إن اعتصمتم به: كتابُ الله»^(١) انتهى^(٢).

وقد ورد في موطأ الإمام مالك بلاغاً: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «تركتُ فيكم أمرين لن تضلُّوا ما تمسَّكتم بهما: كتابُ الله، وسنةُ نبيِّه»^(٣).

وقد جاء في سيرة محمد بن إسحاق التي جمعها ابن هشام خطبةُ الرسول ﷺ في حجة الوداع، وفيها: «وقد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبداً، أمراً بيّناً: كتابُ الله، وسنةُ نبيِّه»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨)؛ وأبو داود (١٩٠٥)؛ وابن ماجه (٣٠٧٤)، وغيرهم.

(٢) منهاج السنة: ٣٠٠/٤، وانظر: ٦٦٤/٢.

(٣) موطأ مالك: ٨٩٩/٢؛ وقواه الألباني في «الصحيحة»: ٣٦١/٤.

(٤) السيرة النبوية: ٦٠٤/٢.

وقد أخرج الحاكم في مستدركه: عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله خطب الناس في حجة الوداع فقال: «... يا أيها الناس، إنني قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبداً: كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وآله». ثم ذكر له شاهداً من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني قد تركتُ فيكم شيئين لن تضلُّوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض»^(١). وذكر الذهبي الحديثين في تلخيص المستدرك وسكت عليهما ولم يتعقب على قول الحاكم بشيء^(٢).

(فالحاصل من مجموعة أحاديث خطبة حجة الوداع وحديث العدير: أن النبي صلى الله عليه وآله أمر بالتمسك بالكتاب والسنة وجعلهما أصليين متبوعين يرجع إليهما في معرفة أحكام الدين، وأمر بمعرفة قدر أهل البيت وإكرامهم وأداء حقوقهم)^(٣).

ثالثاً: قرابة النبي صلى الله عليه وآله:

ترجم الإمام أبو عبد الله البخاري لمناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقرابته عليه السلام أوسع دائرة من أهل بيته، وقد شرح الحافظ مدلول القرابة فقال:

(١) المستدرك: ٩٣/١؛ وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٣٧).

(٢) تكملة فتح الملهم: ٥٩/٥.

(٣) المرجع السابق: ٦٠/٥.

(قراية النبي ﷺ: يريد بذلك مَنْ يُنسب إلى جدّه الأقرب وهو عبد المطلب؛ ممّن صحّب النبي ﷺ منهم أو من رآه من ذكر وأنثى، وهم:

- عليّ وأولاده الحسن والحسين ومُحَسَّن وأُم كلثوم من فاطمة عليها السلام.

- وجعفر وأولاده عبد الله وعون ومحمد.

- وعقيل بن أبي طالب وولده مُسلم بن عقيل.

- وحزمة بن عبد المطلب وأولاده يعلّى وعُمارة وأُمّامة.

- والعباس بن عبد المطلب وأولاده الذكور عشرة، وهم: الفضل وعبد الله وقُثم وعُبَيد الله والحارث ومَعْبُد وعبد الرحمن وكثير وعَوْن وتَمّام، وفيه يقول العباس:

تَمُّوا بَتَمّامٍ فصاروا عَشْرَه يا رَبِّ فاجعَلْهم كراماً بَرّره

وكان له من الإناث: أم حبيب وآمنة وصفية، وأكثرهم من لبابة أم الفضل.

- ومعتب بن أبي لهب، والعباس بن عُتْبَة بن أبي لهب.

- وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وأخته ضُبَاعَة.

- وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وابنه جعفر.

- ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، وابناه المغيرة والحارث.

- وأميمة وأروى وعاتكة وصفية بنات عبدالمطلب، أسلمت صفية وصحبت، وفي الباقيات خلاف، والله أعلم^(١).

رابعاً: فضل آل البيت والقربة يكون بالتقوى لا بمجرد القرابة: الأتقياء من أمة نبينا صلى الله عليه وآله هم أولياؤه كما ثبت في الأحاديث الصحيحة؛ فعن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله جهّاراً غير سرّ يقول: «أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي - يعني فلاناً - ليسوا لي بأولياء، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»^(٢).

وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا»^(٣).

قال الحافظ: (وقع في «شرح المشكاة»^(٤): المعنى: أني

(١) الفتح: ٦٧٤/٨، فضائل الصحابة، باب (١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)؛ ومسلم (٢١٥).

(٣) هو طرف من حديث أخرجه: أحمد (٢٢٠٥٢)؛ وابن حبان (٦٤٧)؛ والبيهقي في «السنن»؛ ٨٦/١٠؛ وصححه شعيب الأرناؤوط، والألباني في «صحيح الجامع» (٢٠١٢).

(٤) أي: شرح مشكاة المصابيح، شرحه غير واحد ممن سبق ابن حجر أو جاء بعده.

لا أوالي أحدًا بالقرابة، وإنما أُحِبُّ الله تعالى لِمَا لَهُ مِنَ الحق الواجب على العباد، وأُحِبُّ صالح المؤمنين لوجه الله تعالى، وأوالي مَنْ أوالي بالإيمان والصلاح سواء كان من ذوي رحم أو لا، ولكن أرعى لذوي الرحم حقَّهم لصلَّة الرحم)، وعَقَّب الحافظ فقال: (وهو كلام منقح)^(١).

وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحریم: ٤].

وعن أبي هريرة: (أنَّ رسولَ الله ﷺ أتى المَقْبَرَةَ فقال: «السلامُ عليكم دارَ قومٍ مؤمنين، وإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بكم لاجِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْتُنَا إِخْوَانُنَا»! قالوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعدُ»...)^(٢).

ومن حديث أنس قال: (قال رسول الله ﷺ: «وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي»! قال: فقال أصحابُ النبي ﷺ: أَوْلَيْسَ نحنُ إِخْوَانَكَ؟ قال: «أنتم أصحابي، ولكنْ إِخْوَانِي الذين آمنوا بي ولم يَرُونِي»)^(٣).

(١) الفتح: ٤٦٨/١٣، شرح الحديث (٥٩٩٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩)؛ والنسائي في «الكبرى» (٧٤٣)؛ وابن ماجه (٤٣٠٦)، وغيرهم.

(٣) أخرجه أحمد (١٢٥٧٩)، وحسنه شعيب الأرناؤوط؛ وصححه الألباني

في «صحيح الجامع» (٧١٠٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وإذا كان كذلك، فأولياؤه المتقون؛ بينه وبينهم قرابة الدين والإيمان والتقوى، وهذه القرابة الدينية أعظم من القرابة الطينية، والقرب بين القلوب والأرواح أعظم من القرب بين الأبدان).

ولهذا كان أفضل الخلق أولياؤه المتقون، وأما أقاربه ففيهم المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فإن كان فاضلاً منهم كعلي عليه السلام وجعفر والحسن والحسين، فتفضيلهم بما فيهم من الإيمان والتقوى، وهم أولياؤه بهذا الاعتبار لا بمجرد النسب. فأولياؤه أعظم درجة من آله، وإن صلى على آله تبعاً له لم يقتض ذلك أن يكونوا أفضل من أوليائه الذين لم يصل عليهم؛ فإن الأنبياء والمرسلين هم من أوليائه، وهم أفضل من أهل بيته، وإن لم يدخلوا في الصلاة معه تبعاً، فالمفضل قد يختص بأمر ولا يلزم أن يكون أفضل من الفاضل.

ودليل ذلك أن أزواجه هم ممن يُصلى عليه، كما ثبت ذلك في «الصحيحين»، فقد ثبت باتفاق الناس كلهم أن الأنبياء أفضل منهن كلهن^(١).

فالقرابة وحدها ليست فضيلة، فالعباس بن عبدالمطلب أقرب للنبي ﷺ نسباً من علي، وحمزة من السابقين الأولين من

(١) منهاج السُّنة: ١٠٨/٤ - ١٠٩.

المهاجرين وهو أقرب نسباً منه أيضاً، وليساً أفضل من علي^(١).

(وللنبي ﷺ من بني العمّ عددٌ كثير؛ كجعفر وعقيل وعبد الله وعبيد الله والفضل وغيرهم من بني العباس، وكربيعة وأبي سفيان ابني الحارث بن عبدالمطلب.

وليس هؤلاء أفضل من أهل بدر، ولا من أهل بيعة الرضوان، ولا من السابقين الأولين، إلا من تقدّم بسابقته كحمزة وجعفر فإن هذين ﷺ من السابقين الأولين، وكذلك عبدة بن الحارث الذي استشهد يوم بدر)^(٢).

خامساً: وجوب محبة أهل البيت:

أطبّق المسلمون على تعظيم أهل بيت رسول الله ﷺ وإجلالهم وإكرامهم وتقريبهم والإحسان إليهم ووجوب محبتهم، وتوارثوا ذلك خلفاً عن سلف، وجيلاً إثر جيل، من لدن الصحابة الكرام وإلى زماننا وإلى ما شاء الله.

وقد تقدم ذكر شذرة من مواقف الصحابة في هذا المضمار المبارك^(٣).

(١) منهاج السنة: ٥٢٢/٤.

(٢) منهاج السنة النبوية: ٥٢٣/٤.

(٣) انظر: ص ٢٣٠ - ٢٣٤ في هذا الكتاب.

وأهل السُّنَّة جميعاً على هذا الحبِّ والإجلال لأهل البيت الأطهار، ولا يُعرف منذ فجر تاريخ الإسلام أحدٌ يُغض (أهل البيت) لأنهم (أهل البيت) وما جرى من وصف بعض أهل الشام (بالنُّصب) ومعاداة أهل البيت، إنما كان فترة تاريخية ضئيلة مضتْ قد عفا عليها التاريخ، ووقعت مقالات بين الطرفين: أتباع عليٍّ وأتباع معاوية، لأسباب مخصوصة... ثم اندثرت وتلاشت عند أهل السُّنَّة، بينما زادت شِرَّتُها مع مرور الزمن عند الشيعة فالرافضة، وتاجر بها كلُّ أفاك أثيم ورمى أهل السُّنَّة عامةً وأهل الشام خاصةً بأنهم (نواصب) يُغضون أهل البيت ويعادونهم، وزَرَعَ الرافضةُ ذلك في قلوب أتباعهم من العامة والأغمار، وشَحْنُوهم بمعاداة أهل السُّنَّة لأنهم أعداء أهل البيت بزعمهم! وتطوَّر الأمر بمرور الزمن وتنامي الانحراف حتى أصبح ذلك ديناً عند الرافضة يتقربون إلى الله - بزعمهم الباطل - باستباحة دماء أهل السُّنَّة وديارهم وأموالهم...

وواقع التاريخ الماضي والحاضر خاصة يشهد بذلك، كما أن حقائق التاريخ وواقع أهل السُّنَّة عامة وأهل الشام خاصة؛ تشهد بموالاتهم لأهل البيت ومودَّتهم لهم وحبِّهم وإجلالهم أضعافَ ما يُكُونُه من ذلك لمعاوية وآله والأمويين عامة!

وانظر واقعهم في الشام ومصر والجزيرة العربية وغيرها، بل وحتى الهند وباكستان وما والاها؛ كي ترى الحب الشرعي لأهل البيت، وتسمية أبنائهم بأسماء علي والحسن والحسين وفاطمة الزهراء وغيرهم، في حين لا تجد أسماء (معاوية) و(مروان) و(عبد الملك) و(الوليد) إلا أقل من القليل.

وقُلْ مثَل ذلك فيما صَنَّفوه من كتب مطوَّلة ومختصرة، عامة ومفردة، في فضائل أهل البيت ومناقبهم وسيَرهم العطرة، وشَحَنوا كُتُب السُّنَّة والحديث الشريف بمناقبهم، وذلك مسطور منشور على مدى أربعة عشر قرناً...

وعلى الضد من ذلك لا تجد البتة عند الرافضة التسمية بأسماء عامة الصحابة، دَغ عنك التسمية بأبي بكر وعمر وعثمان! أمَّا الشناء عليهم ونشرُ سِيَرهم وتصنيفُ الكتب في فضائلهم، فهذا عند الرافضة أمر مستحيل المنال، بل الواقع عندهم هو نقيض ذلك؛ حيث صَنَّفوا في مثالبهم ومساوئهم والعياذ بالله تعالى!.



الفصل الثالث

الانحراف والغلو الضال في محبة فاطمة وأهل البيت

اقترفت أيدي الكذابين والوضاعين والمتروكين والمجهولين آثاماً عظيمة؛ فافترت على رسول الله ﷺ وكذبت عليه ونسبت إليه (روايات) زعموها (أحاديث في فضائل فاطمة وآل البيت الأطهار) - فأجرموا بحق الشريعة، وأسأؤوا إلى آل بيت النبي ﷺ، وجَنَوا على أنفسهم أوزاراً كبيرة...

ثم زاد الأمر سوءاً فاختلفت الرافضة مزاعم أخرى لهم وولّدوا (أخلوقة الأئمة الاثني عشر)، وأدّعَوْا لفاطمة ولعليّ ولبقية الأئمة المزعومين ما لم يُعْطِهِ الله تعالى للأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين - فتكونت من هذا وذاك (منظومة مفتراة) أُحِيطَتْ بالقداسة، وتوارثتها كتب التراث، وضلَّ بها كثير من الناس، وغامَّ وجهُ الحق، وشوّهت سيرَةُ أهل البيت الكرام الذين برَّاهم الله ورسوله من ذلك الإفك المبين!.

وأشير في هذا الفصل إلى مبحثين اثنين:

المبحث الأول:

طرف من الأحاديث الواهية والموضوعة

في مناقب فاطمة وآل البيت:

١ - روى العباس بن الوليد بن بكار الضُّبِّي قال: حدثنا خالد بن عبد الله الواسِطِيُّ، عن يَّان، عن الشعبي، عن أبي جَحِيْفَةَ، عن علي عليه السلام قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد من وراء الحجاب: يا أهل الجمع غُضُّوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد ﷺ حتى تمرَّ»^(١).

٢ - وقال إسماعيل بن عمرو البَجَلِيُّ: حدثنا الأَجَلَح بن عبد الله الكِنْدِيُّ، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عاصم بن ضُمرة، عن علي رضي الله عنه قال: (أخبرني رسول الله ﷺ أن أول من

(١) أخرجه الحاكم: ١٥٣/٣، وأخطأ فصَحَّحه، وردَّ عليه الذهبي فقال: لا والله بل موضوع، والعباس؛ قال الدَّارَقُطْنِي: كذاب. وذكره ابن عَرَّاق في تنزيه الشريعة: ٤١٨/١؛ وأورده الألباني في «الضعيفة» (٢٦٨٨) وقال: موضوع، وأجاد في الكلام عليه، وردَّ على الشيخ أحمد العُمَارِي في تقويته لهذا الحديث واتهامه أهل الحديث بأنهم (نواصب)!. والخبر في كتب الشيعة، انظر مثلاً: أمالي الصدوق، المجلس الخامس، ص ٢٥، الحديث (٤)؛ بحار الأنوار: ٢١٩/٤٣، الحديث (١)؛ أمالي المفيد، المجلس (١٥)، ص ١١٦، الحديث (٦).

يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين، قلتُ: يا رسول الله، فمُجِبُّونا؟ قال: «من ورائكم»^(١).

٣ - وعن عائشة قالت: (قلتُ: يا رسول الله، ما لك إذا جاءَتْ فاطمةُ قَبِلَتْها حتى تجعلَ لسانك في فيها كله كأنك تريد أن تُلْعِقَها عسلاً؟! قال: «نعم يا عائشة، إني لما أُسْري بي إلى السماء أدخلني جبريل الجنة، فناولني منها تفاحةً فأكلتها، فصارت نطفةً في ضُلبي، فلما نزلتُ واقعتُ خديجة، ففاطمةُ من تلك النطفة، وهي حَوْرَاءُ إنْسيَّةٌ كلما اشتقتُ إلى الجنة قَبِلْتُها!»).

وفي رواية: عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أتاني جبريلُ عليه السلام بِسَفَرَجَلَةٍ من الجنة فأكلتها ليلة أُسْري بي، فَعَلِقْتُ خديجةً بفاطمة، فكنْتُ إذا اشتقتُ إلى رائحة الجنة شممتُ رقبَةَ فاطمة»^(٢).

(١) أخرجه الحاكم: ١٥١/٣ وصحَّحه، وتعبَّه الذهبي فقال: إسماعيل وشيخُه وعاصم ضَعَّفوا، والحديث منكَّر من القول يشهد القلب بوضعه. وعزاه الصالحى في سبل الهدى والرشاد: ٤٢٨/١١ للطبراني، وقال: سنده واه.

(٢) المستدرک: ١٥٦/٣؛ الموضوعات، لابن الجوزي: ٣٠٨/١؛ تنزيه الشريعة، لابن عَرَّاق: ٤٠٩/١؛ تذكرة الموضوعات، للفتني الهندي، ص ٣٠٨؛ تاريخ بغداد: ٨٧/٥، ترجمة (٢٤٨١)، وغيرها.

قال الذهبي في «تلخيص المستدرک»: هذا كذبٌ جليٌّ لأن فاطمة وُلدت قبل النبوة فضلاً عن الإسراء.

وذكر الحديث في «الميزان» وقال: هذا حديث موضوع مهتوك الحال^(١).

وحكم عليه بالوضع ابن الجوزي والسيوطي وابن عَرَّاق وغيرهم.

وهذا الذي وَضَعَ هذا الخبر وكذلك الذين صدَّقوه وأثبتوه في كتبهم على جهة الاحتجاج به - هم قوم مخدولون لا عقولَ لهم؛ فالسيدة فاطمة وُلدت سنة خمس قبل البعثة، والإسراء كان سنة عشر أو بعدها، فيكون عُمرُ فاطمة أزيدَ من خمس عشرة سنة. وأمها السيدة خديجة توفيت سنة عشر من النبوة وقبل أن تُفرض الصلاة، أي قبل الإسراء والمعراج! فتأمل.

وقد روت كتب الشيعة هذا (الحديث الموضوع)^(٢) بطريقة طريفة على عاداتهم، إذ لا يخفى على المَطَّلَع على (كتب الحديث) عند القوم الطابعُ القصصي المثير للعواطف عند

(١) ميزان الاعتدال: ٥١٩/٢، ترجمة (٤٦٧٢).

(٢) تفسير القمي: ٣٤/١؛ بحار الأنوار: ٤/٤٣، الحديث (٢، ٥)؛ مقتل الحسين، للخوارزمي: ٦٤/١؛ فاطمة بنت محمد، للسيد علي عاشور، ص ٧ - ٩. وانظر الحاشية التالية.

العامة لكثير من الأحاديث والروايات، وهذا (المنهج!) عندهم يشكل سمة بارزة عند كثير من علمائهم ومصنفيهم وخطبائهم، وفي (مساحات كبيرة) من كتبهم وأدبياتهم التي تنطوي على خرافات كثيرة.

فأحدُ أعمدتهم وهو المعروف بالشيخ الصدوق (ابن بابويه القمي: ت ٣٨١هـ)، في (باب نوادر المعاني) من كتاب «معاني الأخبار» يروي هذا الحديث بإسناده، فيقول:

(حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل - رضي الله عنه - قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن يعقوب بن يزيد قال: حدثنا الحسن بن علي بن فضال، عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن سدير الصيرفي، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده - عليهم السلام - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«خُلِقَ نور فاطمة عليها السلام قبل أن تُخلَق الأرض والسماء» فقال بعض الناس: يا نبي الله، فليست هي إنسيّة؟ فقال صلى الله عليه وآله: «فاطمة حوراء إنسيّة» قال: يا نبي الله، وكيف هي حوراء إنسيّة؟ قال: «خلقها الله وَجَعَلَ من نوره قبل أن يَخْلُق آدم إذ كانت الأرواح، فلما خَلَقَ الله وَجَعَلَ آدمَ عُرِضَتْ على آدم!» قيل: يا نبي الله، وأين كانت فاطمة؟ قال: «كانت في حَقَّةٍ تحت ساق العرش» قالوا: يا نبي الله، فما كان طعامها؟

قال: «التسبيح والتهليل والتحميد. فلما خلق الله ﷻ آدم وأخرجني من ضلّبه، أحبّ الله ﷻ أن يخرجها من ضلبي؛ جعلها تفاحةً في الجنة وأتاني بها جبريل عليه السلام، فقال لي: السّلام عليك ورحمة الله وبركاته يا محمد، قلت: وعليك السّلام ورحمة الله حبيبي جبرئيل. فقال: يا محمد إن ربّك يُقرئك السّلام، قلت: منه السّلام وإليه يعود السّلام، قال: يا محمد، إن هذه تفاحة أهداها الله ﷻ إليك من الجنة. فأخذتها وضَمَمْتُها إلى صدري. قال: يا محمد، يقول الله ﷻ كُلُّهَا! فَفَلَقْتُهَا فرأيت نوراً ساطعاً ففرعتُ منه، فقال: يا محمد ما لك لا تأكل؟ كُلُّهَا ولا تَخَفْ؛ فإن ذلك النور: المنصورة في السماء، وهي في الأرض: فاطمة. قلت: حبيبي جبرئيل، وَلِمَ سُمِّيَتْ في السماء: (المنصورة)، وفي الأرض: (فاطمة)؟ قال: سُمِّيَتْ في الأرض (فاطمة) لأنها فَطَمَتْ شيعتها من النار، وَفُطِمَ أعداؤها عن حبّها! وهي في السماء: (المنصورة)؛ وذلك قول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَذِ يَقْرُحُ الْمُؤْمِنُونَ • يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الروم: ٤ - ٥]

يعني نصر فاطمة لمحبيها»^(١).

(١) معاني الأخبار، ص ٣٩٦ - ٣٩٧؛ السّنة النبوية وعلومها بين أهل السّنة والشيعة الإمامية، للدكتور عدنان زرزور، ص ٤١٨ - ٤١٩.

٤ - عن أنس بن مالك قال: (كنتُ قاعداً عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فعَشِيَهُ الوحي، فلما سُرِّي عنه قال: «يا أنس، أتدري ما جاءني به جبرئيلُ من عند صاحب العرشِ؟» قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: «إن الله تعالى أمرني أن أزُوجَ علياً من فاطمة»^(١).

حديث موضوع، حكم بوضعه ابن الجوزي والسيوطي وابن عَرَّاق والشُّوكاني والألباني وغيرهم.

٥ - قال أبو بكر محمد بن حَيَّوِيَه: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبَرِيُّ، أخبرنا عبد الرزاق بن هَمَّام، حدثني أبي، عن ميناء بن أبي ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف قال: (خُذُوا عَنِّي قبل أن تُشَابَ الأحاديثُ بالباطيل؛ سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: «أنا الشجرةُ، وفاطمة فرعُها، وعليُّ لِقَاحُها، والحسن والحسين ثمرُها، وشيعتُنا ورقُها، وأصلُ الشجرة في جنة عَدْن، وسائرُ ذلك في سائر الجنة»^(٢).

(١) الموضوعات، لابن الجوزي: ٤١٥/١ - ٤١٨؛ اللآلئ المصنوعة:

٢٠٥/١؛ تنزيه الشريعة: ٤١٠/١ - ٤١١؛ الفوائد المجموعة، ص ٣٩٠؛

السلسلة الضعيفة (١٨٤٥)؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٧٧/١١ - ٤٧٨.

(٢) المستدرک: ١٦٠/٣؛ تنزيه الشريعة: ٤١٤/١. وهو في كتب الشيعة:

بصائر الدرجات، ص ٩١ - ٩٣؛ أمالي المفيد، ص ٢١٥، المجلس

(٢٨)، الحديث (٥)، وبنحوه في: أصول الكافي، ص ١٢٧.

وقد اشتد الذهبي على الحاكم لإيراده أمثالَ هذا الخبر الموضوع في «المستدرک على الصحيحين»، وكذلك أنكر قوله بأن (ميناء)^(١) صحابي سمع من النبي ﷺ، فقال: (قلت: ما قال هذا بشرٌ سوى الحاكم، وإنما ذا - أي ميناء - تابعي ساقط، وقال أبو حاتم: كذاب يكذب، وقال ابن معين: ليس بثقة. ولكن أظن أن هذا وُضع على الدَّبري، فإن ابن حَيَّوَيْه متَّهم بالكذب! أفما استحييتَ أيها المؤلف أن تورِد هذه الأخلوقات من أقوال الطُّرقيّة فيما يُستدرک على الشيخين؟!)^(٢).

٦ - عن أبي ذرِّ الغِفاري قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ أهل بيتي كمثل سفينة نوح: مَنْ ركب فيها نَجَا، وَمَنْ تخَلَّفَ عنها غَرِقَ، وَمَنْ قَاتَلَنَا في آخر الزمان كمن قاتل مع الدَّجَال»^(٣).

(١) هو ممن يروي عن الصحابة، متهم بالكذب، وترجمته مظلمة في كتب «المترولين والوضاعين».

(٢) تلخيص المستدرک: ١٦٠/٣.

(٣) المعجم الكبير، للطبراني: ٣٧/٣، ٣٨، ١٢/٣٤؛ المستدرک: ٣٤٣/٢،

١٥٠/٣ - ١٥١؛ ضعيف الجامع الصغير (١٩٧٤) و(٥٢٤٧)؛ مشكاة

المصابيح: ١٧٤٢/٣؛ مجمع الزوائد: ١٦٨/٩.

قال الذهبي: فيه مفضل بن صالح، وإيه، وقال الهيثمي: فيه متروكان، وضَعَفَه الألباني في «ضعيف الجامع»، وقال في تحقيق «المشكاة»: إسناده وإيه.

٧ - روى خالد بن عمرو الحمصي، عن عُبَيْد الله بن موسى، حدثنا سفيان الثوري، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود قال: (أصابَ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله صبيحة العرس رِغْدَةً، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة، إني رَوَّجْتُكَ سيداً في الدنيا، وإنه في الآخرة لمن الصالحين، يا فاطمة إني لَمَّا أردْتُ أَنْ أُمَلِّكَ لِعَلِّي: أمر الله جبريلَ فقام في السماء الرابعة فصَفَّ الملائكة صفوفاً ثم خطب عليهم جبريل فزَوَّجَكِ من علي! ثم أمر شجرَ الجنان فحملتِ الحُلي والحُلل، ثم أمرها فنثرتْه على الملائكة، فمن أخذ منهم يومئذٍ أكثر مما أخذ صاحبه أو أحسنَ افتخرَ به إلى يوم القيامة!» قالت أم سلمة: فلقد كانت فاطمة تفخر على النساء حيث أول من خطب عليها جبريل^(١).

(١) تاريخ بغداد: ١٢٩/٤، ترجمة (١٨٠٥)؛ الموضوعات، لابن الجوزي:

٤١٩/١؛ تنزيه الشريعة: ٤١٦/١ - ٤١٧؛ ميزان الاعتدال: ٦٣٧/١

ترجمة خالد بن عمرو؛ منهاج السُّنة: ٥٢٣/٤.

قال الخطيب البغدادي بعد روايته هذا الحديث: غريب جداً. وقال ابن الجوزي في «الموضوعات»: موضوع، والمتهم به خالد بن عمرو الحمصي. وقال ابن تيمية في «منهاج السنة»: وهذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث. وذكره الذهبي في «الميزان» في ترجمة خالد بن عمرو، وقال: هو من بلاياه، وهو حديث كذب!

٨ - عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «سألتُ ربي ﷻ أن لا يُدْخِلَ أحداً من أهل بيتي النارَ، فأعطانِيهَا»^(١). فيه أبو حمزة الثُمالي: ليس بثقة، ومحمد بن يونس الكُذِّمِي: وضاع.

قال الألباني: حديث موضوع.



(١) فردوس الأخبار، للدبلمي: ٤٢٩/٢، حديث (٣٢٢٢)؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٢٩/١١؛ ضعيف الجامع (٣٢٢٣)؛ السلسلة الضعيفة (٣٢٢).

المبحث الثاني

بعض البلايا التي جاءت في كتب الرافضة

بشأن فاطمة وعلي وأهل البيت

أولاً: حديث الطينة^(١):

روى الكليني بسنده في «الكافي»: عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام، قال: سمعته يقول: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ نُورِ عَظْمَتِهِ، ثُمَّ صَوَّرَ خَلْقَنَا مِنْ طِينَةٍ مَخْزُونَةٍ مَكْنُونَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، فَأَسْكَنَ ذَلِكَ النُّورَ فِيهِ، فَكُنَّا نَحْنُ خَلْقًا وَبَشَرًا نُورَانِيَيْنِ، لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ الَّذِي خَلَقَنَا مِنْهُ نَصِيبًا. وَخَلَقَ أَرْوَاحَ شِيعَتِنَا مِنْ طِينَتِنَا، وَأَبْدَانَهُمْ مِنْ طِينَةٍ مَخْزُونَةٍ مَكْنُونَةٍ أَسْفَلَ ذَلِكَ! الطِّينَةُ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ الَّذِي خَلَقَهُمْ مِنْهُ نَصِيبًا إِلَّا لِلْأَنْبِيَاءِ، وَلِذَلِكَ صِرْنَا نَحْنُ وَهُمْ النَّاسُ، وَصَارَ سَائِرُ النَّاسِ - بَاقِيَهُمْ - هَمَجًا لِلنَّارِ وَإِلَى النَّارِ).

(١) انظر: أصول الكافي، باب خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم عليهم السلام، ص ٢٣١، وكتاب الإيمان والكفر، باب طينة المؤمن والكافر، ص ٣٣٠ - ٣٣٥؛ بصائر الدرجات، باب فيه خلق أبدان الأئمة عليهم السلام وقلوبهم وأبدان الشيعة وقلوبهم، ص ٤٥ - ٥١؛ الوافي، للفيض الكاشاني: ٣٠٧/٢، الحديث (٧٦٢)، ٤٩٣/٣، الحديث (٩٩٥)، ٦٨٤ - ٦٨٥، الحديثان (١٢٨٨، ١٢٨٩)؛ بحار الأنوار: ٢٢٩/٥ - ٢٤٨؛ الأنوار النعمانية: ٢٨٧/١؛ أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٦٠١/٢ - ٦٠٧.

وهذا النص يدل على أن (الطِّينَات ثلاث): أعلاهن خُلِقَ منها الأئمة، والتي بعدها خُلِقَ منها شيعةُ الأئمة والأنبياء، فالأئمة فوق الأنبياء بحكم الخَلْق والتكوين! وأدنى الطينَات خُلِقَ منها بقية الناس!.

ويحدثنا الكليني في الحديث الذي يلي هذ الحديث في «الكافي» عن عشر طينات لا عن ثلاث فقط!.

روى الكليني بسنده في «الكافي»: عن علي بن رثاب، رفعه إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: (إنَّ الله نَهراً دُونَ عرشه، ودُونَ النهر الذي دُونَ عرشه: نورٌ نَوَّرَه، وإنَّ في حافتي النهر روحينِ مخلوقين: روحُ القُدُس، وروحٌ من أمرِه. وإنَّ لله عَشْرَ طيناتٍ: خمسة من الجنة، وخمسة من الأرض)، ففسَّر الجنان وفسَّر الأرض! ثم قال: (ما من نبيٍّ ولا مَلَكٍ من بعده جَبَلَه إلا نَفَخَ فيه من إحدى الروحين، وجعل النبي ﷺ من إحدى الطِّينتين)، قلتُ لأبي الحسن الأول عليه السلام: ما الجَبَلُ؟ قال: (الخلقُ غيرنا أهلَ البيت، فإنَّ الله ﷻ خَلَقْنَا من العشر طيناتٍ، ونَفَخَ فينا من الروحين جميعاً، فأطِيبَ بها طيباً). وفي بصائر الدرجات: (فأطِيبُهُما طِيبُنا).

وروى غيره: عن أبي الصامت قال: (طِيبُ الجنانِ: جنة عَدْن وجنة المأوى وجنة النعيم والفردوس والخُلْد. وطِيبُ الأرض: مكة والمدينة والكوفة وبيت المقدس والحائر).

وروى الكليني بسنده: عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعتُ علي بن الحسين عليهما السلام يقول: (إن الله تعالى خلق محمداً وعلياً وأحدَ عشر من ولده؛ من نور عظمتِه، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبحون الله ويقدّسونه. وهم الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله).

وساق المحدث الحجة عبد الله شُبّر (حديث الطينة) في عشر صفحات، واستهلَّ به كتابه المشهور: «مصاييح الأنوار في حل مشكلات الأخبار».

قلت: هذه (الأحاديث المتواترة معنوياً) عند الرفضية، والتي تُعتبر من أصولهم، وجاءت في أهم كتبهم وأصحّها؛ تصادم الآيات القرآنية والسُنّة النبوية الصحيحة، التي حدّثنا عن خلق الإنسان، كما أنها تصادم العقل والواقع؛ فكل البشر خُلِقوا لآدم، وآدم من تراب، و(الأئمة المزعومون) وُلِدوا لآباء، وأمّهات، ولهم تواريخ ميلاد ووفاة، وسيّد ولد آدم محمد صلى الله عليه وآله تقلّب في رحم أمّه مثل بقية البشر، وولدتُه امرأة كانت تأكل القديد بمكة!.

ويوجد نحو هذا الخبر المكذوب في (كتب الموضوعات)، ذكر ابن عَرّاق إحدى رواياته في «تنزيه

الشريعة»، وذكره الذهبي في «الميزان» وقال: حديث موضوع، وقال في موضع آخر: خبر باطل^(١).

ثانياً: الأئمة ونور الله^(٢):

روى الكليني بسنده إلى الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال: (قال الله تبارك وتعالى: يا محمد إني خلقتك وعلياً نوراً، يعني روحاً بلا بدن، قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعزشي وبحري، فلم تزل تهللني وتمجّدي، ثم جمعتُ روحيكما فجعلتهما واحدة، فكانت تمجّدي وتقّديني وتهللني. ثم قسمتها ثنتين، وقسمتُ الثنتين اثنتين فصارت أربعة: محمد واحد، وعلي واحد، والحسن والحسين ثنتان. ثم خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحاً بلا بدن، ثم مسحها بيمينه فأفضى نورُها فينا).

قال الفيض الكاشاني: (ثم) في قوله: (ثم جمعت رُوحيكما) ليست للتراخي في الزمان، بل في المرتبة.

وفي (باب أن الأئمة عليهم السلام نورُ الله ﷻ)، روى

(١) تنزيه الشريعة: ٤١٩/١؛ ميزان الاعتدال: ٢٣/٣، ١٥٩.

(٢) أصول الكافي، كتاب الحجّة، باب مولد النبي ﷺ ووفاته، ص ٢٦٣؛

الوافي، للفيض الكاشاني: ٦٨٠/٣، الحديث (١٢٨٠).

الكُليني بسنده: عن صالح بن سَهْل الهَمْداني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ﴾ فاطمة عليها السلام، ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ الحسن، ﴿الْيَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ الحسين، ﴿الرُّجَاجَةُ كَأَنهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ فاطمة كوكبٌ دُرِّيٌّ بين نساء أهل الدنيا، ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾ إبراهيم عليه السلام، ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهودية ولا نصرانية، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ يكاد العلم يتفجر بها، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ إمامٌ منها بعد إمام، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يهدي الله للأئمة من يشاء، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ﴾. قلت: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾؟ قال: الأولٌ وصاحبه! ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ الثالث! ﴿مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ الثاني! ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ معاويةٌ وفتنُ بني أمية! ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ﴾ المؤمن في ظلمة فتنهم، ﴿لَمْ يَكْدِ يَرْتَهُ﴾ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا ﴿إِمَامًا مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ إمام يوم القيامة^(١).

(١) أصول الكافي، كتاب الحجة، ص ١١١. قوله (الأول): يعني أبا بكر الصديق. (وصاحبه) و(الثاني): يعني الفاروق عمر. و(الثالث): أي ذو النورين عثمان!.

ثالثاً: علم الأئمة^(١):

عن سيف التمار قال: (كنا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الججر، فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً، فقلنا: ليس علينا عين، فقال: ورب الكعبة ورب البينة - ثلاث مرات - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتكما أنني أعلم منهما، ولأنبأتكما بما ليس في أيديهما؛ لأن موسى والخضر أُعطيَا علم ما كان ولم يُعطيَا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وإنَّ رسولَ الله ﷺ أُعطي علم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، وقد ورثناه من رسول الله ﷺ وراثته!).

وعن يونس بن يعقوب، عن الحارث بن المغيرة، وعدة من أصحابنا منهم عبد الأعلى وأبو عبيد وعبد الله بن بشر الخثعمي؛ سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إنِّي لأعلم ما في السموات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون!) قال: ثم مكث هنيهة فرأى أن

(١) أصول الكافي، كتاب الحجة، ص ١٤٩؛ بصائر الدرجات، ص ١٦١ - ١٦٢. وفيهما - وفي غيرهما - أخبار كثيرة مذهلة في هذا الباب ونظائره، تعطي الأئمة مشاركة الله سبحانه في كثير من صفات الألوهية!.

ذلك كَبُرَ عَلَى مَنْ سَمِعَهُ مِنْهُ، فَقَالَ: (عَلِمْتُ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَعَلَيْكَ، إِنْ اللَّهُ وَعَلَيْكَ يَقُولُ: ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

رابعاً: الصلاة في بيت فاطمة أفضل من الصلاة في الروضة^(١):

عن يونس بن يعقوب قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الصلاة في بيت فاطمة عليها السلام أفضل أو في الروضة؟ قال: في بيت فاطمة عليها السلام).

وعن جميل بن درّاج قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الصلاة في بيت فاطمة عليها السلام مثل الصلاة في الروضة؟ قال: وأفضل).

خامساً: فاطمة كمثّل حبة أنبت سبع سنابل:

روى العياشي في «تفسيره» عن الْمُفَضَّلِ الْجُعْفِيِّ قَالَ: (سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ وَعَلَيْكَ: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]؟ قَالَ: الْحَبَّةُ فَاطِمَةُ، وَالسَّبْعُ السَّنَابِلُ مِنْ وَلَدِهَا، سَابْعُهُمْ قَائِمُهُمْ! قلت: الحسن؟ قال: الحسن إمام من عند الله تعالى مُفْتَرَضٌ طَاعَتُهُ، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنَ السَّنَابِلِ السَّبْعَةُ، أُولَهُمُ الْحُسَيْنُ وَآخَرُهُمُ الْقَائِمُ!

(١) الوافي، للفيض الكاشاني: ١٣٦٥/١٤، الحديثان (١٤٤٠٦ و ١٤٤٠٧).

فقلت: قوله: ﴿فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ﴾؟ فقال: يُؤَلَدُ للرجل منهم في الكَرَّةِ مئة من ضُلْبِهِ، وليس ذلك إلا لهؤلاء السبعة! ^(١).

قلت: عددُ الأئمة من (الحسين) إلى صاحب الزمان (القائم) عشرة، فهل أسقط بعضهم ليستقيم له التفسير؟!.

هذا والكلام حول (دين الرافضة وأصولهم وتفسيراتهم وتأويلاتهم)؛ لا نهاية له ولا قرار، ولا يَحْتَمِلُهُ نصٌّ ولا يَقْبَلُهُ بحث ناقد ولا يُسَيِّغُهُ عقلٌ سليم، وحسبنا هذه الإلماعة التي تناسب هذا الكتاب، ومن أراد المزيد وإضاعة الوقت وتأكد لديه الحفاظُ على سلامة عقله وذوقه؛ فدونه كتب القوم من المتقدمين والمتأخرين، ولينظر أيضاً ما كتبه بعض المصنِّفين والباحثين من أهل السُّنَّة، مثل: كُتُبِ إحسانِ إلهي ظهير، و«أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية» للدكتور ناصر بن عبد الله القفاري، و«السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السُّنَّة والشيعة الإمامية» للدكتور عدنان زرزور.



(١) انظر: مصابيح الأنوار، لِشَيْخِ: ٤١٨/٢ - ٤١٩.

الباب الثامن

الزهراء مع النبي ﷺ في أيامه الأخيرة

- منزلة الرسول ﷺ من قلب فاطمة والصحابية،
وهول الفاجعة بوفاته.
- إرغاصات وفاة رسول الله ﷺ، وعلم السيدة
فاطمة بها.
- حزن السيدة الزهراء على أبيها ﷺ.



الفصل الأول

منزلة الرسول ﷺ من قلب فاطمة والصحابة، وهول الفاجعة بوفااته

•• عاش رسول الله ﷺ مع الصحابة ثلاثاً وعشرين سنة، كان فيها روح حياتهم ومِلءٌ أبصارهم وأسماعهم، وهاديهم ومعلّمهم ومربيهم وقائدهم وإمامهم، ومهبط الوحي الأمين، وصلة الأرض بالسماء، ومنبع الخير والهداية والعرفان والبر والرحمة... وأمضوا حياتهم في تلك النعم الممدودة، حتى لم يتخيّلوا أن يعيشوا دونها.

هذا شأن الناس جميعاً مع رسول الله ﷺ ومنزلته من أرواحهم وقلوبهم وحياتهم، أما حال السيدة الزهراء فذلك كله وزيادة أنه أبوها الذي عاشت في كنف رحمته ومحبه ورعايته وتربيته كل ساعة ودقيقة من عمرها المبارك، مذ وُلدت وإلى أن تزوجت وصارت أمّاً لريحانتيه ﷺ؛ فكان كلّ حياتها وحياء أولادها الأطهار، وإن فراقه لأمرٍ فوق الطاقة والتحمل، وغيبته عن مسرح الوجود الدنيوي مصيبةٌ دونها كل مصيبة.

ولقد كانت هناك إرهاصات بدنو أجل رسول الله ﷺ، كما أوماً هو ﷺ في غير ما حديث إلى أنه قد أدى الأمانة تامة على وجهها، وأيامه تؤذن بالرحيل إلى دار الخلود، وعلمت فاطمة ذلك، كما علمه كثير من الأصحاب عليهم السلام.

ولكن لما وقع الحدث الجلل وأسدل القدر على الحياة رداءً من الحزن البائع، وودّع المصطفى ﷺ هذه الحياة ولحق بالرفيق الأعلى؛ كان امتحاناً مريعاً فوجئ به المؤمنون فسأل أرواحهم من أبدانهم، وخلع قلوبهم من صدورهم، وأضفى عليهم الذهول والحيرة، وطاشت من هول الخطب العقول، وضمت الأذان، وغارت الأبصار، واختلجت البصائر، وأظلمت الدنيا في وجوه المؤمنين^(١)!

•• ووفاته ﷺ - بأبي هو وأمي - كانت أعظم مصيبة أصيب بها المسلمون، وأشدّها وقعاً على قلوبهم، وأعظمها رُزواً عليهم! بل إن النبي ﷺ قد أشار إلى ذلك فيما ترويّه السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (فتح رسول الله ﷺ باباً بينه وبين الناس - أو: كشف سترأ - فإذا الناس يُصلُّون وراء أبي بكر، فحمد الله على ما رأى من حسن حالهم، ورجاء أن يخلفه الله فيهم بالذي رأهم، فقال: «يا أيها الناس! أيما أحد

(١) انظر: حياة رجالات الإسلام، للصادق عرجون، ص ٧٤ - ٧٥.

من الناس - أو: من المؤمنين - أُصِيبَ بمصيبةٍ؛ فَلَيْتَعَزَّ بمصيبته
بي عن المُصِيبَةِ التي تُصِيبُه بغيري، فإنَّ أحداً من أمتي لن
يُصَابَ بمصيبةٍ بعدي أشدَّ عليه من مُصِيبَتِي»^(١).

قال المُناوي: (مقصودُ الحديث: أنَّ تذكُّرَ المصائبِ وقوْعَ
المصيبةِ العظمى العامة بِفَقْدِ المصطفى ﷺ؛ يهَوِّنُ عليه
ويُسَلِّيه)^(٢).

●● حقّاً لقد كان هول الفاجعة عظيماً على قلب فاطمة
البتول وقلوب الصحابة جميعاً، حتى لقد أظلمت المدينة في
أَعْيُنِهِمْ، بل الكون كله، وحقّ لهم ذلك، وقد عبّر أنس بن
مالك رضي الله عنه عن تلك الساعات الرهيبة؛ فقال: (لمّا كان اليومُ
الذي دَخَلَ رسولُ الله ﷺ فيه المدينة، أضاءَ منها كلُّ شيءٍ! فلما
كان اليومُ الذي مات فيه؛ أَظْلَمَ منها كلُّ شيءٍ، وما نَقَضْنَا عن
النبي ﷺ الأيدي، وإنّا لفي دَفْنِهِ، حتى أنْكَرْنَا قُلُوبَنَا!)^(٣).

(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٩٩)؛ وصححه الألباني بشواهد في «الصحيحة»

(١١٠٦)، وصحيح ابن ماجه.

(٢) فيض القدير: ٢٨٦/١.

(٣) أخرجه أحمد (١٣٣١٢)؛ والترمذي (٣٩٤٦)؛ وابن ماجه (١٦٣١)؛

وابن حبان (٦٦٣٤)، وقال الترمذي: حديث صحيح غريب، وصححه
الألباني وشعيب الأرناؤوط.

وتصوّر لنا أم أيمن عليها السلام حاضنته صلى الله عليه وآله مدى حزنها وسببه، فترى من خلال كلماتها القليلة العميقة جلاله الفهم، ورقة المشاعر، وأشواق الروح التي كان عليها ذلك الجيل العظيم من الصحابة رجالاً ونساءً.

عن أنس قال: (قال أبو بكر رضي الله عنه - بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله - لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يزورها. فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يُبكِك؟ ما عند الله خيرٌ لرسوله صلى الله عليه وآله! فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خيرٌ لرسوله صلى الله عليه وآله، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء! فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا!)^(١).



(١) أخرجه مسلم (٢٤٥٤)؛ وابن ماجه (١٦٣٥)؛ وابن سعد: ٢٢٦/٨.

الفصل الثاني

إرهاصات وفاة رسول الله ﷺ ، وعلم السيدة فاطمة بها

عن هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ فَقَالَ: «إِنَّهُ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي» فَبَكَتْ، فَقَالَ لَهَا: «لَا تَبْكِي، فَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِي لِأَحَقِّ بِي» فَضَحِكَتْ^(١).

وعن عبد الله بن وهب بن زَمْعَةَ الْأَسَدِيِّ: أَنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أُمَّ سَلَمَةَ أَخْبَرَتْهُ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا فَاطِمَةَ عَامَ الْفَتْحِ، فَنَاجَاهَا فَبَكَتْ، ثُمَّ حَدَّثَهَا فَضَحِكَتْ! قَالَتْ: فَلَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهَا عَنْ بُكَائِهَا وَضَحِكِهَا؟ قَالَتْ: أَخْبَرَنِي

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٩٠٣) و(١١٩٠٤)؛ وبنحوه النسائي في «الكبرى» (١١٦٤٨)؛ وذكره الهيثمي في «المجمع»: ٢٣/٩ وعزاه للطبراني في «الكبير والأوسط»، وقال: رجاله رجال الصحيح، غير هلال بن خباب وهو ثقة وفيه ضعف. وانظر: صحيح ابن حبان (٧٢٩٨).

رسول الله صلى الله عليه وآله أنه يموت، فبكيتُ، ثم أخبرني أني سيّدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران، فضجّكتُ^(١).

وعن أم المؤمنين عائشة قالت: (لَمَّا مَرَضَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله دَخَلَتْ فَاطِمَةُ، فَأَكْبَتُ عَلَيْهِ فَقَبَّلَتْهُ، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا فَبَكَّتْ، ثُمَّ أَكْبَتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا فَضَجَّكْتُ! فَقُلْتُ: إِنَّ كُنْتُ لِأُظْنُ أَنْ هَذِهِ مِنْ أَعْقَلِ نِسَائِنَا، فَإِذَا هِيَ مِنَ النِّسَاءِ. فَلَمَّا تَوَفَّى النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله قُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ حِينَ أَكْبَيْتِ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَرَفَعْتَ رَأْسَكَ فَبَكَيْتِ، ثُمَّ أَكْبَيْتِ عَلَيْهِ فَرَفَعْتَ رَأْسَكَ فَضَجَّكْتُ، مَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَتْ: إِنِّي إِذَا لَبَذَرَةً، أَخْبَرَنِي أَنَّهُ مَيِّتٌ مِنْ وَجَعِهِ هَذَا فَبَكَيْتُ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنِّي أَسْرَعُ أَهْلِهِ لِحَقَاقٍ بِهِ، فَذَاكَ حِينَ ضَجَّكْتُ^(٢)).



(١) أخرجه الترمذي (٤٢١١) و(٤٢٣١)؛ والنسائي في «الكبرى» (٨٤٦٠)؛ وأبو يعلى (٦٧٤٣) و(٦٨٨٦)، وقال الترمذي: حسن غريب، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٢) أخرجه الترمذي (٤٢١٠). وتقدم من طريق أخرى مطولاً في الصحيحين وغيرهما؛ انظر: ص ١٨١ - ١٨٢ حاشية (١) في هذا الكتاب. لَبَذَرَةٌ: الْبَذَرُ: الَّذِي يُفْشِي السَّرَّ وَيُظْهِرُ مَا يَسْمَعُهُ.

الفصل الثالث

حزن السيدة الزهراء على أبيها ﷺ

• عاينت السيدة البتول اللحظات الأخيرة الرهيبة في حياة الرسول الأعظم ﷺ، ورأته وهو يعاني غمرات الموت وشدائده، وهو ما وصفته أم المؤمنين عائشة وقد مات ورأسه الشريف بين حنكها وصدرها ﷺ ورضي عنها.

تقول الصديقة عائشة: (مات النبي ﷺ وإنه لبين حاققتي وذاقتي، فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ).

وفي رواية: (وبين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات»! ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده^(١)).

وذلك لأن له بسبب الألم الشديد مضاعفة في الأجر، كما

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٦، ٤٤٤٩) وأطرافه في (٨٩٠)؛ ومسلم

(٢٤٤٣)؛ وابن حبان (٧١١٦)، وغيرهم. الحاقنة: الوهدة المنخفضة

بين الترقوتين. الذاقنة: الذقن، وقيل: ما يناله الذقن من الصدر.

جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يُوعَكُ، فَمَسَسْتُهَ بيدي، فقلتُ: يا رسولَ الله، إنك لَتُوعَكُ وَعَكاً شديداً! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَجَلٌ، إني أُوعَكُ كما يُوعَكُ رجلانِ منكم» قال: فقلت: ذلك أنَّ لك أَجْرَيْنِ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَجَلٌ». ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من مسلم يُصيبه أذى من مرضٍ فما سواه، إلا حَطَّ الله به سيئاته، كما تَحُطُّ الشجرةُ ورقها»^(١).

رأت فاطمة أباهَا وقَرَّةَ عينها وهو يعاني من تلك الآلام وذاك الكرب، فحزنت لذلك، وراحت تخاطبه بقلبٍ واجفٍ يفيض شفقةً ورحمةً وحبًّا، مع الألم الصامت الذي يجيش في صدرها وتغشى معالمه وجهها وكيانها، وقد روى أنس بن مالك ذلك المشهد فقال:

(لَمَّا تَغَشَّى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم الْكَرْبُ كَانَ رَأْسُهُ فِي حَجْرٍ فَاطِمَةُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاکْرَبَاهُ لِكَرْبِكَ الْيَوْمَ يَا أَبَتَاهُ! فَرَفَعَ رَأْسَهُ صلى الله عليه وآله وسلم وَقَالَ: «لَا كَرْبَ عَلَيَّ أَبْيَكِ بَعْدَ الْيَوْمِ يَا فَاطِمَةُ». فَلَمَّا تَوَفَّى قَالَتْ فَاطِمَةُ: وَأَبْتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، وَأَبْتَاهُ مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ، وَأَبْتَاهُ إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، وَأَبْتَاهُ إِلَى جَبْرِيلَ

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٧، ٥٦٤٨)؛ ومسلم (٢٥٧١). الوعك: الحمى، وقيل: ألمها.

أَنْعَاءُ. قال أنس: فلما دَفَنَاهُ مررتُ بمنزل فاطمة، فقالت: يا أنس، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الترابَ؟! ^(١).

قال الحافظ: (أشارت عليها السلام بذلك إلى عتابهم على إقدامهم على ذلك؛ لأنه يدل على خلاف ما عرفته منهم من رقة قلوبهم عليه لشدة محبتهم له، وسكت أنس عن جوابها رعاية لها، ولسان حاله يقول: لم تطب أنفسنا بذلك، إلا أنا فَهَرْنَاها على فعله امتثالاً لأمره) ^(٢).

وهذا الموقف قد أبكى الصحابة وخلع أفئدتهم، بل وتعدّاهم إلى التابعين، فكان الواحد منهم يبكي حتى تختليج أضلاعه لمجرد أن يروي هذا الحديث، فما بالك لو شاهد الموقف الرهيب؟!.

فقد روى هذا الحديث: حماد بن زيد، عن ثابت البُنّاني، عن أنس، وفي آخره: (قال حماد: فرأيتُ ثابتاً حين حَدَّثَ بهذا الحديث بكى حتى رأيتُ أضلاعه تَخْتَلِفُ) ^(٣).

•• وبَلَغَ من حزنها على أبيها ﷺ ورضي عنها: أنها لم تُرْ ضاحكةً بعده حتى لَحِقَتْ بالله ﷻ.

(١) أخرجه البخاري (٤٤٦٢)؛ وابن ماجه (١٦٣٠)؛ وأحمد (١٣١١٧)؛ وابن حبان (٦٦٢٢) واللفظ له.

(٢) الفتح: ٧٩٧/٩، شرح الحديث (٤٤٦٢).

(٣) سنن ابن ماجه (١٦٣٠)؛ وبنحوه عند الدارمي (٨٧).

روى يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث قال:
(مكثت فاطمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر وهي تذوب!)^(١).

وقال أبو جعفر الباقر: (مكثت فاطمة بعد النبي صلى الله عليه وآله ثلاثة أشهر - وفي رواية: ستة أشهر، وهو الصواب - وما رُئيَتْ عليها السلام ضاحكة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أنهم قد امتزوا في طَرْفِ نابها يوماً!)^(٢). أي: إنها تبسَّمت في أحدِ الأيام فظهر طرفُ نابها، وهم في شكٍّ من وقوع ذلك منها!.

ويُنسب إليه أنها أخذت تربةً من تراب رسول الله صلى الله عليه وآله وشمَّت، ثم أنشدت:

ماذا على مَنْ شَمَّ تربةَ أحمدٍ أن لا يَشُمَّ مدى الزمانِ غَواليا
صُبَّتْ عليَّ مصائبٌ لو أَنَّها صُبَّتْ على الأيامِ صِرْنَ لِياليا^(٣)!

ومما عَزِيَّ إليها من قولها في أبيها صلى الله عليه وآله:

اغْبِرْ آفاقَ السماءِ وكُوِّرَتْ شمسُ النهارِ وأظْلَمَ العَصْرانِ

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي - عهد الخلفاء الراشدين، ص ٤٧؛ سير أعلام النبلاء: ١٢٨/٢.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير»: ٣٩٩/٢٢؛ وابن سعد: ٢٤٨/٢، ٣١٢؛ وأبو نعيم في «الحلية»: ٤٣/٢. وقال الهيثمي في (المجمع: ٢١٢/٩): رجاله رجال الصحيح. قلت: وفيه انقطاع، الباقر لم يدرك فاطمة.

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٣٤/٢، وقال الذهبي: لا يصح.

والأرض من بعد النبي كئيبةً أسفاً عليه كثيرة الأحزان
فَلْيَبْكِه شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا وَلْتَبْكِه مَضَرٌّ وَكُلُّ يَمَانٍ
وَلْيَبْكِه الطَّوْدُ الْأَشْمُ وَجَوْهُ وَالْبَيْتُ ذُو الْأَسْتَارِ وَالْأَرْكَانِ
يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ الْمُبَارَكِ ضَوْءَهُ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْزَلُ الْقُرْآنِ^(١)

غير أن حزن السيدة البتول على أبيها رسول الله ﷺ لم يتجاوز الحدَّ الشرعي الذي تعلَّمته من هديه ﷺ، وهي أولى الناس بملازمته، ولم تفعلْ ما تفتريه الرافضة عليها وعلى زوجها عليٍّ عليه السلام؛ من أنها كانت تأخذ بالبكاء والعيول ليلها ونهارها! حتى ضجَّ الصحابة من ذلك لأنهم لا يهناً لهم نوم من ذلك، مما اضطر عليّاً إلى أن ييني لها (بيت الأحزان) في البقيع، فكانت تأخذ ولدَيْها الحسن والحسين إليه وتبكي بين القبور منذ الصباح إلى الليل، فيأتي عليٌّ ويعيدها إلى منزلها! وزعم بعضهم أن آية الله العظمى عبد الحسين شرف الدين الموسوي قد تشرف بزيارته سنة (١٣٣٩هـ)^(٢)!



(١) معجم النساء الشاعرات، ص ٢٦؛ فاطمة بنت محمد ﷺ قدوة النساء، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢) انظر: بحار الأنوار: ١٧٥/٤٣ - ١٧٨؛ وسائل الشيعة، باب (٨٧)، أبواب الدفن من كتاب الطهارة؛ فاطمة الزهراء من الميلاد وحتى الاستشهاد، للسيد جواد الصافي الموسوي، ص ٦٩ - ٧٥.

الباب التاسع

السيدة فاطمة هي خلافة الصديق

- مسألة ميراث النبي ﷺ (خلافة المألة والأحاديث الواردة فيها).
- بين أبي بكر الصديق وفاطمة الزهراء.
- أبو بكر قام بإدائه حق آل البيت حسب الشرع، وعمله هو الشئ، وأجمع عليه الصحابة، وامتنحه آل البيت.
- رواية فخران فاطمة أبا بكر فخرجة في الحديث، وهي مسألة ضعيفة.
- كثرة افتراءات الرافضة قديماً وحديثاً.



الفصل الأول

مسألة ميراث النبي ﷺ (خلاصة المسألة والأحاديث الواردة فيها)

تمهيد:

قدّمنا كلمة موجزة عن العلاقة الطيبة والإجلال الكبير لآل البيت وخاصة السيدة البتول الزهراء؛ من قبل جميع الصحابة وعلى رأسهم الخليفان أبو بكر وعمر، وأوضحنا ذلك وأكدناه مراراً في كتبنا عن (الخلفاء الراشدين الأربعة).

وقد أفردنا هذا الباب لبيان وجه الحق وإزالة اللبس وتزيف الأكاذيب التي اختلقت بشأن قصة (ميراث النبي ﷺ)، ورغبة السيدة فاطمة في أخذ نصيبها منه ومنع أبي بكر لها، وما تسبّب عنه من سوء العلاقة بينها وبين خليفة رسول الله ﷺ، حسب ما زعمه الزاعمون!.

أولاً: خلاصة المسألة^(١):

قال القاضي عياض في تفسير صدقات النبي ﷺ المذكورة

(١) انظر بتوسع: منهاج السنة النبوية: ٦٣٧/٢ - ٦٧٨؛ ومختصره:

«المنتقى»، للذهبي، ص ٢٠٦ - ٢٢٣.

في أحاديث: «لا نُورَثُ، ما تركنا فهو صدقة»، قال: صارت إليه بثلاثة حقوق:

أحدها: ما وُهب له صلى الله عليه وآله، وذلك: وصية مُخَيَّرِيق اليهودي عند إسلامه يوم أُحُد، وكانت سبع حوائط - أي: بساتين - في بني النَّضِير، وما أعطاه الأنصار من أرضهم وهو ما لا يبلغه الماء، وكان هذا ملكاً له صلى الله عليه وآله.

الثاني: حَقُّه في الفَيْء من أرض بني النَّضِير حين أَجْلَاهُمْ كانت له خاصة، لأنها لم يُوجِف عليها المسلمون بِخَيْل ولا رِكابٍ.

وأما منقولات بني النَّضِير فحملوا منها ما حملته الإبل غير السلاح كما صالحهم، ثم قسم صلى الله عليه وآله الباقي بين المسلمين، وكانت الأرض لنفسه، ويُخْرِجها في نوائب المسلمين. وكذلك نصف أرض فَدَك، صالح أهلها بعد فتح خيبر على نصف أرضها، وكان خالصاً له. وكذلك ثلث أرض وادي القُرَى، أخذه في الصلح حين صالح أهلها اليهود.

وكذلك حصنان من حصون خيبر، وهما الوَطِيح والسُّلالم، أخذهما صلحاً.

الثالث: سهمه من خُمس خيبر، وما افتتح فيها عَنوة.

فكانت هذه كلها ملكاً لرسول الله ﷺ خاصة، لا حقَّ فيها لأحد غيره، لكنه ﷺ كان لا يستأثر بها بل يُنفقها على أهله والمسلمين، وللمصالح العامة، وكل هذه صدقات محرّمات التملك بعده. والله أعلم^(١).

قال ابن كثير: (فكانت هذه الأموال لرسول الله ﷺ خاصة، وكان يعزل منها نفقة أهله لسنة، ثم يجعل ما بقي مجعلاً مالٍ الله يصرفه في الكراع - أي: الخيل - والسلاح ومصالح المسلمين.

فلما مات ﷺ اعتقدت فاطمة وأزواج النبي ﷺ أو أكثرهن: أن هذه الأراضي تكون موروثة عنه، ولم يبلغهنَّ ما ثبت عنه من قوله ﷺ: «نحنُ معشرُ الأنبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقةٌ».

ولما طلبت فاطمة وأزواج النبي ﷺ والعباس نصيبهم من ذلك، وسألوا الصديق أن يسلمهم إليهم، ذكر لهم قول رسول الله ﷺ: «لا نورث، ما تركنا صدقةً»، وقال: «أنا أعولُ مَنْ كان يعول رسول الله ﷺ، والله لقراءة رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصلَ من قرابتي!» وصدق رضي الله عنه وأرضاه، فإنه البار الراشد في ذلك التابع للحق.

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي: ٣٢٥/٦ - ٣٢٦؛ وانظر: سنن أبي داود (٢٩٦٧).

وطلب العباس وعليّ على لسان فاطمة إذ قد فاتهم الميراث: أن ينظرا في هذه الصدقة، وأن يصرفا ذلك في المصارف التي كان النبي ﷺ يصرفها فيها، فأبى عليهم الصديق ذلك، ورأى أن حقاً عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله ﷺ، وأن لا يخرج عن مسلكه ولا عن سنّنه. فتعصّبت فاطمة عليها السلام عليه في ذلك، ووجدت في نفسها بعض الموجدة، ولم يكن لها ذلك... وتوفيت فاطمة عليها السلام بعد ستة أشهر، ثم جدّد عليّ البيعة بعد ذلك^(١).

ثانياً: طرف من الأحاديث الواردة في مسألة ميراث النبي ﷺ:

١ - عن عروة بن الزبير: أن عائشة أم المؤمنين عليها السلام أخبرته: (أن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه.

فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة». فعصبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر.

قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله ﷺ من خَيْرٍ وَفَدَكٍ^(١) وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإنني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ. فأما صدقته بالمدينة فدفعتها عمرُ إلى عليّ وعباس، وأما خيبر وفدك فأمسكتهما عمرُ، وقال: هما صدقة رسول الله ﷺ، كانت لحقوقه التي تعزوه ونوائيه، وأمرهما إلى من ولي الأمر. قال: فهما على ذلك إلى اليوم).

وفي رواية: عن عائشة: (أن فاطمة والعباس عليهما السلام أتيا أبا بكر يَلْتَمِسَانِ ميراثهما من رسول الله ﷺ، وهما حينئذٍ يطلبان أرضيهما من فدك وسهْمهما من خيبر.

فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا نُورَثُ، ما تركنا صدقةً، إنما يأكل آلُ محمد من هذا المال». قال أبو بكر: والله لا أدعُ أمراً رأيْتُ رسولَ الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته. قال: فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت^(٢).

(١) فدك: هي اليوم بلدة عامرة كثيرة النخل والزرع والسكان في شرق خيبر، وتسمى اليوم: «الحائط».

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٩٢، ٣٠٩٣) و(٦٧٢٥، ٦٧٢٦) واللفظ له؛ وأبو داود (٢٩٦٨) و(٢٩٦٩) و(٢٩٧٠).

٢ - وعن أبي الطَّفَيْلِ عامر بن واثلة رضي الله عنه قال: (لَمَّا قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وآله أُرْسِلَتْ فاطمةُ إلى أبي بكر: أَنْتَ وَرِثْتَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله أمْ أهله؟ قال: فقال: لا، بل أهله. قالت: فَأَيْنَ سَهْمُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله؟ قال: فقال أبو بكر: إني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: «إِنَّ اللَّهَ وَعَلَى إِذَا أَطْعَمَ نَبِيًّا طُعْمَةً ثُمَّ قَبَضَهُ، جَعَلَهُ لِلَّذِي يَقُومُ مِنْ بَعْدِهِ»، فرأيتُ أن أُرَدَّهُ على المسلمين. فقالت: فَأَنْتَ وما سمعتَ من رسولِ الله صلى الله عليه وآله أعلمُ) ^(١).

٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لَا يَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، مَا تَرَكْتُ بَعْدَ نَفْقَةِ نِسَائِي وَمُؤْنَةِ عَامِلِي فَهُوَ صَدَقَةٌ» ^(٢).

٤ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، حِينَ تُوَفِّي رسولُ الله صلى الله عليه وآله، أَرَدْنَ أَنْ يَبْعَثَنَّ عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ إِلَى أَبِي

(١) أخرجه أحمد (١٤) واللفظ له؛ وأبو داود (٢٩٧٣)؛ وأبو يعلى (٣٧) و(٦٧٥٢)، وغيرهم، وصححه أحمد شاكر، وحسنه الألباني وشعيب الأرناؤوط. ولفظة: (بل أهله) منكورة، كما قال الحافظ في الفتح: ٦٦٤/٧ (٣٠٩٢)، ويمكن تأويلها بأن المراد: أنه لو ورث النبي صلى الله عليه وآله أحد، لورثه أهله، ولكن الوراثة عنه منتفية، فيقوم من بعده بتوليته. انظر: تكملة فتح الملهم: ٥٦/٣.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٧٦) واللفظ له؛ ومسلم (١٧٦٠)؛ وأبو داود (٢٩٧٤)، وغيرهم.

بكر، فيسألُنه ميراثهنَّ من النبي ﷺ، قالت عائشة لهنَّ: أليس قد قال رسول الله ﷺ: «لا نُورَثُ، ما تركنا فهو صدقة»؟! لفظ مسلم.

وفي رواية للبخاري: عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أرسل أزواج النبي ﷺ عثمان إلى أبي بكر، يسألُنه ثُمْنهنَّ مما أفاء الله على رسوله ﷺ، فكنت أنا أرُدُّهنَّ، فقلتُ لهنَّ: أَلَا تَتَّقِينَ اللهَ! أَلَمْ تَعْلَمْنَ أن النبي ﷺ كان يقول: «لا نُورَثُ، ما تركنا صدقة» - يريدُ بذلك نَفْسَه - إنما يأكلُ آلُ محمد ﷺ في هذا المال؟! فانتهى أزواج النبي ﷺ إلى ما أخبرتهنَّ).

وفي رواية لأبي داود: (ألم تسمعَنَّ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا نُورَثُ، ما تركنا فهو صدقة»، وإنما هذا المالُ لآلِ محمدٍ لنائبِهم ولضيفهم، فإذا مِتُّ فهو إلى وليِّ الأمرِ من بَغْدِي»؟! ^(١)).

وثمة روايات أخرى كثيرة في الباب، فحديث: «لا نورث، ما تركنا فهو صدقة» رواه جماعة من الصحابة؛ منهم ثمانية من العشرة المبشرين بالجنة.

(١) أخرجه البخاري (٤٠٣٤)؛ ومسلم (١٧٥٨)؛ وأبو داود (٢٩٧٦) و(٢٩٧٧)؛ وأحمد (٢٦٢٦٠)؛ وعبد الرزاق (٩٧٧٣)؛ وابن حبان (٦٦١١)، وغيرهم.

وقد خفي هذا الحديث على السيدة فاطمة قبل سؤالها الميراث، كما خفي على أزواج النبي صلى الله عليه وآله حتى أخبرتهن عائشة به، ووافقتها عليه.

وليس يُظنّ بفاطمة عليها السلام أنّها اتهمت الصديق عليه السلام فيما أخبرها به، حاشاها وحاشاه من ذلك! وقد وافقه على رواية هذا الحديث: عمر، وعثمان، وعلي، والعباس، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة، وعائشة، رضي الله عنهم أجمعين! ولو تفرد بروايته الصديق عليه السلام لَوَجَبَ على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له في ذلك^(١).

وادعى ابن المُطَهَّر الحليّ أن أبا بكر قد انفرد برواية هذا الحديث، وردّ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢).



(١) البداية والنهاية: ٢/٢٨٧، ومثله في منهاج السُّنَّة النبوية: ٢/٦٣٨ - ٦٣٩.

(٢) انظر: منهاج السُّنَّة النبوية: ٢/٦٣٨ - ٦٣٩؛ كتابي: أبو بكر الصديق،

بين أبي بكر الصديق وفاطمة الزهراء

•• احتجَّت السيدة فاطمة أولاً بالقياس، وبالعموم في الآية الكريمة، فأجابها الصديق بالنص على الخصوص بالمنع في حق النبي ﷺ، فسَلَّمَتْ له ما قال، وهذا هو المظنون بها ﷺ^(١).

وأما الحديث الذي رواه أبو سَلَمَةَ بن عبد الرحمن: (أنَّ فاطمة قالت لأبي بكر: مَنْ يَرِثُكَ إِذَا مِتَّ؟ قال: وَلَدِي وَأَهْلِي. قالت: فما لَنَا لا نَرِثُ النَّبِيَّ ﷺ؟! قال: سمعتُ النَّبِيَّ ﷺ يقول: «إِنَّ النَّبِيَّ لا يُورَثُ»، ولكنِّي أَعُولُ مَنْ كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَعُولُ، وَأُنْفِقُ عَلَى مَنْ كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُنْفِقُ)^(٢).

فهو حديث ضعيف لانقطاعه، وأبو سلمة لم يدرك أبا بكر، فروايته عنه مرسلة.

(١) البداية والنهاية: ٢٨٩/٥.

(٢) أخرجه أحمد (٦٠)، وضعفه أحمد شاكر لانقطاعه.

وتقدم قريباً ما نقلناه عن أبي بكر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَطْعَمَ نَبِيًّا طُعْمَةً ثُمَّ قَبَضَهُ، جَعَلَهُ لِلَّذِي يَقُومُ مِنْ بَعْدِهِ)) فرأيتُ أن أَرَدَهُ على المسلمين. فقالت: فَأَنْتَ وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَعْلَمُ^(١).

فقول فاطمة: (فَأَنْتَ وَمَا سَمِعْتَ...) هذا هو الصواب والمظنون بها، واللائق بأمرها وسيادتها وعلمها ودينها، عليها السلام.

وكانها سألته بعد هذا أن يجعل زوجها ناظراً على هذه الصدقة، فلم يُجِبْها إلى ذلك، لأنه ولي الأمر وسيعمل فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فَتَعَتَّبَتْ عليه بسبب ذلك، وهي امرأة من بنات آدَمَ تَأْسَفُ كما يأسفون، وليست بواجبة العصمة، مع وجود نص رسول الله صلى الله عليه وآله، ومخالفة أبي بكر الصديق. وقد جاء عن أبي بكر رضي الله عنه أنه تَرْضَى فاطمة وتَلَايَنَهَا قبل موتها، فرضيت عليها السلام^(٢).

قال ابن قُتَيْبَةَ: (وَأَمَّا مَنَازَعَةُ فَاطِمَةَ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه فِي مِيرَاثِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله؛ فَلَيْسَ بِمَنْكَرٍ، لِأَنَّهَا لَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَظَنَّتْ أَنَّهَا تَرِثُهُ كَمَا يَرِثُ الْأَوْلَادُ آبَاءَهُمْ، فَلَمَّا أَخْبَرَهَا بِقَوْلِهِ، كَفَّتْ.

(١) تقدم: ص ٣٠٤ حاشية (١) في هذا الكتاب

(٢) البداية والنهاية: ٢٨٩/٥؛ وانظر: منهاج السُّنَّة: ٦٦٠/٢.

وكيف يَسُوغُ لأحدٍ أن يظن بأبي بكر رضي الله عنه أنه مَنَعَ فَاطِمَةَ حَقَّهَا من ميراث أبيها، وهو يعطي الأحمر والأسود حقوقهم؟! ^(١).

وقال القاضي عياض: (وفي تَرْكِ فَاطِمَةَ منازعةً أبي بكر بعد احتجاجه عليها بالحديث التسليم للإجماع على قضية. وأنها لَمَّا بَلَغَهَا الحديثُ وَبَيَّنَ لها التَّأْوِيلَ تَرَكَّتْ رأيها. ثم لم يكن منها ولا من ذُرِّيَّتِها بعد ذلك طلبُ ميراث. ثم وَلِيَ عليٌّ الخلافةَ فلم يَعدِلْ بها عن ما فعله أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما) ^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد تولى عليٌّ بعد ذلك، وصارت فَدَكٌ وغيرها تحت حكمه، ولم يُعطِ لأولاد فَاطِمَةَ ولا زوجاتِ النبي صلى الله عليه وسلم ولا ولدِ العباس شيئاً من ميراثه.

فلو كان ذلك ظُلماً وقدر على إزالته، لكان هذا أهونَ عليه من قتال معاوية وجيوشه! أفتراه يقاتل معاوية، مع ما جرى في ذلك من الشر العظيم، ولا يعطي هؤلاء قليلاً من المال، وأمره أهون بكثير؟! ^(٣).

وذكر نحو ذلك العلامة القاضي المعتزلي عبد الجبار الهمذاني في كتابه «المغني».

(١) تأويل مختلف الحديث، ص ٣٦٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، للنووي: ٣١٩/٦.

(٣) منهاج السُّنة النبوية: ٧٢٣/٣ - ٧٢٤.

وَادَّعَى الشَّرِيفَ الْمُرْتَضَى الرَّافِضِي أَنْ ذَلِكَ مِنْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ كَانَ (تَقِيَّةً)؛ فَقَالَ وَهُوَ يَرِدُّ عَلَى الْقَاضِي
عَبْدِ الْجَبَّارِ:

(وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ تَرْكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَذَكَ لَمَّا
أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَيْهِ، وَاسْتَدْلَاهُ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الشَّاهِدَ فِيهَا:
فَالْوَجْهُ فِي تَرْكِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَدُّ فَذَكَ هُوَ الْوَجْهُ فِي إِقْرَارِهِ أَحْكَامَ
الْقَوْمِ^(١) وَكَفَّ عَنْ نَقْضِهَا وَتَغْيِيرِهَا، وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِيمَا سَبَقَ،
وَذَكَرْنَا أَنَّهُ كَانَ فِي انْتِهَاءِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ فِي بَقِيَّةٍ مِنَ التَّقِيَّةِ قَوِيَّةً)^(٢)!.

وَهُوَ كَلَامٌ سَاقِطٌ وَحِجَّةٌ دَاحِضَةٌ، وَفِيهِ إِزْرَاءٌ عَلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ الصَّحَابِيُّ الْمِقْدَامُ الْبَطْلُ
الْكِرَّارُ لَيْثُ الْحُرُوبِ الَّذِي لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً، وَلَمْ
يَلْجَأْ (لِلتَّقِيَّةِ الْمَرْعُومَةِ) طِيلَةَ حَيَاتِهِ حَتَّى فِي أَحْلَاكِ الظُّرُوفِ
وَأَعْتَاثِهَا! وَإِذَا كَانَ ثَمَّةَ تَقِيَّةٍ فَلِمَ لَمْ يَسْتَخْدِمْهَا فِي حُرُوبِهِ:
الْجَمْلُ وَصَفِّينَ وَالنَّهْرَوَانُ؟! فَهَلِ الدَّمَاءُ أَرْخَصُ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْعَقَارَاتِ؟!.

بَلْ تَدُلُّ بَعْضُ الرِّوَايَاتِ فِي كُتُبِ الشَّيْعَةِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ
اعْتَذَرَ إِلَى فَاطِمَةَ بِشَأْنِ الْمِيرَاثِ، وَأَنَّهَا عليها السلام قَبِلَتْ عَذْرَ الصَّدِيقِ

(١) يريد الخلفاء الراشدين الثلاثة قبل علي.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٤١٨/٨، ٤٢٤.

في ذلك ورضيت عنه. وتدل أيضاً على أن الصديق كان يُنفق من (غَلَّةِ فَدَك) على أهل البيت، ثم عمرُ كذلك، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

يروى ابن مَيْثَمُ البخراني^(١) في (قصة مراجعة فاطمة أبا بكر) عدة روايات، وذكر في جملتها ما نصُّه: (صدقت يا ابنة رسول الله... وذلك أن لك ما لأبيك، كان رسول الله ﷺ يأخذ من فَدَكِ قُوَّتكم، ويُقسم الباقي، ويحمل منه في سبيل الله، ولكِ عَلَيَّ اللهُ أن أصنع بها كما كان يصنع. فَرَضِيْتُ بذلك وأخذتِ العهدَ عليه به. وكان يأخذ غَلَّتَهَا فيدفع إليهم منها ما يكفيهم، ثم فعلتِ الخلفاء بعده كذلك...) (٢).

وذكر مثل ذلك الدنبلي في شرحه «الدرة النجفية»^(٣).

وذكر ابن أبي الحديد هذه الرواية في «شرح نهج البلاغة» من طريق أبي بكر الجَوْهري بسنده إلى ابن عائشة، عن أبيه، عن عمِّه، وفيها: أن أبا بكر قال لفاطمة: (فَلَكِ عَلَيَّ اللهُ أن أصنعَ فيها كما يصنعُ فيها أبوك، قالت: الله لتفعلنَّ؟

(١) هو مَيْثَمُ بن علي بن مَيْثَمُ البخراني، من فقهاء الإمامية، توفي بعد سنة (٦٨١هـ)، من كتبه: شرح نهج البلاغة.

(٢) كتابه: شرح نهج البلاغة: ١٠٧/٥، طبع طهران.

(٣) الدرة النجفية، ص ٣٣١ - ٣٣٢.

قال: الله لأفعلن، قالت: اللهم اشهد! وكان أبو بكر يأخذ غَلَّتْهَا فيدفع إليهم منها ما يكفيهم، ويقسم الباقي، وكان عمر كذلك، ثم كان عثمان كذلك، ثم كان علي كذلك^(١).

•• والحق أن هذه الأموال ليست ملكية لرسول الله صلى الله عليه وآله، ما دام صرفها في أوجه يحددها القرآن، بل كان النبي صلى الله عليه وآله يقوم بقسمتها بوصفه رئيساً للدولة، ومجال صرفها عام يهدف إلى تحقيق التكافل الاجتماعي بين المسلمين، ومن ثم فإن الأموال تعود بعد وفاته إلى الدولة، ويتولى مسؤوليتها الخليفة أو من يُنيبه^(٢).

ولذلك قال أبو بكر لفاطمة عليها السلام: (أنا أغول من كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعول). فكان أبو بكر يُنفق على أهل الرسول صلى الله عليه وآله من الفيء، وما بقي يضعه في المصالح الأخرى.

ولم تطالب أزواج النبي صلى الله عليه وآله بميراثهن بعد أن ذكّرتهن عائشة بحديث: «لا نورث، ما تركنا صدقة»^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة: ٣٨٠/٨ - ٣٨١. وانظر: الشيعة وأهل البيت، ص ٨٣ - ٨٤؛ تكملة فتح الملهم: ٥٨/٣ - ٥٩.

(٢) كما جاء في نص الحديث المتقدم: ص ٣٠٤ رقم (٢)، ورقم (٤) رواية أبي داود، في هذا الكتاب.

(٣) الفتح: ٦٦٤/٧ - ٦٦٦ (٣٠٩٢، ٣٠٩٣)؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٢٥.

لذلك لما سألتُه السيدة فاطمة أن يَنْظُرَ عَلَيَّ في صدقة الأرض التي بخير وفَدَك، لم يُجِبْها إلى ذلك، لأنه رأى أن حقاً عليه أن يقومَ في جميع ما كان يتولاه رسول الله ﷺ، ويعملَ بما كان يعملُه ﷺ، ولهذا قال: (والله لا أدعُ أمراً رأيْتُ رسولَ الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعتُه)، وهو الصادق البار الراشد التابع للحق، ﷺ^(١).



(١) انظر: البداية والنهاية: ٢٤٩/٥، ٢٨٧.

الفصل الثالث

أبو بكر قام بأداء حق آل البيت حسب الشرع، وعمله هو السُّنة، وأجمع عليه الصحابة وامتدحه آل البيت

•• قول رسول الله ﷺ: «إنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال»: صريح في أن أبا بكر ﷺ لم يمنع شيئاً من حق ذوي القربى، فبذل لهم منافع ذلك المال كما كان يبذلها رسول الله ﷺ، غير أنه امتنع من أن يملكهم إياها بطريق الوراثة؛ لقوله ﷺ: «لا نُورث».

وقوله في رواية مسلم: (ولأَعْمَلَنَّ فيها بما عَمِلَ به رسول الله ﷺ) وفي رواية للبخاري: (والذي نَفْسِي بيده لقراءة رسول الله ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ من قرابتي)^(١)!

هذا من أصرح الروايات على أن أبا بكر ﷺ قام بأداء حق آل البيت حسب أوامر الشرع، ولم يَعْدِل فيه عن الصواب^(٢).

(١) البخاري (٤٢٤٠ و ٤٢٤١)؛ ومسلم (١٧٥٩)؛ وانظر ما تقدم: ص ٣٠١

- ٣٠٥ في هذا الكتاب.

(٢) تكملة فتح الملهم: ٥٤/٣.

وإذا كان أبو بكر مَنَعَ ذلك، فيكون قد منع ابنته عائشة أيضاً من هذا الإرث، فلو جرى مع ميله الفطري لأحب أن ترث ابنته^(١).

ثم إن أبا بكر وعمرَ قد أعطيا عليّاً وأولاده من المال أضعافَ ما خلّفه النبي ﷺ من المال. والمال الذي خلّفه ﷺ لم يَنْتَفِعْ واحدٌ منهما منه بشيء، بل سلّمه عمر إلى علي والعباس رضي الله عنهما وليانه ويفعلان فيه ما كان النبي ﷺ يفعله. وهذا مما يوجب انتفاء التهمة عنهما في ذلك.

وأبو بكر لا يمنع يهوديّاً ولا نصرانيّاً حقّه، فكيف يمنع البَضْعَةَ النبوية حقّها؟! فإن الله تعالى ورسوله ﷺ قد شهدا لأبي بكر أنه يُنْفِقُ مالهَ لله، فكيف يمنع الناس أموالهم؟!^(٢).

•• مما تقدم من أحاديث يتبيّن أن أبا بكر عمل بنصّ رسول الله ﷺ وسُنَّتِهِ، والتزم منهجه، وكان يقدّم نفقةَ نساء النبي ﷺ وغيرها مما كان يصرفه، فيصرفه من خير وفَدَك، وما فَضَّلَ من ذلك جعله في المصالح، وعمل عمرُ بعده بذلك.

(١) العواصم من القواصم، ص ٥٧، ٦٦.

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية: ٢/٦٥٣، ٦٦٨.

ويشهد لصنيع أبي بكر حديث أبي هريرة المرفوع: «ما تركتُ بعدَ نفقةِ نسائي ومؤنةِ عاملي؛ فهو صدقةٌ»^(١)؛ فقد عمل أبو بكر وعمر بتفصيل ذلك بالدليل الذي قام لهما^(٢).

وكون النبي صلى الله عليه وآله لا يُورث ثبت بالسُّنَّةِ المقطوع بها وبإجماع الصحابة، وذلك أن هذا الخبر رواه غير واحد من الصحابة في أوقات ومجالس، وليس فيهم من يُنكره، بل كلهم تلقَّاه بالقبول والتصديق. ولهذا لم يُصرَّ أحدٌ من أزواجه عليها السلام على طلب الميراث، ولا أصرَّ العم على طلب الميراث، بل مَنْ طلب من ذلك شيئاً فأخبر بقول النبي صلى الله عليه وآله رجع عن طلبه. واستمر الأمر على ذلك على عهد الخلفاء الراشدين إلى علي، فلم يغيّر شيئاً من ذلك ولا قَسَم له تركة^(٣).

- وأخرج عمر بن شَبَّة، عن محمد بن إسحاق قال: (سألتُ أبا جعفر محمد بن علي - الباقر - : أ رأيتَ حينَ ولي عليُّ العراقيَّ - أي: الكوفة والبصرة - وما ولي من أمر الناس، كيف صنع في سهم ذوي القربى؟ قال: سَلَكَ به طريقَ أبي

(١) تقدم الحديث: ص ٣٠٤ رقم (٣) في هذا الكتاب.

(٢) الفتح: ٦٦٦/٧ (٣٠٩٣).

(٣) منهاج السُّنَّة النبوية: ٦٥٣/٢، وانظر: ٥١٨/٣.

بكر وعمر عليهما السلام، قلت: وكيف؟ ولم؟ وأنتم تقولون! قال: أم والله ما كان أهلُه يَصْدُرُون إِلَّا عن رأيِه، قلتُ: فما منعه؟ قال: كان والله يكره أن يُدَّعى عليه خلافةُ أبي بكر وعمر عليهما السلام ^(١).

- وروى ابن أبي الحديد بسنده إلى ابن عائشة، عن أبيه، عن عمِّه: (أن أبا بكر كان يأخذ غَلَّةَ فَدَكٍ فيدفعُ إلى أهل البيت ما يكفيهم، ويقسم الباقي، وكان عمر كذلك، ثم كان عثمان كذلك، ثم كان علي كذلك) ^(٢).

فهذا صريحٌ في أن أمير المؤمنين علياً فعل في فَدَكٍ ما فَعَلَ فيه أبو بكر، ولو كان قضاء أبي بكر خطأً لَغَيَّرَه عليٌّ في أيام خلافته.

وقد روى ابن أبي الحديد في موضع آخر من شرحه رواية عن المرتضى علّم الهدى عند الشيعة، رواها بسنده إلى ابن عائشة، قال فيها: (فلما وَصَلَ الأمرُ إلى علي بن أبي طالب عليه السلام كُلَّم في ردِّ فَدَكٍ، فقال: إني لأستحيي من الله أن أَرُدَّ شيئاً مَنَعَ منه أبو بكر وأمضاه عمر!) ^(٣).

- وأخرج عمر بن شبة وابن أبي الحديد، عن كثير التَّوَّاء

(١) تاريخ المدينة، لابن شبة: ٢١٧/١.

(٢) تقدم النص بتمامه: ص ٣١١ - ٣١٢ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٤٠٦/٨؛ الشافعي، للشريف المرتضى، ص ٢٣٠.

قال: (قلتُ لأبي جعفر محمد بن علي عليه السلام: جعلني الله فداك! أرايتَ أبا بكر وعمر هل ظَلَمَاكُم من حقكم شيئاً - أو قال: ذَهَبَا من حقكم بشيء - ؟ فقال: لا، والذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً، ما ظَلَمْنَا من حقٍّ مثقالَ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ. قلتُ: جُعِلْتَ فداك، أفأتولّاهما؟ قال: نعم، ويَحْك! تولّهما في الدنيا والآخرة، وما أصابك ففي عنقي. ثم قال: فَعَلَ الله بالمغيرة وبيان، فإنهما كَذبا علينا أهل البيت!)^(١).

قلتُ: (المغيرة وبيان) هما: المغيرة بن سعيد، وبيان (أو: بَنان) التَّبَّان، رافضيان، كانا يكذبان على أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين، وعلى أبيه، وعلى أهل البيت، وقد ذكر (محمد بن عُمر بن عبد العزيز الكَشِّي) في «رجال» عدة نصوص عن أبي جعفر الباقر وابنه جعفر الصادق: في لَعْنِهما وأن يُذيقهما الله حرَّ الحديد^(٢)!.

- وقال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: (أُمّا أنا فلو كنْتُ مكان أبي بكر لحكمتُ بما حكم به أبو بكر في فَذْكَ)^(٣).



(١) شرح نهج البلاغة: ٣٨٣/٨؛ تاريخ المدينة، لابن شبة: ٢٠١/١.

(٢) رجال الكشي، الأرقام: (٥١١، ٥٤١، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٨٨، ٩٠٩).

(٣) أخرجه البيهقي، ونقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٩٠/٥.

رواية هجران فاطمة أبا بكر الصديق مُدرّجة في الحديث، وهي مرسلة ضعيفة

جاء في حديث عائشة الذي قدمناه في «الفصل الأول»^(١):
(فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نُورَثُ، ما تركنا صدقةً». فغَضِبَتْ فاطمة بنتُ رسول الله ﷺ، فَهَجَرَتْ أبا بكر، فلم تَزَلْ مُهاجِرَتَه حتى توفيت). لفظ البخاري.

وفي رواية مسلم: (فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً، فَوَجَدَتْ فاطمة على أبي بكر في ذلك. قال: فَهَجَرْتُهُ، فلم تكلمه حتى توفيت).

- قوله: (فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً): يعني من ميراث رسول الله ﷺ تملكاً لها، وإلا فقد ثبت بالروايات الماضية: أنه كان يَعُولُها وَيُنْفِقُ عليها من صدقات رسول الله ﷺ.

- وقوله: (فَوَجَدَتْ فاطمة على أبي بكر في ذلك)، وفي رواية البخاري: (فَغَضِبَتْ فاطمة...): قال العلامة الكنكوهي:

(١) انظر: ص ٣٠٢ - ٣٠٣، الحديث رقم (١) في هذا الكتاب.

(هذا ظنٌّ من الراوي حيث استنبط من عدم تكليمها إياه أنها غضبت عليه!)^(١).

ويؤيد ما قاله الشيخ أن هذه الزيادة غيرُ مذكورة في كثير من الروايات، فقد ذكر أبو داود هذا الحديث من طريق عُقيل وشعيب بن أبي حمزة وصالح بن كَيْسَان، كلهم يرويه عن الزهري، ولكن لم يذكر هذه الزيادة في شيء من رواياتهم^(٢).

وكذلك أخرجه البخاري في «الفرائض» من غير هذه الزيادة^(٣).

وأخرجه البيهقي بما يدل على أن هذه الزيادة مُدْرَجَةٌ^(٤) من الراوي، وليس من كلام عائشة عليها السلام، ولفظه في «كتاب قسم الفيء» من سننه: (قال: فغضبت فاطمة عليها السلام، فهجرتُه فلم تكلمهُ حتى ماتت)^(٥). وهذا صريح في إدراجه من الراوي.

(١) لامع الدراري، للكنزكوهي: ٥٠٠/٢.

(٢) سنن أبي داود (٢٩٦٨، ٢٩٦٩، ٢٩٧٠).

(٣) البخاري (٦٧٢٦).

(٤) المُدْرَجُ: هو ما ذُكر في ضمن متن الحديث من قول بعض الرواة؛ الصحابي أو من دونه موصولاً بالحديث، من غير فصلٍ بين الحديث وبين ذلك الكلام، أي: من غير أن يُذكر قائله، فيؤدي عدم الفصل إلى الالتباس على من لا يعلم حقيقة الحال ويتوهم أن الجميع من أصل الحديث. انظر: منهج النقد في علوم الحديث، ص ٤٤٠.

(٥) السنن الكبرى، للبيهقي: ٣٠٠/٦.

- وقوله: (قال: فَهَجَرْتُهُ فَلَمْ تَكَلِّمْنِي حَتَّى تُوَفِّيتِ): هذا أيضاً مُدْرَجٌ من الراوي، وليس من كلام عائشة رضي الله عنها، كما يدل عليه لفظ (قال) في أوله.

وأكثرُ المصنفين والعلماء أوردوا هذا الحديث وشرحوه ولم يتنبهوا للإدراج فيه، فَحَصَلَ هذا الإشكال من أن هذه العبارة من كلام أم المؤمنين عائشة تصفُ حالَ فاطمة مع الخليفة أبي بكر، وحقِيقَةُ الأمر أنه تفسير من الراوي أَدْرَجَهُ في مَثْنِ الحديث، فَخَفِيَ على الكثيرين وظنُّوه من تمام متن الحديث.

وقد حَقَّقَ العَلَّامة محمد نافع في كتابه القيم «رحماء بينهم» أن قصة مراجعة فاطمة أبا بكر رضي الله عنه مرويَّةٌ بستة وثلاثين طريقاً؛ وإنَّ أحدَ عشر طريقاً منها مرويَّةٌ عن غير الزهري، وليس في واحدٍ منها أدنى ذِكرٍ لغضب فاطمة، أو هجرانها لأبي بكر رضي الله عنه. وإنَّ خمسة وعشرين طريقاً تدور على الزهري، التسعة منها خالية عن ذِكرِ الغضب والهجران، وإنما ورد ذِكرُ الغضب والهجران في ستة عشر طريقاً كلها تنتهي إلى الزهري^(١).

(١) تكملة فتح الملهم: ٥٥/٣، ومنه استفدت في كتابة هذه الفقرة.

فالظاهر من هذا التَّبُّع أن قصة الغضب والهجران مُدْرَجَةٌ في هذا الحديث من قِبَل الزهري، وقد عُرِف من عادة الزهري أنه كان ربما أدرج في الحديث شيئاً من رأيه.

يقول الحافظ في «النكت على ابن الصلاح»: (وكذا كان الزهري يفسّر الأحاديث كثيراً، وربما أسقط أداة التفسير، فكان بعض أقرانه ربما يقول له: افصل كلامك من كلام النبي ﷺ)^(١). وساق الحافظ قبله عدة أمثلة من إدراجات الزهري.

وقد أخرج الخطيب البغدادي في كتابه «الفقيه والمتفقه»: عن الليث قال: (قال ربيعة لابن شهاب: يا أبا بكر! إذا حَدَّثَ النَّاسَ برأيك فأخبرهم أنه رأيك، وإذا حَدَّثَ النَّاسَ بشيء من السُّنَّةِ فأخبرهم أنه سُنَّةٌ، فلا يظنون أنه رأيك)^(٢).

فلما ثبت كونه مُدْرَجاً من الزهري: فإما أن يكون ظناً منه، فلا حجة فيه. وإما أن يكون قد سَرَدَ ما سمعه من بعض النَّاسِ من دون إسناد، وغايته أن يكون إرسالاً منه، وإنَّ مراسيل الزهري ضعيفة عند المحدثين^(٣).

(١) النكت على كتاب ابن الصلاح: ٨٢٩/٢.

(٢) الفقيه والمتفقه: ١٤٨/٢. وربيعه: هو المعروف بريبعة الرأي.

(٣) تكملة فتح الملهم: ٥٥/٣.

قال يحيى بن سعيد القطان وابن معين والشافعي: إرسال
الزهري ليس بشيء^(١).

وقال أحمد بن سنان: كان يحيى بن سعيد لا يرى إرسال
الزهري وقتادة شيئاً، ويقول: هو بمنزلة الريح^(٢).

ومع كون هذا مُدْرَجاً في الحديث، وهو من إرسال
الزهري، ومرسله ليس بشيء - فقد عارضه عدة روايات:

١ - ما قدمنا من رواية أبي الطفيل: (قال أبو بكر: إني
سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن الله ﷻ إذا أطعم نبياً طُعمه ثم
قَبَضَهُ، جعله للذي يقوم من بعده»، فرأيتُ أن أرده على
المسلمين. فقالت: فأنتَ وما سمعتَ من رسول الله ﷺ
أعلم^(٣)).

فقول فاطمة رضي الله عنها للصدِّيق: (فأنتَ وما سمعتَ... أعلم)؛
نصٌّ واضح على أنها سلَّمتْ له، ورضيتْ روايته وفعله، فلم
تتغضب عليه بعد ذلك وتهجره!؟

(١) شرح علل الترمذي، لابن رجب: ٥٣٥/١؛ قواعد في علوم الحديث،

للتهانوي، ص ١٥٦.

(٢) تهذيب التهذيب: ٣٩٨/٩.

(٣) انظر ما تقدم: ص ٣٠٤، الحديث (٢) في هذا الكتاب.

٢ - وأخرج عُمر بن شُبَّة حديثَ مراجعة فاطمة لأبي بكر من طريق مَعْمَر عن الزهري، ولفظه في آخره: (فلم تكلمه في ذلك المال حتى ماتت).

وهذا صريح في أن تَرَكَ كلامها مع أبي بكر لم يكن مطلقاً، وإنما لم تكلمه في ذلك المال فقط^(١).

٣ - قال الإمام الترمذي: حدثنا علي بن عيسى، قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، قال: حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سَلَمَةَ، عن أبي هريرة: (أنَّ فاطمة جاءت أبا بكر وعمر تسأل ميراثها من رسول الله ﷺ، فقالا: سَمِعنا رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنِّي لَا أُورِثُ». قالت: والله لا أَكَلُمُكُمَا أبداً، فماتت وَلَا تُكَلِّمُهُمَا).

قال علي بن عيسى: معنى (لَا أَكَلُمُكُمَا): تعني في هذا الميراث أبداً، أنتما صادقان^(٢).

٤ - وأخرج البيهقي في «سننه»: عن الشعبي قال: (لما مَرَضَتْ فاطمة عليها السلام أَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ الصديق رضي الله عنه، فاستأذن عليها، فقال علي رضي الله عنه: يَا فَاطِمَةُ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ،

(١) تاريخ المدينة، لابن شبة: ١٩٧/١؛ وتكملة فتح الملهم: ٥٦/٣.

(٢) سنن الترمذي (١٧٠١)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح لغيره.

فقالت: أتحبُّ أن آذنَ له؟ قال: نعم، فأذِنْتُ له، فدخل عليها
يترضاها، وقال: والله ما تركتُ الدار والمال والأهل والعشيرة
إلا ابتغاءَ مرضاة الله ومرضاة رسوله، ومرضاتكم أهل البيت.
ثم ترضاها حتى رَضِيتُ^(١).

وقال البيهقي بعد إخراجِه: هذا مرسل حسن بإسناد
صحيح.

وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» عن البيهقي، ثم قال:
وهذا إسناد جيد قوي، والظاهر أن عامر الشعبي سمعه من
عليٍّ، أو ممن سمعه من عليٍّ^(٢).

وذكره الحافظ في «الفتح» وقال: مرسلٌ صحيح، ثم قال:
(فإن ثبت حديثُ الشعبي أزال الإشكال، وأُخْلِقَ بالأمر أن
يكون كذلك، لِمَا عُلِمَ من وفور عقلها ودينها عليها السلام)^(٣).

والذي يتلخص من هذه الروايات: أن فاطمة عليها السلام لم تهجر
أبا بكر للأبد، وما توفيت وهي عليه غضبي، كما يبدو في
رواية الزهري في الباب. والذي يظهر أنها في أول الأمر طلبت
الميراث، فلما أخبرها أبو بكر عليه السلام بالحديث المعروف في أن

(١) السنن الكبرى، للبيهقي: ٣٠١/٦؛ طبقات ابن سعد: ٢٧/٨.

(٢) البداية والنهاية: ٢٨٩/٥.

(٣) الفتح: ٦٦٤/٧، شرح الحديث (٣٠٩٣).

الأنبياء لا يُورَثون - سلَّمتْ له ما قال، ولكنها طلبتْ تولية أراضِي رسول الله صلى الله عليه وآله لنفسها أو لعليّ عليه السلام، ولكن أبا بكر امتنع من ذلك واحتجَّ بما رواه عن النبي صلى الله عليه وآله: «إن الله إذا أطعم نبياً طعمة ثم قبضه، جعله للذي يقوم من بعده»، فسكتت فاطمة وقالت: (فأنتَ وما سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم)، ولكن بقي في نفسها شيء من الانقباض نشأ من اختلاف في الآراء، فلم تبقَ في قلبها بشاشة كاملة للصديق، وليس ذلك من المعادة ولا من الهجران، وكان أبو بكر يشعر بذلك، فأراد أن يزول هذا الانقباض أيضاً، فذهب إليها في مرضها، وترضاها حتى رضيت، وعادت بينهما البشاشة الكاملة، والله الحمد^(١).



(١) تكملة فتح الملهم: ٥٧/٣ بتصرف يسير؛ وانظر: البداية والنهاية:

كثرة افتراءات الرافضة قديماً وحديثاً

لم يترك الرافضة أمراً كبيراً ولا صغيراً في عهد الصحابة - بعد وفاة النبي ﷺ - إلا وخاضوا فيه، فحرّفوا وزوّروا، وغيّروا وبدّلوا، وافتروا وطعنوا، وساقوا الروايات المكذوبة، واختلقوا القصص والحكايات الواهية والباطلة، وألصقوا الاتهامات بالصحابة كبارهم وصغارهم، جماعات وفرادى، ولم يسلم من ألسنتهم وأقلامهم إلا نفر قليل من الصحابة يُعدّون على أصابع اليد الواحدة أو اليدين.

وفي مسألة (ميراث النبي ﷺ) وموقف الصديق والصحابة من طلب السيدة فاطمة ميراثها من أبيها ﷺ، ولَعَتْ ألسنة وافتأنت أقلام وجازف كُتّاب وخطباء بما لا يحتمله دين ولا عقل ولا أدب ولا مروءة! وإتماماً للبحث في هذه المسألة نشير هنا إلى طرف من ذلك:

١ - روى الكليني في «الكافي» بسنده إلى عبد الملك بن أعين قال: قلت لأبي عبد الله - جعفر الصادق -: (خبرني عن الرجلين؟

قال: ظَلَمْنَا حَقًّا فِي كِتَابِ اللَّهِ ﻋَﻠَﻴْكَ، وَمَنَعَا فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ مِيرَاثَهَا مِنْ أَبِيهَا، وَجَرَى ظِلْمُهُمَا إِلَى الْيَوْمِ. قَالَ - وَأَشَارَ إِلَى خَلْفِهِ -: وَنَبَذَا كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِمَا! ^(١).

قلت: يعني بالرجلين: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأرضاهما، وتبّاً لمن يُعاديهما ويقع فيهما! ثم هذا من الكذب المفترى على جعفر الصادق، وأهل البيت جميعاً على تعظيم الشيخين، وقد قدمنا بعض النصوص من كتب الشيعة في تأكيد ذلك، وأن أبا جعفر الباقر وابنه الصادق وغيرهما كانوا يلعنون من يكذب على أهل البيت ^(٢).

وأيضاً إذا كان أبو بكر وعمر قد نبذا كتاب الله وراء ظهورهما - عياداً بالله! - فمن نشر الإسلام خارج الجزيرة العربية، وفي عهد مَنْ وصل القرآن وارتفع الأذان في جبال فارس ووهادها، وأُطْفِئَتْ نَارُ الْمَجُوسِ؟!.

٢ - ويقول ابن بابويه القمي الملقب عندهم بالصدوق: (وَحُبُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَالْوَلَايَةُ لَهُمْ وَاجِبَةٌ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْ أَعْدَائِهِمْ وَاجِبَةٌ: مِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهَتَكُوا حِجَابَهُ فَأَخَذُوا مِنْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَذَكَ، وَمَنَعُوهَا مِيرَاثَهَا،

(١) الكافي، كتاب الروضة، ص ٧٢١، الحديث (٧٤).

(٢) انظر: ص ٣١٧ - ٣١٨ في هذا الكتاب.

وَعَصَبُوهَا وَزَوَّجَهَا حَقَّوْقَهُمَا، وَهَمُّوا بِإِحْرَاقِ بَيْتِهَا، وَأَسَّسُوا
الظُّلْمَ وَغَيَّرُوا سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ. وَالْبَرَاءَةُ مِنَ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ
وَالْمَارِقِينَ وَاجِبَةٌ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ أَثْمَةُ الضَّلَالِ
وَقَادَةُ الْجَوْرِ كُلِّهِمْ أَوَّلَهُمْ وَآخِرُهُمْ وَاجِبَةٌ^(١).

هكذا يقول الملقب عندهم (بالصدوق)، فما بالك
بالكذب! وما قدمناه يدحض هذه الافتراءات على الصحابة
وخاصة أبا بكر.

٣ - وقد أساء ابن أبي الحديد وطائفة ممن قبله وممن
بعده^(٢) القول في موقف السيدة فاطمة من أبي بكر وعامة
الصحابة، ونقلوا عنها روايات حاشاها أن تقولها، فإن عامة
الناس يترفعون عنها في أخلاقهم وآدابهم؛ فما ظنك بالبيت
الأطهار وواحدة من سيداته؟!.

فمما نسبوه إليها أنها قالت موجّهة الكلام للخليفة أبي
بكر وعموم الصحابة:

-
- (١) كتاب الخصال، للصدوق: ٦٠٧/٢؛ الشيعة وأهل البيت، ص ٦١٨.
(٢) انظر: شرح نهج البلاغة: ٣٧٧/٨ - ٣٧٩؛ الطرائف في معرفة مذاهب
الطوائف، لابن طاووس: ٣٧٩/١؛ كشف الغمة، للأربلي: ٤٨٠/٢؛
بحار الأنوار، للمجلسي: ١٩٦/٤٣؛ فاطمة بنت محمد قدوة النساء،
للسيد علي عاشور، ص ١٥٧ - ١٦٦؛ فاطمة الزهراء، لعباس محمود
العقاد، ص ١٥٩.

(احمدوا الله الذي لعظمته ونوره يبتغي من في السموات والأرض إليه الوسيلة، ونحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصته ومحلّ قدسه، ونحن حجته في غيبه، ونحن ورثة أنبيائه! أنا فاطمة بنت محمد، أقول عوداً على بدء، وما أقول ذلك سرفاً ولا شططاً، فاسمعوا بأسماع واعية وقلوب راعية...) فذكرت كلاماً طويلاً تقول في آخره:

(ثم أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لي؛ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]؟ إياها معاشر المسلمين، أبتز إرث أبي! أبى الله أن ترث ابن أبي قحافة أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً! فدونها مخطومة مَرَحُولَةً تلقاك يوم حشرِك، فيعم الحَكَمُ الله، والزعيمُ محمد، والموعِدُ القيامة، وعند الساعة يخسرُ المُبطلون، ولكل نَبأٍ مستقرّ وسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ!).

ثم التفتت إلى قبر أبيها فمثلت بقول هند بنت أئاثة:
 قد كان بعدك أنباءٌ وهْبَةٌ^(١) لو كنت شاهداً لم تكُفِرِ الخُطْبُ
 أبَدْتُ رجالاً لنا نَجوى صُدُورِهِمْ لَمَّا قُضِيَتْ وَحَالَتْ دُونَكَ الكُتُبُ
 تَجَهَّمْنَا رجالٌ واستُخِفَّ بنا إذ غُبَتْ عَنَّا فنحنُ اليوم نُغْتَصَبُ

(١) الهبّة: واحدة الهَبَاثِ، وهي الأمور الشديدة والدواهي. وتروى: (وهيمنة) وهي الصوت الخفي.

ثم توجهت إلى جماعة الأنصار وقرَّعتهم على خذلانهم لها في أخذها ميراث أبيها، ومما قالت - زعموا - :

(ألا وقد قلتُ لكم ما قلتُ على معرفةٍ مِنِّي بالخِذْلَةِ التي خامَرَتْكم، وخَوَّرَ القَنَاةَ، وَضَعَفَ اليَقِينَ، فَذُونَكُمُوهَا فَاحْتُووها مدبرةَ الظهر، ناقبةَ الخَفْتِ، باقيةَ العارِ، موسومةَ الشُّعارِ، موصولةً بنارِ الله الموقدة، التي تَطَّلِعُ على الأفتدة، فبِعَيْنِ الله ما تعملون، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]).

والخطبة المفتراة طويلة، والرافضة ومن تابعهم يوردونها على سبيل التسليم واليقين، وقد ذكرتُ هذا القَدْرَ منها لأبَيِّنَ للقارئ صاحبَ القلبِ السليم والعقل الصحيح مدى افتراء أولئك على رسول الله ﷺ وآل بيته الأطهار وصحابته الأخيار الأبرار!

أفهلكذا كانت تقفُ بنت النبي ﷺ على مجتمع الصحابة وتذكر مظلوميَّتها ولا يوجد لها نصير؟! أين الصحابة الذين قدَّموا أرواحهم وأولادهم وأموالهم نصرَةً لله ولرسوله ﷺ في عصر الرسالة وبعده في معارك الفتوحات ونشر الإسلام؟! وأين صوت علي بن أبي طالب من هذه الخطبة وهو الرجل الشجاع الجريء الفصيح الخطيب المصنِّع؟! وأسئلة أخرى كثيرة تُطرح على هذا الإفك المفترى المنسوب للسيدة فاطمة والصحابة الكرام.

٤ - أما ابن المُطَهَّر الحلي فقد عاب على الصحابة أنهم لم يناصروا فاطمة في طلب (الميراث)، فقال في معرض حديثه عن خروج أم المؤمنين عائشة إلى البصرة مخطئاً لها ولمن ناصرها:

(إنها خالفت أمر الله تعالى: ﴿وَقَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وخرجت في ملأ من الناس لتقاتل علياً على غير ذنب... وكيف استجاز طلحة والزبير وغيرهما مطاوعتها على ذلك... وكيف أطاعها على ذلك عشرات ألوف من المسلمين وساعدوها على حرب أمير المؤمنين؟! ولم ينصر أحدٌ منهم بنتَ رسول الله ﷺ لما طلبت حقها من أبي بكر، ولا شخصٌ واحد كلمه بكلمة واحدة!)^(١).

وفي كلامه أخطاء وتجنّيات كثيرة بشأن خروج أم المؤمنين عائشة ومن معها، وقد أوضحنا ذلك بدلائله في كتابينا: «عثمان بن عفان» و«علي بن أبي طالب»، ونشير هنا إلى ما يتعلق بمسألة ميراث النبي ﷺ:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما قوله: كيف لم ينصر أحدٌ منهم بنتَ رسول الله ﷺ...): (فهذا من أعظم الحُجج عليك؛ فإنه لا يشكُّ عاقلٌ أن القوم كانوا يحبون رسول الله ﷺ

ويعظّمونه ويعظمون قبيلته وبنته أعظم مما يعظمون أبا بكر وعمر، ولو لم يكن هو رسول الله ﷺ! فكيف إذا كان هو رسول الله ﷺ الذي هو أَحَبُّ إليهم من أنفسهم وأهليهم؟!.

ولا يَستَريبُ عاقل أن العرب - قريشاً وغير قريش - كانت تدين لبني عبد مناف وتعظّمهم أعظم مما يعظمون بني تيم وعديّ...

فإذا كان المسلمون كلهم ليس فيهم من قال: إن فاطمة رضي الله عنها مظلومة، ولا أن لها حقاً عند أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولا أنهما ظلماها، ولا تكلم أحدٌ في هذا بكلمة واحدة - دلّ ذلك على أن القوم كانوا يعلمون أنها ليست مظلومة^(١).

٥ - وجاء بعدهم السَّبَّابُ الشَّامُ مُحَمَّدُ باقر المَجْلِسِي^(٢)، ومما قاله في هذا الأمر:

(إن من المصيبة العظمى والداهية الكبرى غَضَبُ أَبِي بكر وعمر فَدَكَ من أهل بيت الرسالة. وإن القضية الهائلة أن أبا بكر لَمَّا غَضِبَ الخِلافةَ عن أمير المؤمنين، وأخذ البيعة جَبْراً من المهاجرين والأنصار، وأَحْكَمَ أمره؛ طَمَعَ

(١) منهاج السُّنة النبوية: ٦١/٣ - ٦٢.

(٢) من كبار رؤوس الرفض في عصره، كان لا يتردّد بلعن الصحابة وإئقارهم! توفي (١١١١هـ = ١٧٠٠م).

في قَدِّكَ خوفاً منه بأنْها لو وَقَعَتْ في أيديهم يميل الناس إليهم بالمال، ويتركون هؤلاء الظالمين - يعني أبا بكر والصحابه - فأراد إفلاسهم حتى لا يَبْقَى لهم شيء، ولا يَطْمَع الناس فيهم، وتَبْطُل خلافتهم الباطلة! ولأجل ذلك وَضَعُوا تلك الرواية الخبيثة المفتراة: «نَحْنُ معاشِرَ الأنبياء لا نُورَثُ، ما تركناه صدقة»! ^(١).

وللعقلاء أن يسألوا: أيُّ الأمرين مَفْتَرَى موضوع: حديثٌ رواه عشرة من الصحابة منهم ثمانية من المشهود لهم بالجنة، وأخرجه الإمامان العظيمان البخاري ومسلم، أم رواياتُ هذا المجلسي وأمثاله التي أغلبها مرسلات ومُعْضَلات ومُنْقَطعات، وأسانيدٌ كثير منها قائم على المتروكين والهالكين ودعاة الرفض والبدع!؟

وأما طعنه على الصديق الأكبر في ورعه وأمانته؛ فتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها، وهي شَيْشِينَةٌ نعرفُها من أخْزَمَ، وطهارةٌ سيرة أبي بكر قد عرفها القاصي والداني وسارت بعبيرها الركبان مسير الشمس!.

٦ - وعلى هذا مشى الرافضة قديماً وحديثاً حتى عصرنا، فهذا الحُميني يقول في كتابه «كشف الأسرار»:

(١) حق اليقين، للمجلسي، ص ١٩١ «مطاعن أبي بكر»؛ الشيعة وأهل البيت، ص ٨٥.

(طبقاً لقانون الإرث من وجهة النظر القرآنية، فإن فاطمة الزهراء بنت رسول الله كانت أحقَّ بتركة النبي، ولكن أبا بكر بعد أن صار خليفة خالف حُكْمَ القرآن الصريح، وحَرَمَهَا من التركة، وعَرَضَ على الناس حديثاً نسبته إلى الرسول يقول فيه: «إنا معشر الأنبياء لا نُورث ما تركناه صدقة»^(١)).

وهو كلام مكرر وصورة عن الافتراء الذي دَرَجَ عليه أسلافه من لَدُنْ الكَلْبِيِّ وابْنِ بَابُوَيْه القُمِّي، وَمَنْ بعدهم. والأحاديث في أنه ﷺ لا يورث صحيحة مستفيضة بل متواترة^(٢).



(١) انظر: الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام، للشيخ محمد منظور النعماني.

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية: ٦٤٥/٢.

الباب العاشر

الوداع

- إخبار النبي ﷺ فاطمة بأنها أولُ أهلٍ لحرقاً به،
ومدة حياتها بعده.
- قصة وفاتها وتغسلها وتغسلها.
- موقف أبي بكر وعمر عند وفاة السيدة الزهراء،
ومن صلى عليها.
- عمرها المبارك، وموضع قبرها، وحرز
المسلمين عليها.

• • •

الفصل الأول

إخبار النبي ﷺ فاطمة بأنها أول أهله لحوقاً به، ومدة حياتها بعده

بعد وفاة رسول الله ﷺ ولحوقه بالرفيق الأعلى، كانت السيدة فاطمة تستشعر أن أيامها في هذه الدنيا باتت قليلة، وذلك لأن أباهما ﷺ كان قد أخبرها بأنها أول أهله وفاةً ولحوقاً به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

ففي حديث عائشة عن فاطمة قالت: حدثني - ﷺ -: «أن جبريلَ كان يُعَارِضُهُ بالقرآن كلَّ عام مرةً، وإنه عَارَضَهُ به في العام مرتين، ولا أُرَانِي إِلَّا قد حَضَرَ أَجْلِي، وإنك أولُ أهلي لُحوقاً بي، ونِعَمَ السلفُ أنا لك».

وفي رواية: (أخبرني أنه ميّت من وجعه هذا فَبَكَيْتُ، ثم أخبرني أنني أسرُعُ أهله لحوقاً به)^(١).

وقد عاشت فاطمة بعد أبيها ﷺ ستة أشهر على الصحيح، وقيل: أقل من ذلك.

(١) تقدم تفصيل ذلك: ص ٢٨٩ - ٢٩٠ في هذا الكتاب. وانظر: البخاري (٣٦٢٣، ٣٦٢٤).

- عن عروة، عن عائشة قالت: توفيت فاطمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بستة أشهر^(١).

ومثله في «صحيح البخاري» وغيره، عن الزهري^(٢).

قال الواقدي: وهو الثبوت عندنا^(٣).

وقال النووي وابن كثير وابن حجر: هو الصحيح^(٤).

- وقيل: مكث بعد النبي صلى الله عليه وآله شهرين، وقيل: ثلاثة، وقيل: ثمانية، وقيل غير ذلك، والصحيح ما تقدم^(٥).



(١) الحلية: ٤٢/٢ - ٤٣؛ المعرفة والتاريخ: ٣٣٣/٣؛ المستدرک: ١٦٢/٣؛ تهذيب الكمال: ٢٥١/٣٥.

(٢) الفتح: ٥٢٤/٩، شرح الحديث (٤٢٤٠)، ٧١٦/٨ (٣٧٦٧).

(٣) طبقات ابن سعد: ٢٨/٨؛ تهذيب الكمال: ٢٥٢/٣٥.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات: ٣٥٣/٢؛ البداية والنهاية: ٣٣٤/٦؛ الفتح: ٧١٦/٨.

(٥) سير أعلام النبلاء: ١٢٨/٢؛ الاستيعاب: ٣٦٧/٤ - ٣٦٨؛ وانظر: الحاشية السابقة.

الفصل الثاني

قصة وفاتها وتغسيلها ونعشها

- عن فاطمة عليها السلام: أنها قالت لأسماء بنت عميس: يا أسماء، إني قد استقبحْتُ هذا الذي يُصنعُ بالنساء، يُطرح على المرأة الثوب فيصفُها! فقالت أسماء: يا ابنة رسول الله ﷺ، ألا أريك شيئاً رأيته بالحبشة؟ فدَعَتْ بجرائد رطبة فحَتَّتْها، ثم طَرَحَتْ عليها ثوباً، فقالت فاطمة: ما أحسنَ هذا وأجملَه! تُعرف به المرأة من الرجل؛ فإذا أنا مُتُّ فاغسليني أنتِ وعليّ، ولا تُدخلي عليّ أحداً، ثم اصنعي بي هكذا. فلما توفيت، صُنع بها ما أَمَرْتُ بعد أن غَسَلْتُها أسماء وعليّ عليهما السلام ^(١).

وعن ابن عباس قال: (مرضت فاطمة مرضاً شديداً، فقالت لأسماء بنت عميس: ألا ترين إلي ما بَلَغْتُ، أُحمل على السرير ظاهراً! فقالت أسماء: ألا لعمري، ولكن أصنعُ لك

(١) الحلية: ٤٣/٢؛ أسد الغابة: ٥٢٤/٥؛ سير أعلام النبلاء: ١٢٨/٢ - ١٢٩؛

سبل الهدى والرشاد: ٤٩٤/١١.

نَعْشاً كما رأيتُ يُصنع بأرض الحبشة، قالت: فأرينيه، قالت: فأرسلتُ أسماً إلى جرائد رطبة ففُطعت من الأسْوَاف^(١)، وجعلت على السرير نعشاً، وهو أول ما كان النعش. فتبسّمت فاطمة، وما رأيتها متبسّمة بعد أبيها إلا يومئذٍ، ثم حملناها ودفناها ليلاً^(٢).

قال ابن عبد البر: (فاطمة عليها السلام أولُ مَنْ عُطِي نَعْشُهَا من النساء في الإسلام على الصفة المذكورة في هذا الخبر، ثم بعدها زينب بنت جحش صنع ذلك بها أيضاً)^(٣).

وعن أم جعفر زوجة محمد بن علي الباقر قالت: حدثتني أسماء بنت عُميس، قالت: (عَسَلْتُ أنا وعليّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ)^(٤).

- وقد ورد في «مسند أحمد» وغيره: عن سلمى أم رافع قالت: (مرّضتُ فاطمة بنت رسول الله ﷺ عندنا، فلما كان اليوم الذي توفيت فيه خرج عليّ، قالت لي: يا أُمّه، اسكبي لي غُسلًا، فسكبتُ لها فاغتسلتُ كأحسن ما كانت تغتسل، ثم

(١) موقع من خرّم المدينة، شمالي البقيع.

(٢) المستدرک: ١٦٢/٣؛ طبقات ابن سعد: ٢٨/٨.

(٣) الاستيعاب: ٣٦٧/٤.

(٤) المستدرک: ١٦٣/٣ - ١٦٤.

قالت: ائْتِنِي بِثِيَابِي الْجُدْدَ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا، فَلَبَسَتْهَا ثُمَّ قَالَتْ:
اجْعَلِي فِرَاشِي وَسَطَ الْبَيْتِ، فَجَعَلْتُهُ، فَاضْطَجَعْتُ عَلَيْهِ
وَاسْتَقْبَلَتِ الْقَبْلَةَ، ثُمَّ قَالَتْ لِي: يَا أُمِّهِ، إِنِّي مَقْبُوضَةُ السَّاعَةِ،
وَقَدْ اغْتَسَلْتُ، فَلَا يَكْشِفُنَّ أَحَدٌ لِي كَنْفًا. قَالَتْ: فَمَاتَتْ، فَجَاءَ
عَلِي فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا يَكْشِفُ لَهَا أَحَدٌ كَنْفًا. فَاحْتَمَلَهَا
فَدَفَنَهَا بِغُسْلِهَا ذَلِكَ! ^(١).

وهو خبر منكر ضعيف، قال الذهبي: هذا منكر، وقال ابن
كثير: ضعيف لا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ ^(٢). وَضَعَفَهُ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوط فِي
«تَحْقِيقِ الْمَسْنَدِ».

قال ابن الأثير: والصحيح أن علياً وأسماء بنت عُميس
غَسَلَاها ^(٣).



(١) أخرجه أحمد (٢٧٦١٥)؛ وابن سعد: ٢٧/٨ - ٢٨.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١٢٩/٢؛ البداية والنهاية: ٣٣٣/٦.

(٣) أسد الغاية: ٥٢٥/٥.

موقف أبي بكر وعمر عند وفاة السيدة الزهراء، ومن صَلَّى عليها

•• كانت علاقات الأخوة الصادقة المخلصة هي السائدة بين الصحابة رضي الله عنهم، وبخاصة من أكابرهم مع آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالخليفة أبو بكر وأهل بيته على اتصال دائم ومتابعة تامة وإحسان مستمر لفاطمة وبنيتها، والاطمئنان على أحوالها وصحتها، فزوجة الصديق الصحابية الجليلة أسماء بنت عميس هي التي كانت تمرّض فاطمة عليها السلام في مرض موتها، وكانت معها حتى الأنفاس الأخيرة، وشاركت في غسلها وتجهيز نعشها وترحيلها إلى مثواها.

وقد أقرت بذلك كتب الشيعة أنفسهم:

ففي «الأمالي» للطوسي: (وكان علي يمرّضها بنفسه، وتُعينه على ذلك أسماء بنت عميس رحمها الله على استمرار بذلك)^(١).

وفي «جلاء العيون» لباقر المجلّسي: (وَصَّيَّهَا بوصايا في كفنها ودَفَنَهَا وتشييع جنازتها، فعملت أسماء بها).

(١) الأمالي، لأبي جعفر الطوسي: ١٠٧/١.

وفيه: (وهي التي كانت عندها حتى النَّفس الأخير، وهي التي نَعَتْ عليّاً بوفاتها)^(١).

وفي «كشف الغُمَّة» للأربلي: (وكانت شريكة في غَسْلها)^(٢). يعني أسماء بنت عميس.

وجاء في كتاب سُليْم بن قيس^(٣) - وهو من الكتب المقدَّمة عند الشيعة -: (فمَرَضَتِ - أي فاطمة - وكان عليٌّ عليه السلام يصلي في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلَّى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟).

وفيه أيضاً: (ولمَّا قُبِضَت فاطمة من يومها، فارتجَّت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودَهَشَ الناس كيوم قُبُض فيه رسول الله، فأقبل أبو بكر وعمر يعزِّيان عليّاً ويقولان: يا أبا الحسن، لا تَسْبِقْنَا بالصلاة على ابنة رسول الله!)^(٤).

(١) جلاء العيون، ص ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٢.

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة، لعلي بن عيسى الأربلي: ٥٠٤/١.

(٣) سليم بن قيس: الهلالي العامري الكوفي (توفي نحو ٨٥هـ)، من أصحاب علي بن أبي طالب، له «كتاب السقيفة» طبع باسم «كتاب سليم بن قيس الكوفي»، وهو من الأصول التي ترجع إليها الشيعة.

(٤) كتاب سليم بن قيس، ص ٣٥٣، ٣٥٥. وانظر: الشيعة وأهل البيت، ص

وإنما نذكر هذا من كتب الشيعة لإقامة الحجة عليهم مما في كتبهم؛ على تأكيد العلاقات الحميمة بين الصحابة عامة، وبينهم وبين آل بيت النبي صلى الله عليه وآله خاصة، وأن الصحابة الكرام قد حَفِظُوا وصية رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته، ورعوها حق رعايتها.

- وقد جاء في «الصحيحين»: من حديث ابن شهاب الزهري، عن عروة، عن عائشة: (فلما تُوفِّيَتْ دَفَنَهَا زوجها علي بن أبي طالب ليلاً، ولم يُؤْذَنْ بها أبا بكر، وصَلَّى عليها علي عليه السلام)^(١).

وهذا من إرسال الزهري كما تقدم في «قصة الهجران»، وقد ذكر ابن سعد^(٢) (ثمانى طرق) من مرسل الزهري وغيره، وموصولاً عن عائشة وابن عباس: (أن فاطمة دُفِنَتْ ليلاً، دَفَنَهَا علي)، ولم يذكر في طريق واحدة قوله: (ولم يُؤْذَنْ بها أبا بكر).

قال الحافظ: (دُفِنَتْ ليلاً، وكان ذلك بوصية منها لإرادة الزيادة في التستر، ولعله لم يُعْلَمَ أبا بكر بموتها لأنه ظن أن ذلك لا يخفى عنه، وليس في الخبر ما يدل على أن أبا بكر لم يَعْلَمَ بموتها ولا صَلَّى عليها)^(٣).

(١) البخاري (٤٢٤٠، ٤٢٤١)؛ ومسلم (١٧٥٩).

(٢) طبقات ابن سعد: ٢٩/٨ - ٣٠.

(٣) الفتح: ٥٢٤/٩، شرح الحديثين (٤٢٤٠ و ٤٢٤١).

والروايات التي قَدَّمناها تدلُّ بصراحة على أن أسماء بنت عُميس زوجة الصديق لم تَزَلْ تمرّض فاطمة إلى آخر حينٍ من حياتها، وغَسَلَتْها بمشاركة عليٍّ عليه السلام، فكيف يمكن أن لا يَعْلَم أبو بكر بحالها؟! والظاهر الذي لا يُتَصَوَّر خلافُه أنها لم تفعل ذلك إلا بأمر أو بإذن من زوجها أبي بكر رضي الله عنه ^(١).

ويقول ابن الترمكمانى المارديني في «الجوهر النقي» ناقلاً عن «خلافيات البيهقي»: (وورعُ أسماء يمنعُها أن لا تستأذنه) ^(٢).

•• واختلفت الروايات في من صلّى عليها:

- فذكرت بعض الروايات: أن عليّاً صلّى على فاطمة ^(٣).
- وفي رواية: عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: صلّى العباس بن عبد المطلب على فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ونَزَلَ في حفرتها هو وعليٌّ والفضل بن العباس ^(٤).
- وفي الرواية الثالثة: أن الذي صلّى عليها هو أبو بكر الصديق.

(١) انظر: تكملة فتح الملهم: ٦٠/٣، ٦١.

(٢) الجوهر النقي في الرد على البيهقي: ٣٩٦/٣.

(٣) طبقات ابن سعد: ٢٩/٨، ٣٠.

(٤) طبقات ابن سعد: ٢٩/٨؛ الاستيعاب: ٣٦٧/٤ - ٣٦٨.

أخرج البيهقي: عن مجالد، عن الشعبي: (أن فاطمة عليها السلام لما ماتت دَفَنَهَا عَلِيٌّ عليه السلام ليلاً، وَأَخَذَ بِضَبْعِي أَبِي بَكْرٍ الصديق عليه السلام، فَقَدَّمَهُ يَعْنِي فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهَا) ^(١).

وأخرج ابن سعد: عن إبراهيم النَّخَعِي قال: (صَلَّى أَبُو بَكْرٍ الصديق على فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعاً) ^(٢).

وأخرج الخطيب البغدادي في «رواة مالك»: عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال: (ماتت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ لِيَصَلُّوا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: تَقَدَّمْ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَتَقَدَّمَ، وَأَنْتَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ وَصَلَّى عَلَيْهَا) ^(٣).

وأخرج المحب الطبري في «الرياض النضرة»: عن زين العابدين علي بن الحسين قال: (ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء، فَحَضَرَهَا أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ وَعُثْمَانُ وَالزُّبَيْرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَلَمَّا وُضِعَتْ لِيُصَلَّى عَلَيْهَا قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: تَقَدَّمَ يَا أَبَا بَكْرٍ! قَالَ: وَأَنْتَ شَاهِدٌ يَا أَبَا الْحَسَنِ؟!)

(١) السنن الكبرى، للبيهقي: ٢٩/٤؛ وبأخصر منه عند ابن سعد: ٢٩/٨.

(٢) طبقات ابن سعد: ٢٩/٨.

(٣) كنز العمال: ٣١٨/٦، حديث (٥٢٩٩).

قال: نعم، تقدّم فوالله لا يُصلي عليها غيرُك، فصلّي عليها أبو بكر رضي الله عنهم أجمعين، ودُفنت ليلاً^(١).

فهذه أربعة مراسيل يشدُّ بعضها بعضاً في أن الخليفة أبا بكر هو الذي صلى عليها.

وتعارضت الروايات في مَنْ صلى على فاطمة بين أبي بكر وعلي والعباس عليه السلام، فلا يمكن الجزم بواحدة منها، غير أن القياس يقتضي أن يصلي عليها أبو بكر الصديق عليه السلام؛ لكونه إمامَ وقته، وأميراً للمؤمنين، وخليفةً لرسول الله صلى الله عليه وآله، وكان الصحابةُ وخاصة بني هاشم يفوضون الصلاة على الأموات إلى الخلفاء والأمراء^(٢).

•• وذكر الرافضي ابن المُطَهَّر الحلي قصة ميراث (فَدَك)، وغضب السيدة فاطمة من أبي بكر والصحابة الذين وافقوه على أنه صلى الله عليه وآله لا يُورث، ثم قال ابن المُطَهَّر:

(فلما حَضَرَتْهَا الوفاةُ أَوْصَتْ عليّاً أن يدفنها ليلاً، ولا يدعَ أحداً منهم يصلي عليها!)^(٣).

(١) الرياض النضرة: ١٥٦/١.

(٢) انظر: تكملة فتح الملهم: ٦١/٣ - ٦٢.

(٣) منهاج السُّنة النبوية: ٦٥٦/٢.

وقد ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا الكذب بكلام نفيس، فقال عليه السلام:

(ما ذكره من إيصائها أن تُدفن ليلاً ولا يُصلي عليها أحدٌ منهم، لا يحكيه عن فاطمة ويحتجُّ به إلا رجل جاهلٌ يَطْرُق^(١) على فاطمة ما لا يليق بها! وهذا لو صَحَّ لكان بالذنب المغفور أوَّلَى منه بالسعي المشكور؛ فإن صلاة المسلم على غيره زيادةٌ خيرٍ تصل إليه، ولا يضرُّ أفضلَ الخلق أن يصلي عليه شرُّ الخلق، وهذا رسول الله ﷺ يصلي عليه ويسلِّم عليه الأبرار والفجار والمنافقون، وهذا إن لم ينفعه لم يضره، وهو يعلم أن في أمته منافقين، ولم يَنه أحدًا من أمته عن الصلاة عليه، بل أمر الناس كلهم بالصلاة والسَّلام عليه، مع أن فيهم المؤمن والمنافق، فكيف يُذكر في مَعْرِضِ الثناء عليها والاحتجاج لها مثل هذا الذي لا يحكيه ولا يحتج به إلا مُفْرِط في الجهل! ولو وصَّى موصٍ بأن المسلمين لا يُصلُّون عليه لم تُنفذ وصيَّته، فإن صلاتهم عليه خيرٌ له بكل حال.

(١) في: المعجم الوسيط، ص ٥٥٥: (طَرُقَ الكلامَ: عَرَضَ له وخاض فيه). وفي: لسان العرب: ٢١٦/١٠: (من أمثال العرب التي تُضرب للذي يَخْلطُ في كلامه ويتفنن فيه قولهم: اطْرُقِي ومِيشِي. والطرق: ضرب الصوف بالعصا. والمِيشُ: خلطُ الشعر بالصوف).

ومن المعلوم: أن إنساناً لو ظَلَمه ظالم، فأوصى بأن لا يصلِّي عليه ذلك الظالم، لم يكن هذا من الحسنات التي يُحمد عليها، ولا هذا مما أمر الله به ورسوله، فمن يقصد مَدْح فاطمة وتعظيمها، كيف يذكر مثل هذا الذي لا مدح فيه، بل المدح في خلافه، كما دل على ذلك الكتاب والسُّنة والإجماع!^(١)



(١) منهاج السُّنة النبوية: ٦٦٨/٢ - ٦٦٩.

الفصل الرابع

عمرها المبارك، وموضع قبرها، وحزن المسلمين عليها

أولاً: عمرها:

- قال المَدَائِنِيُّ: ماتت ليلة الثلاثاء لثلاثِ خَلَوْنَ من رمضان سنة إحدى عشرة، وهي ابنةُ تسع وعشرين سنة، وُلدت قبل النبوة بخمس سنين^(١).

وعن الواقدي مثله دون الجملة الأخيرة، وكذا قال ابن الأثير^(٢).

- وقال سعيد بن عُفَيْر: ماتت ليلة الثلاثاء لثلاثِ خَلَوْنَ من شهر رمضان سنة إحدى عشرة، وهي بنتُ سبع وعشرين سنة أو نحوها^(٣).

- وقال الذهبي: عاشت أربعاً أو خمساً وعشرين سنة،

(١) تهذيب الكمال: ٢٥٣/٣٥.

(٢) طبقات ابن سعد: ٢٨/٨؛ أسد الغابة: ٥٢٤/٥.

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٢٨/٢.

وأكثر ما قيل: إنها عاشت تسعاً وعشرين سنة، والأول أصح.
وكذا صححه في «تاريخ الإسلام» فقال: الصحيح أن سنّها
أربع وعشرون سنة^(١).

- وقال أبو بكر بن أبي شيبة: توفيت فاطمة وهي بنت سبع
وعشرين سنة.

وقال ابن إسحاق: توفيت وهي بنت ثمان وعشرين سنة.
وقال أبو جعفر الباقر مثله^(٢).

وقيل غير ذلك^(٣).

قلت: ولدت فاطمة وقريش تبني الكعبة قبل البعثة بخمس
سنين، وعُمّر النبي ﷺ (٣٥ سنة)، وعُمّرَها خمس سنوات^(٤)،
وعاشت الفترة المكيّة (١٣ سنة)، وتوفيت بعد أبيها ﷺ بستة
أشهر، سنة (١١هـ)؛ فيكون عمرها على الصحيح (٢٩ سنة).
وتصحیح الذهبي أن سنّها (٢٤ سنة) فيه نظر طويل!

(١) سير أعلام النبلاء: ١٢١/٢ - ١٢٢؛ تاريخ الإسلام «عهد الخلفاء
الراشدين»، ص ٤٨.

(٢) مجمع الزوائد: ٢١١/٩؛ سير أعلام النبلاء: ١٢٨/٢.

(٣) انظر: جمهرة أنساب العرب، ص ١٦ - ١٧؛ الاستيعاب: ٣٦٨/٤.

(٤) انظر ما تقدم: ص ٣٧ في هذا الكتاب.

ثانياً: قبرها:

دُفنت عليها السلام بالبقيع.

قال الواقدي: سألتُ عبد الرحمن بن أبي الموالي، قلت: إن الناس يقولون: إن قبر فاطمة عند المسجد الذي يصلُّون إليه على جنازتهم بالبقيع؟ فقال: والله ما ذاك إلا مسجد رقية - يعني امرأة عثمان - وما دُفنت فاطمة إلا في زاوية دار عقيل مما يلي دار الجَحْشِيِّين - بني جَحْش - مستقبلَ خَرْجَةِ بني نبيه من بني عبد الدار بالبقيع، وبين قبرها وبين الطريق سبعة أذرع^(١).

ثالثاً: حزن عليٍّ والمسلمين عليها:

ما إنْ توفيت الزهراء عليها السلام حتى شاع الخبر في أرجاء المدينة المنورة فاهتزَّت للحادث الجَلَل، وخيَّم الحزنُ على جوانبها ونواحيها، وتصبَّر الصحابة واصطبَّروا لفقدِ آخر الأنفاس الطاهرة من أولاد النبي الأعظم ﷺ، واضطربت لفقدِها القلوب، وذرفت العيون دموعها السخية، واستسلم الجميع لقضاء الله وقدره.

ويصِفُ عبد الله بن عباس المشهد فيقول: (قُبِضَتْ فاطمة

(١) طبقات ابن سعد: ٣٠/٨؛ الإصابة: ٣٦٨/٤.

من يومها، فارتجّت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء،
ودَهَشَ الناس كيوم قُبض فيه رسول الله ﷺ^(١).

وأما زوجها علي رضي الله عنه فما إن نفّض يديه من تسوية التراب
على قبرها، حتى وقف مذهولاً، وقال كالمناجي رسول الله ﷺ
عند قبره الشريف:

(السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في
جوارك، والسريعة اللحاق بك! قلّ يا رسول الله عن
صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عنها تجلّدي، إلا أن في التأسي لي
بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ وفادحِ مُصِيبَتِكَ موضعٌ تَعَزُّ! فلقد وَسَدْتُكَ
في مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وفاضتُ بين نَحْرِي وصَدْرِي نَفْسُكَ،
فإنّا لله وإنا إليه راجعون، فلقد اسْتُرْجِعَتِ الوديعَةُ وأُخِذَتِ
الرَّهِيْنَةُ!.

أما حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وأما لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، إلى أن يختارَ الله لي
دارك التي أنت بها مُقِيمٌ... والسلام عليكمم سلامٌ مُودِعٍ لا قالٍ
ولا سَمِيمٍ، فإنْ أَنْصَرَفَ فلا عن مَلَالَةٍ، وإنْ أَوَّمْ فلا عن سُوءِ
ظَنٍّ بما وَعَدَ الله الصابرين)^(٢).

(١) تقدم الخبر بتمامه: ص ٣٤٦ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٤٣٤/٥.

وَأُنْشَدُ:

لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَكُلُّ الَّذِي دُونَ الْفِرَاقِ قَلِيلٌ
وَلِنْ افْتِقَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومَ خَلِيلٌ^(١)!



(١) المستدرک: ١٦٣/٣.

الخاتمة

أصلٌ شريفٌ، ونَسَبٌ مُنِيفٌ، وفطرة طاهرة، وأسرة فذة،
وقرآنٌ يُتلى، وحديثٌ شريف يتردّد، وقدوةٌ عليا، وتربية نبوية،
وبيئة جادة صارمة، ورسالة سامية؛ كل ذلك تعاضد وتكامل
لِيُنشئ تلك الزهرة الزهراء التي أشرقت في سماء خير أسرة
شهدها التاريخ... إنها فاطمة البتول بنتُ النبي الرسول ﷺ.

أكرمَ الله نبيّه ﷺ بها لتكون قَبَساً من نوره وقدوةً لنساء
أُمته، فكانت كما أرادها الله تعالى وما أرادها لها، هي بنتُ نبيٍّ
في النسب الزكي، وبتُّه في الشمائل والأخلاق وجلائل
الأعمال، فكانت كما وصفها أبطنُ الناس بها، وكما هي في
حقائق الحياة ووقائع الأفعال؛ صورة متكاملة عن أبيها ﷺ:
تُشبهه في كلامه وحديثه وجلسته ومشيته، وأيضاً في هُديهِ
ودلِّهِ وسَمِّهِ وطريقته وسيرته وسكينة ووقاره وجميع شمائله.

كانت السيدة البتول عليها السلام زِعَمَ البنتِ في نشأتها،
ونعمَ البنتُ في آدابها وأخلاقها وأعمالها ومواقفها من أبويها

ومن دينها، ثم نِعَمَ الزوجةُ في بيت الزوجية، ونِعَمَ الأم التي تحضن صغارها وتربيهم على أخلاق أبيها وأبيهم، فكانوا خياراً من خيار.

كذلك كانت نِعَمَ المثلُ الأعلى والقُدوة المثلَى للفتاة المسلمة والأم المؤمنة في مختلف أطوار حياتها وجميع أمورها داخل بيتها وخارجه، في أيام الدعوة العvisية بمكة المكرمة، ووقت هجرتها وما اختَفَّ بها من مشقات، وفي سِنِي الإسلام بالمدينة المنورة.

هذه السيدة الجليلة بنت رسول الله ﷺ كانت قُرّة عين أبيها في حياتها كلها وأعمالها كافة وشمائلها جميعاً؛ عاشت كما عاش ﷺ عابدةً زاهدةً، صابرةً محتسبةً، راضيةً قانعةً... تخدم أباه وتقف معه في أيام الدعوة والكفاح الصبور، ولا تغيب عنه في مشاهده وغزواته، وصباحه ومساءه، وغدواته وروحاته، وترعى أولادها وتقوم بحق زوجها، وتؤدي واجبات بيتها، وتتبَلَّلُ بالصلاة والقيام وتلاوة القرآن بين يدي مولاه... وهي بين هذا وذاك تطحن بالرّحى وتعجن عجينةً وتخبز خبزها، وتَقُمُّ بيتها، وتُعيل أطفالها، وتأوي إلى بيت لو رآه الرائي لعَصَرَ عينه؛ ما فيه من زينة الدنيا إلا ما يسدُّ الرّمق ويستر الجسد ويدفع غوائل الحياة، ولربّما مرَّ عليها مع أسرتها اليوم واليومان

وليس عندهم ما يأكلونه، حتى يسعى الزوج ليوَقِّرَ تمراتٍ أو دُرِهَماَتٍ يدفع بها الجوع عن نفسه وزوجه وأولاده!.

ومع كل ما قاسَتْهُ الزهراء من لأواء، وما واجهَتْهُ من مَحَنٍ وابتلاء، وقَفَتْ كالطود شامخَةً راضيةً، ما تبرَّمت بأمرٍ ولا ضَجِرَتْ من حَدَثٍ ولا شَكَّتْ لأحدٍ، وضَبَّ عليها من البلاء ما هو أعظم وأقسى من جميع ما سبق؛ فَفَقَدَتْ إختوتها الصغار: القاسم وعبد الله وإبراهيم، ويا لها من نازلةٍ! ثم ثَكِلَتْ أمُّها؛ وأَغْظَمَ بها من مصيبةٍ! ثم أخذ الموت من حياتها أخواتها الثلاث: رقية وأم كلثوم وزينب، وفي هذه النوازل ما فيها من ألوان البلاء، وما يَعْلَمُهُ وَيَقْدُرُهُ حَقُّ قَدْرِهِ كُلُّ مَنْ فَقَدَ عزيزاً حبيباً، فكيف بمن فَقَدَتْ جميعَ الأحبة ذُكْراناً وإناثاً، إخواناً وأُمَّ وأُخوات؟! ثم كانت فاجعَتْها الأكبر بموت أبيها ﷺ الذي كان يملأُ عليها جميعَ حياتها، وما ذاك إلا لِيُعْلِي الله تعالى منزلتها ويرْفَعَ مكانتها... ولم تمكث بعد ذلك إلا يسيراً، وما هي إلا أشهر ستة حتى لَحِقَتْ بأبيها ﷺ في عِلِّيِّينَ مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

حياةٌ ملء السمع والبصر والزمان والمكان كَتَبَتْ فيها السيدة الزهراء رائعةً من أروع سِيَرِ النساءِ على مرِّ الدهر...

دَوَّنَتْهَا بِأَقْوَالِهَا وَأَفْعَالِهَا وَخِصَالِهَا وَشَمَائِلِهَا وَأَعْمَالِهَا وَمَوَاقِفِهَا، وَجَمَّلَتْهَا بِصَبْرِهَا وَمَصَابِرَتِهَا وَرِضَاهَا وَقِنَاعَتِهَا مَعَ دُمُوعِهَا وَدَعْوَاتِهَا... فَتَرَكْتُ لَنَا مِلْحَمَةً خَالِدَةً هِيَ سِيرَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ سَيِّدَاتِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَسَيِّدَاتِ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَكَّثْتُ فِي تَسْطِيرِهَا تِسْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً بِأَيَّامِهَا وَلَيَالِيهَا، كُلُّهَا أَعْمَالٌ وَمَفَاخِرٌ وَمَنَاقِبٌ، مِنْذُ أَنْ وَعَتُ عَلَى الْحَيَاةِ بِمَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ وَإِلَى أَنْ وُورِيتِ الثَّرَى فِي بَقِيعِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

إِنَّ مِنْ حَقِّ رَسُولِنَا ﷺ عَلَيْنَا وَمِنْ حَقِّ (الْبَضْعَةِ النَّبَوِيَّةِ)، كَمَا أَنَّهُ مِنْ حَقِّ الْإِسْلَامِ وَوَاجِبَاتِ الْوَفَاءِ لَدِينِنَا: أَنْ نَبْذِلَ الْمُهْجَ وَالْأُرُوحَ، وَنَسْخُرَ الْأَقْلَامَ وَالْأَوْقَاتَ؛ فِي تَجْلِيَةِ سِيرَةِ (هَذَا النُّورِ) الَّذِي هُوَ قَبَسٌ مِنْ (أَنْوَارِ النَّبَوَةِ)، لَا لِلتَّفَاخُرِ بِهِ وَحَسَبٍ، بَلْ لِيَكُونَ لَنَا هَادِيًا وَدَلِيلًا يَبْدُدُ ظُلُمَاتِ لَيْلِ حَيَاتِنَا الَّتِي تَعَاوَنْتْ فِي نَسْجِهَا وَنَشْرِهَا ظُلُمَاتُ (مَا يَسْمَى بِالْحَضَارَةِ) لَتَقْدِيمِ (قَدَوَاتِ!) لِبَنَاتِنَا، لَا صَلَاةَ لَهُنَّ بِنَا لَا فِي النَّسَبِ، وَلَا فِي الْبَيْئَةِ، وَلَا فِي السَّيْرَةِ وَالسَّلُوكِ، وَلَا فِي الثَّقَافَةِ وَالْدِينِ! كَمَا تَعَاضَدَتْ مَعَهُنَّ أَلْسُنُ وَأَقْلَامُ، وَخُطَبَاءُ وَقَنَوَاتُ وَأَفْلَامُ؛ لَتَرْوِيجِ (بُضَاعَةِ الشَّيْطَانِ) مِنَ الْمُهْلِكَاتِ وَسَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ... وَحَاوَلْتُ جَاهِدَةً طَمَسَ أَوْ تَنْحِيَةً تَلِكَ (الْمُثُلِ الْعَلِيَا) فِي تَارِيخِنَا الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ!.

ونكرر القول ونؤكدده: إنه لمن أوجب الواجبات نشرُ سِيرِ النساءِ الفاضلات من أمتنا - وكثير ما هنَّ - قديماً وحديثاً، وتمثّل السيدة البتول فاطمة الزهراء واحداً من أروع وأورع وأبرع النماذج الحية في قلوبنا وضمائرنا وتراثنا وحضارتنا، لتقديم سيرة حياتها زاداً لبناتنا وأخواتنا وزوجاتنا وأمهاتنا.

وإنه لمن أعظم المفاخر وأجلّ المآثر أن تنتسب إلى الزهراء بالافتداء والاتساء وتسمية البنات باسمها وتربيتها على هديها وشمائلها ومسيرة حياتها.

وأكرم به من نسبٍ وشيعةٍ واتباعٍ يصلُّنا بآل بيت نبينا ﷺ، ثاني (الثَّقَلَيْنِ) اللّذين أوصانا ﷺ بهما؛ حفاوةً وإكراماً وإعظاماً وإجلالاً وافتداءً ونصرةً... ويا لسعادة من يحظى من ذلك بالنصيب الأوفر.

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الأطهار، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

عبد الستار الشيخ

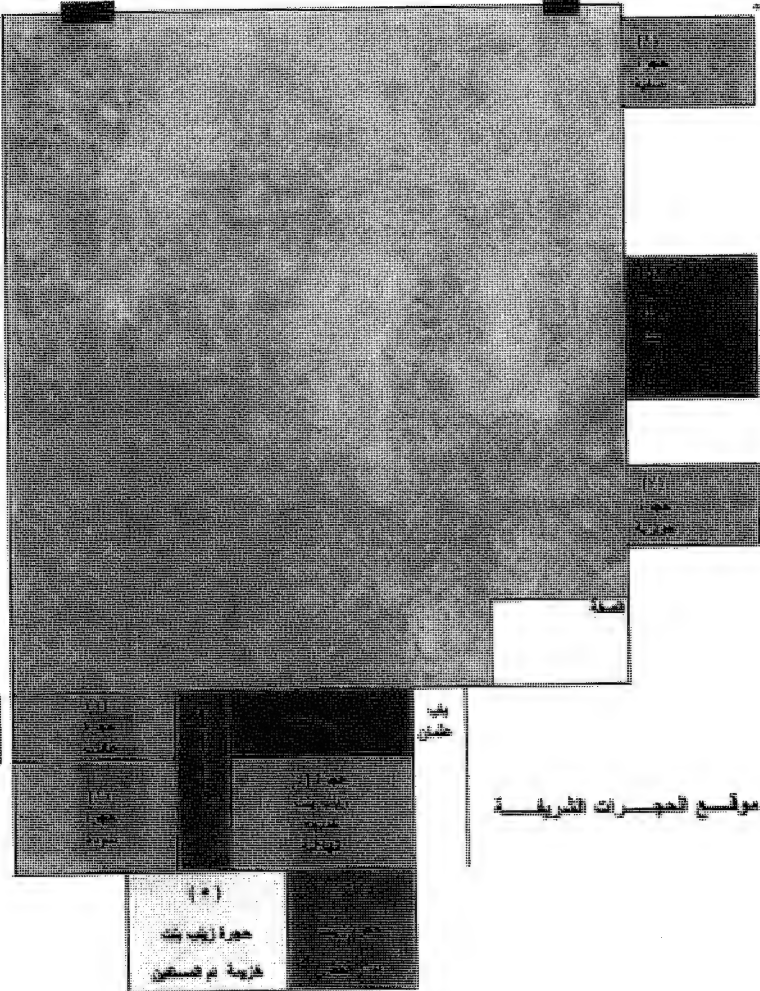
صباح الجمعة المبارك
٩ ربيع الأول الأنور/١٤٣٥ هـ
٢٠١٤/١/١٠ م

دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

باب الرحمة

خوخة الصديق

(٣)
حجرة
حفصة



مواقف الحجرات الشريفة

موقع الحجرات الشريفة

عن كتاب الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين ﷺ

محمد غالي الشنقيطي

المراجع

- ١ - أبو بكر الصديق، عبد الستار الشيخ، دار القلم - دمشق.
- ٢ - الأدب المفرد، الإمام البخاري، باعثناء محمد هشام البرهاني - الإمارات العربية المتحدة.
- ٣ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، طبع مع الإصابة، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٤ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، دار الفكر - بيروت.
- ٥ - الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، ملا علي القاري، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٦ - الإشارة إلى سيرة المصطفى، مغلطي، تحقيق محمد نظام الدين الفتيح، دار القلم - دمشق.
- ٧ - الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٨ - أصول الكافي مع الروضة، الكليني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

- ٩ - أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، د. ناصر بن عبد الله القفاري، دار الرضا - مصر.
- ١٠ - أمالي الصدوق، ابن بابويه القمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
- ١١ - أمالي المفيد، المفيد، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
- ١٢ - أهل البيت، محمود الشرقاوي، المكتبة العصرية - صيدا، بيروت.
- ١٣ - أهل البيت بين الخلافة والملك، د. وميض بن رمزي العمري، دار الكتاب الثقافي - الأردن.
- ١٤ - بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٥ - البداية والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف - بيروت.
- ١٦ - بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
- ١٧ - تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، تحقيق محمد الأصفر، المكتب الإسلامي - بيروت.
- ١٨ - تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت.

- ١٩ - التاريخ الأوسط، الإمام البخاري، تحقيق محمد بن إبراهيم اللحيان، دار الصميعي - الرياض.
- ٢٠ - تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢١ - تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة - الرياض.
- ٢٢ - تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - مصر.
- ٢٣ - تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، دار الحديث - القاهرة.
- ٢٤ - الترغيب والترهيب، المنذري، باعتناء مصطفى عمارة، دار الحديث - القاهرة.
- ٢٥ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار ابن كثير - دمشق.
- ٢٦ - تنزيه الشريعة، ابن عراق، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢٧ - تهذيب الأسماء واللغات، النووي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢٨ - تهذيب التهذيب، ابن حجر، دار الفكر - بيروت.
- ٢٩ - تهذيب الكمال، المزي، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت.

- ٣٠ - جامع الأصول، ابن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرنبوط، دار الفكر - بيروت.
- ٣١ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، مكتبة الرشد - الرياض.
- ٣٢ - جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣٣ - جوامع السيرة ومعها خمس رسائل أخرى، ابن حزم، دار المعارف - مصر.
- ٣٤ - حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٣٥ - حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، دار القلم - دمشق.
- ٣٦ - خديجة بنت خويلد، د. محمد عبده يمانى، مؤسسة علوم القرآن - دمشق.
- ٣٧ - خديجة بنت خويلد، عبد الحميد طهماز، دار القلم - دمشق.
- ٣٨ - الدوحة النبوية الشريفة، د. فاروق حمادة، دار القلم - دمشق.
- ٣٩ - رجال الكشي، محمد بن عمر الكشي، اختيار شيخ الطائفة الطوسي - طهران.

- ٤٠ - الرسالة المحمدية، سليمان الندوي، دار القلم - دمشق.
- ٤١ - الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة المكي، الإمارات العربية المتحدة - جامعة الشارقة.
- ٤٢ - سبل الهدى والرشاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة.
- ٤٣ - سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض.
- ٤٤ - سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض.
- ٤٥ - السُّنَّة، ابن أبي عاصم، تحقيق وتخريج الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت.
- ٤٦ - السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السُّنَّة والشيعة الإمامية، د. عدنان زرزور، دار الأعلام - عمان.
- ٤٧ - السنن الأربعة، لأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، دار الرسالة العالمية - دمشق، بيروت.
- ٤٨ - سنن الدارمي، الدارمي، تحقيق فواز زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٤٩ - السنن الكبرى، البيهقي، وبذيله: الجواهر النقي، لابن التركماني، دار المعرفة - بيروت.

- ٥٠ - السنن الكبرى، النسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٥١ - سيدات بيت النبوة، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار الحديث - القاهرة.
- ٥٢ - سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق جماعة من أهل العلم، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٥٣ - السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، مؤسسة علوم القرآن - دمشق.
- ٥٤ - السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، دار القلم - دمشق.
- ٥٥ - السيرة النبوية، د. محمد محمد أبو شهبه، دار القلم - دمشق.
- ٥٦ - شرح السنّة، البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت.
- ٥٧ - شرح صحيح مسلم، النووي، دار أبي حيان - القاهرة.
- ٥٨ - شرح مشكل الآثار، الطحاوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٥٩ - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - بيروت.
- ٦٠ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي - بيروت.

- ٦١ - الشمائل المحمدية، الترمذي، باعتناء عزت عبيد الدعاس، دار الحديث - بيروت.
- ٦٢ - الشيعة وآل البيت، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنة، باكستان - لاهور.
- ٦٣ - الشيعة والتشيع، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنة، باكستان - لاهور.
- ٦٤ - الشيعة والسُّنة، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنة، باكستان - لاهور.
- ٦٥ - الشيعة والقرآن، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنة، باكستان - لاهور.
- ٦٦ - صبب العذاب على من سب الأصحاب، محمود شكري الألوسي، تحقيق عبد الله البخاري، أضواء السلف - الرياض.
- ٦٧ - صحاح السنن الأربعة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض.
- ٦٨ - صحيح البخاري، طبعة السلطان عبد الحميد، دار الجيل - بيروت.
- ٦٩ - صحيح الجامع الصغير، الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت.

- ٧٠ - صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٧١ - صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٧٢ - صفة الصفوة، ابن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري، دار المعرفة - بيروت.
- ٧٣ - الضعفاء الكبير، العقيلي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٧٤ - ضعيف الجامع الصغير، الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت.
- ٧٥ - الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار الفكر - بيروت.
- ٧٦ - عصر الخلافة الراشدة، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان - الرياض.
- ٧٧ - علموا أولادكم محبة آل بيت النبي صلى الله عليه وآله، د. محمد عبده يمانى، دار القبلة - جدة.
- ٧٨ - علي بن أبي طالب، عبد الستار الشيخ، دار القلم - دمشق.
- ٧٩ - عمر بن الخطاب، عبد الستار الشيخ، دار القلم - دمشق.
- ٨٠ - العواصم من القواصم، ابن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الجيل - بيروت.

- ٨١ - عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الحديث - القاهرة.
- ٨٢ - فاطمة الزهراء، د. محمد عبده يماني، المنار - دمشق، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.
- ٨٣ - فاطمة الزهراء من الميلاد وحتى الاستشهاد، السيد جواد الصافي الموسوي، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٨٤ - فاطمة بنت محمد قدوة النساء، السيد علي عاشور، دار الهادي - بيروت.
- ٨٥ - فتح الباري، ابن حجر، دار أبي حيان - القاهرة.
- ٨٦ - فتح الملهم وتكملته، شرح صحيح مسلم، شبير أحمد العثماني ومحمد تقي العثماني، دار القلم - دمشق.
- ٨٧ - الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي، دار الفكر - بيروت.
- ٨٨ - كتاب المجروحين، ابن حبان، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعة - الرياض.
- ٨٩ - الكشف الحثيث عن رمي بوضع الحديث، برهان الدين الحلبي، تحقيق صبحي السامرائي، عالم الكتب - بيروت.
- ٩٠ - لسان الميزان، ابن حجر، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- ٩١ - مجمع الزوائد، الهيتمي، دار الكتب العلمية - بيروت.

- ٩٢ - مجمل عقائد الشيعة والمراجعات في الميزان، أبو عبد الله النعماني الأثري، مكتبة الصحابة - الإمارات العربية المتحدة.
- ٩٣ - محمد رسول الله ﷺ، محمد الصادق عرجون، دار القلم - دمشق.
- ٩٤ - مختصر تاريخ ابن عساكر، ابن منظور، دار الفكر - دمشق.
- ٩٥ - المرتضى علي بن أبي طالب، أبو الحسن الندوي، دار القلم - دمشق.
- ٩٦ - المستدرک، الحاكم، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٩٧ - مسند أحمد، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة.
- ٩٨ - مسند أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٩٩ - مسند أحمد (مرتب على الأبواب)، ترتيب صالح أحمد الشامي، دار القلم - دمشق.
- ١٠٠ - مسند الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، عالم الكتب - بيروت.
- ١٠١ - مسند الطيالسي، دار المعرفة - بيروت.
- ١٠٢ - مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت.

- ١٠٣ - مصنف ابن أبي شيبة، دار الفكر - بيروت.
- ١٠٤ - مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي،
المكتب الإسلامي - بيروت.
- ١٠٥ - المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، علي القاري،
تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية
- حلب.
- ١٠٦ - المطالب العالبة، ابن حجر، تحقيق حبيب الرحمن
الأعظمي، دار المعرفة - بيروت.
- ١٠٧ - المعالم الأثيرة في الشئنة والسيرة، محمد محمد حسن
شراب، دار القلم - دمشق.
- ١٠٨ - المعرفة والتاريخ، الفسوي، تحقيق د. أكرم ضياء
العمرى، مكتبة الدار - المدينة المنورة.
- ١٠٩ - ملتنقى الأصفياء في مناقب الإمام علي والسبطين
والزهراء، عبد الفتاح بن حسين المكي، مطبعة المدني.
- ١١٠ - مناقب علي والحسين وأمهات فاطمة الزهراء،
د. عبد المعطي قلنجي، دار الوعي - حلب.
- ١١١ - المنتظم، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١١٢ - المنتقى من منهاج الاعتدال، الذهبي، تحقيق محب الدين
الخطيب، دار عالم الكتب - الرياض.

- ١١٣ - منهاج السُّنَّة النبوية، ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، دار الفضيلة - الرياض.
- ١١٤ - الموضوعات، ابن الجوزي، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية - المدينة المنورة.
- ١١٥ - موطأ مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١١٦ - ميزان الاعتدال، الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة - بيروت.
- ١١٧ - نبوءات الرسول ﷺ - دروس وعبر، عبدالستار الشيخ، دار القلم - دمشق.
- ١١٨ - نسب قريش، مصعب الزبيري، تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
- ١١٩ - النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت.
- وغير ذلك كثير من كتب الحديث وشروحه ومصطلحه، والتراجم والرجال، والتفسير، والتاريخ والأدب، ومعاجم اللغة، وكتب الشيعة.



الفهرس

- الإهداء..... ٥
- هذه السيدة..... ٧
- المقدمة..... ١١

الباب الأول

أخبار الزهراء الشخصية وأسرتها

- الفصل الأول: اسمها ونسبها وكنيتها وألقابها..... ٢٧
- أولاً: اسمها ونسبها الشريف..... ٢٧
- ثانياً: كُنيته..... ٢٩
- ثالثاً: ألقابها..... ٣٠
- الفصل الثاني: أبوها..... ٣١
- أولاً: أبوها محمد رسول الله ﷺ..... ٣١
- ثانياً: أمها خديجة بنت خويلد..... ٣٢
- الفصل الثالث: مولد الزهراء المبارك وأصلها الشريف المنيف..... ٣٧
- الفصل الرابع: صفتها وجليتها..... ٤١
- الفصل الخامس: زوجها وأولادها..... ٤٣

- أولاً: زوجها علي بن أبي طالب..... ٤٣
- ثانياً: أولادها..... ٤٣
- الفصل السادس: إخوة فاطمة وأخواتها..... ٥٠
- أولاً: إخوانها..... ٥١
- ثانياً: أخواتها..... ٥٢

الباب الثاني

فاطمة في محاضن النبوة، تربية فريدة ومواقف شامخة

- الفصل الأول: معالم نشأتها في مطالع الدعوة، وإسلامها..... ٦١
- الفصل الثاني: تكامل وعيها وترقي تربيتها في أجواء مكة القاسية على الدعوة والرسالة..... ٦٥
- الفصل الثالث: هجرة فاطمة إلى المدينة المنورة..... ٧٣
- الفصل الرابع: فاطمة في المدينة المنورة وأنماط أخرى من التربية النبوية والمواقف الجليلة..... ٧٥
- أولاً: وفاة شقيقتها رقية..... ٧٥
- ثانياً: الزواج الميمون..... ٧٦
- ثالثاً: في غزوة أُحُد..... ٧٧
- رابعاً: في غزوة الفتح..... ٧٩
- الفصل الخامس: اهتمام نبوي بالغ بفاطمة وبنيتها ورعاية دائمة وحب غامر..... ٨٢

الباب الثالث فاطمة الزهراء الزوجة المثالية

- الفصل الأول: مقدمات الزواج ٨٧
- أولاً: من رغب بالزواج من فاطمة، وموافقته ﷺ على علي ٨٨
- ثانياً: مهر فاطمة وجهازها ٩٢
- ثالثاً: الذين حَضُّوا عليّاً على (خطبة فاطمة) وشاركوا
في مساعدته بالمهر والوليمة ومظاهر الفرح ٩٨
- الفصل الثاني: الزفاف الميمون، والأيام الأولى من الزواج ١٠٤
- أولاً: فرح غامر وتوجيهات نبوية ١٠٤
- ثانياً: تاريخ الزواج وعمر العروسين ومنزلُهما ١٠٦
- الفصل الثالث: حياة زهد وتقشُّف وجدّ واجتهاد وعبادة ١١٣
- تمهيد ١١٣
- أولاً: مواقف ونماذج من خشونة عيش فاطمة وأسرتها ١١٥
- ثانياً: السيدة البتول وواجباتها الكثيرة وأعمالها الشاقة ١٢٢
- الفصل الرابع: تربية نبوية حانية جلييلة ورعاية دائمة ١٢٧
- أولاً: النبي ﷺ يربي آل بيته على الصبر والزهد
والعبادة والذِّكْر ١٢٧

- ثانياً: النبي ﷺ يشاركهم عيشهم الخشن، ويعطيهم
إذا وجد سعة..... ١٣٢
- ثالثاً: رسول الله ﷺ يترفع بآل بيته عن التبسط من الدنيا..... ١٣٣
- رابعاً: رعاية دائمة وحب غامر موصول مع النبي ﷺ
لابنته وأولادها..... ١٣٩
- الفصل الخامس: العلاقة بين الزوجين الكريمين..... ١٤٥
- أولاً: أحداث عارضة في حياة الزوجين، وعلاج نبوي كريم..... ١٤٥
- ثانياً: حادثة قاسية تهزُّ بيت الزوجية، وموقف نبوي
صارم تكرمه لابنته (علي يريد الزواج على فاطمة!)..... ١٥٣
- الفصل السادس: أحاديث واهية وموضوعة ومزاعم
ومجازفات باطلة..... ١٦٣
- أولاً: أحاديث واهية وموضوعة وردت في موضوع
زواج فاطمة..... ١٦٣
- ثانياً: مزاعم وتقولات ومجازفات..... ١٦٦

الباب الرابع

شمائل الزهراء وأخلاقها وعبادتها

- تمهيد..... ١٧٣
- الفصل الأول: شمائلها وأخلاقها..... ١٧٧
- أولاً: حياؤها وعفتها وصيانتها نفسها..... ١٧٧

- ثانياً: زهدا وتقشفها ١٧٩
- ثالثاً: صدق حديثها وتواضعها ١٨٠
- رابعاً: حفظها السر ١٨١
- خامساً: صبرها الجميل ١٨٣
- سادساً: جرأتها وقوة نفسها ١٨٨
- الفصل الثاني: عبادتها وأذكارها ورغبتها بالآخرة ١٨٩

الباب الخامس

علمُ فاطمةَ، ومصحفُها ولوحُها المزعومانِ

- الفصل الأول: علمها ١٩٥
- الفصل الثاني: مصحف فاطمة ولوحها ١٩٧
- أولاً: مصحف فاطمة ١٩٨
- ثانياً: لوح فاطمة ٢٠٥
- ثالثاً: وقفة تأمل ونقد ٢٠٧

الباب السادس

مناقبُ فاطمةَ ومنزلُها

- الفصل الأول: مناقبها ٢١٧
- الفصل الثاني: منزلتها ومكانتها في قلب النبي ﷺ ٢٢٥
- الفصل الثالث: منزلتها عند الأمة ٢٣٠

الباب السابع

أهل البيت الأطهار عليهم السلام

• الفصل الأول: النصوص الواردة في مناقب أهل البيت ٢٣٧

- أولاً: حديث الكساء ٢٣٧

- ثانياً: حديث الثقلين ٢٤١

- ثالثاً: أحاديث أخرى في فضائل أهل البيت ٢٤٤

• الفصل الثاني: وقفات وتوضيحات ٢٤٥

- أولاً: مفهوم آل النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته، وبطلان مذهب الرافضة في هذا ٢٤٥

- ثانياً: العترة وحديث الثقلين ٢٥٣

- ثالثاً: قرابة النبي صلى الله عليه وآله ٢٥٦

- رابعاً: فضل آل البيت والقرابة يكون بالتقوى لا بمجرد القرابة ٢٥٨

- خامساً: وجوب محبة أهل البيت ٢٦١

• الفصل الثالث: الانحراف والغلو الضال في محبة فاطمة

وأهل البيت ٢٦٤

- المبحث الأول: طرف من الأحاديث الواهية والموضوعة

في مناقب فاطمة وآل البيت ٢٦٥

- المبحث الثاني: بعض البلايا التي جاءت في كتب الرافضة

بشأن فاطمة وعلي وأهل البيت ٢٧٤

الباب الثامن

الزهراء مع النبي ﷺ في أيامه الأخيرة

- الفصل الأول: منزلة الرسول ﷺ من قلب فاطمة والصحابة،
وهول الفاجعة بوفاته..... ٢٨٥
- الفصل الثاني: إرهاصات وفاة رسول الله ﷺ،
وعلم السيدة فاطمة بها..... ٢٨٩
- الفصل الثالث: حزن السيدة الزهراء على أبيها ﷺ..... ٢٩١

الباب التاسع

السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ فِي خِلَافَةِ الصِّدِّيقِ

- الفصل الأول: مسألة ميراث النبي ﷺ (خلاصة المسألة
والأحاديث الواردة فيها)..... ٢٩٩
- تمهيد..... ٢٩٩
- أولاً: خلاصة المسألة..... ٢٩٩
- ثانياً: طرف من الأحاديث الواردة في مسألة ميراث النبي ﷺ..... ٣٠٢
- الفصل الثاني: بين أبي بكر الصديق وفاطمة الزهراء..... ٣٠٧
- الفصل الثالث: أبو بكر قام بأداء حق آل البيت حسب الشرع،
وعمله هو السُّنَّة، وأجمع عليه الصحابة وامتدحه آل البيت..... ٣١٤
- الفصل الرابع: رواية هجران فاطمة أبا بكر الصديق مُدْرَجَةً
في الحديث، وهي مرسلة ضعيفة..... ٣١٩
- الفصل الخامس: كثرة افتراءات الرافضة قديماً وحديثاً..... ٣٢٧

الباب العاشر

الوداع

- الفصل الأول: إخبار النبي صلى الله عليه وآله فاطمة بأنها أول أهله لحوقاً به،
ومدة حياتها بعده..... ٣٣٩
- الفصل الثاني: قصة وفاتها وتغسيلها ونعشها..... ٣٤١
- الفصل الثالث: موقف أبي بكر وعمر عند وفاة السيدة الزهراء،
ومن صلى عليها..... ٣٤٤
- الفصل الرابع: عمرها المبارك، وموضع قبرها،
وحزن المسلمين عليها..... ٣٥٢
- أولاً: عمرها..... ٣٥٢
- ثانياً: قبرها..... ٣٥٤
- ثالثاً: حزن عليّ والمسلمين عليها..... ٣٥٤
- الخاتمة..... ٣٥٧
- المراجع..... ٣٦٥
- الفهرس..... ٣٧٧

